



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القيوين

كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
شعبة: الثقافة الإسلامية
الدراسات العليا

ثقافة تعظيم البلد الحرام وأثرها على المجتمع الإسلامي

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في شعبة الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب:

عبدالله بن رزيق بن عطا الله الحازمي

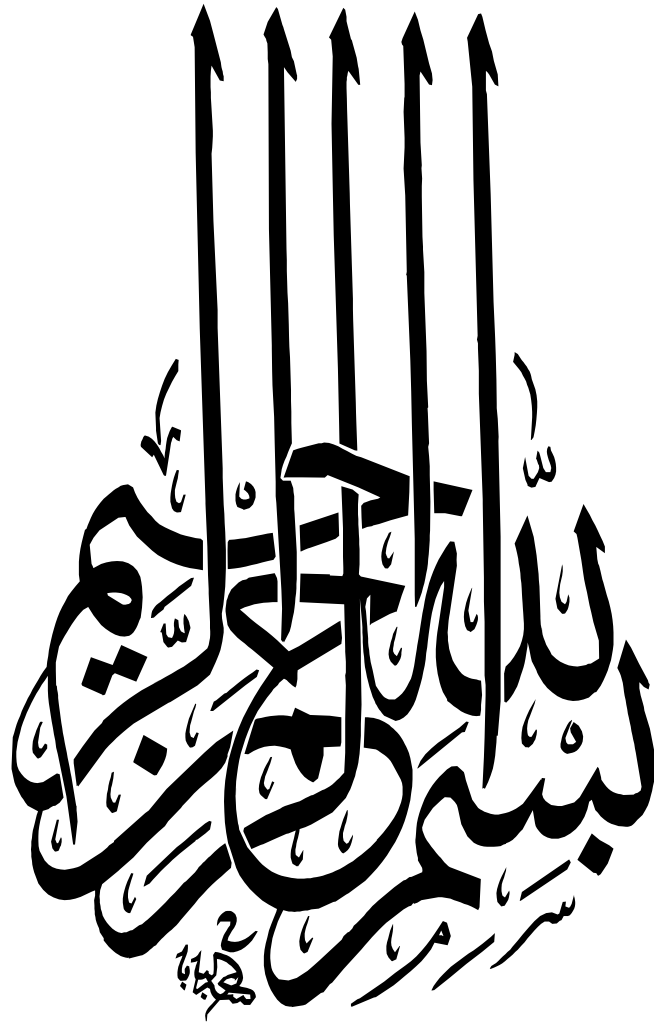
الرقم الجامعي

(٤٢٨٨٠٣٣٢)

إشراف فضيلته الشيخ:

أ.د/ محمد عبد المولى جمعة

عام ١٤٣٣هـ - ١٤٣٤هـ



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا

وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَكَامُ

إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أُسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾

(سورة آل عمران)

شكر ورجاء

- إلى أمي الحبيبة عينيّ التي أبصر بهما الضياء . . .
- إلى علمائي ومشائخي . . . هداة الخلق ونجوم السماء . . .
- إلى زوجتي الغالية شريكة السراء والضراء . . .
- إلى أبنائي وبنياتي ؛ لبابة وهمّام وحرث وأمامة وخلاد ورامّة الأحباء . . .
جعلهم الله قرّة عين لوالديهم . . . ورزقهم عيش السعداء . . .
- إلى إخوتي وأخواتي الأعزاء . . . أصحاب الفضل والعطاء . . .
- إلى كل مسلم توجه بقلبه وبدنه إلى البلد الحرام . . . في جميع الأرجاء . . .
- إلى الناس كافّة . . . الباحثين عن الحقيقة والاهتداء . . .
- أضع بين أيديكم هذا العمل المتواضع . . . وأسألكم الدعاء . . .

محبكم :

عبدالله بن رزيق الحازمي

ملخص الرسالة

- عنوان الرسالة : "ثقافة تعظيم البلد الحرام وأثرها على المجتمع الإسلامي".

- الباحث : عبدالله بن رزيق بن عطالله الحازمي.

- يعاني العالم الإسلامي اليوم من أزمت حقيقية في إيمانه وأخلاقه، ظهرت جلياً في حياته، وأثرت على مكانته بين المجتمعات الأخرى، وذلك بسبب بعدها الحقيقي عن جوهر الإسلام ورسالته السامية التي بعث من أجلها رسول الله ﷺ، ومن هنا: تناول الباحث سبباً رئيساً في إصلاح الأفراد والمجتمعات غفل عنه كثير من الناس وغابت ثقافته عنهم ألا وهو: "ثقافة تعظيم البلد الحرام" حاول الباحث من خلال الرسالة أن يظهر مكانة البلد الحرام ويقدمها ثقافة للمسلمين وقد هدفت الدراسة إلى : محاولة البناء الإيماني والأخلاقي في الأفراد والمجتمعات الإسلامية عن طريق نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام. ولتحقيق ذلك قسّم الباحث دراسته إلى مقدمة: وفيها خطة الدراسة، وإلى تمهيد اشتمل على مفهوم ثقافة تعظيم البلد الحرام، ومفهوم المجتمع الإسلامي، وأما فصول الدراسة فكانت على النحو التالي: الفصل الأول: تعظيم البلد الحرام، الفصل الثاني: وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام في المجتمع الإسلامي، الفصل الثالث: أثر ثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي، وإلى خاتمة: اشتملت على أهم النتائج وأبرز التوصيات.

وقد كان من أهم نتائج الدراسة ما يلي :

١. أهمية نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام بين الناس.
٢. أن للبلد الحرام مكانة عظيمة عند الله ﷻ، وعند أنبيائه ورسله -عليهم السلام- وعند الناس .
٣. أن تعظيم البلد الحرام أمن للعالم أجمع، وانتهاك حرمة سبب في زوال العالم.
٤. أن البلد الحرام سبب في هداية الناس ، وقيام معاشهم وحياتهم.
٥. أن جميع الأعمال الصالحة مضاعفة في البلد الحرام.
٦. أن لثقافة تعظيم البلد الحرام أثر بالغ في إيمان الناس وأخلاقهم.

التوصيات:

٧. التعاون المشترك بين جميع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام.
٨. اقترح بناء سور دائري من حدود الحرام يحيط بالبلد الحرام، إبرازاً لمكانة البلد الحرام ومعلماً شاهداً ومذكراً لمكانته.
٩. واقترح الاستفادة من جميع المناشط الدعوية في المملكة العربية السعودية والمراكز الدعوية التابعة لها في جميع العالم، وذلك بتوظيف ثقافة تعظيم البلد الحرام.
١٠. تبني مشروع تعظيم البلد الحرام على مستوى الدولة وتخصيص الميزانيات المناسبة له.

Abstract

- The title of the study: "Holy maximize the country's culture and its impact on the Muslim community".
- Researcher: Abdullah bin Reziq bin Atallah al-Hazmi.
- Muslim world today suffer from real crises in faith and morals, appeared evident in his life, and affected its place among the other communities, because then the real essence of Islam and its message of the High Commissioner for which they were sent the Messenger of Allah ﷺ, hence: researcher leading cause of reform individuals and communities anonymous by many people and absent culture them, namely: "the culture of maximizing the country haraam" Try researcher through the message that shows the status of the country haraam and provided a culture of Muslims have study aimed to: try to build faith and moral individuals and Muslim communities by spreading the culture of the haraam maximize the country. To achieve this department researcher studying the Introduction: the study plan, and to pave included the concept of culture to maximize the country's land, and the concept of the Muslim community, and the classes were as follows: Chapter I: maximizing the country's land, Chapter II: Mass application culture haraam maximize the country in the Muslim community, Chapter III: the impact of the haraam maximize the country's

culture on the Muslim community, and to a conclusion: the most important results included recommendations highlighted.

- Has been one of the most important findings of the study include:

- The great prestige of the country land at God when prophets and messengers - peace be upon them - and when people all Muslim and kaafir alike.

- haraam to maximize the country's security to the whole world, and violation of the sanctity of the cause of the demise of the world.

- That the country haraam reason to guide people, and the establishment of their livelihoods and their lives.

- That all good deeds multiply the haraam in the country.

- That maximize the country's culture haraam profound effect on people's faith and morals .



المقدمة

خطة الدراسة

وتشتمل على:

- أسباب اختيار الموضوع وأهميته.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث
- منهج البحث.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته :

لقد منَّ الله ﷻ عليَّ بعد استخارته واستشارة أهل العلم والفضل والديانة أن أكتب في هذا الباب فهداني الله ﷻ إلى اختيار هذا الموضوع بعنوان :

(ثقافة تعظيم البلد الحرام وأثرها على المجتمع الإسلامي)

فأرجو من الله ﷻ أن يكون بحثي هذا:

- أ- إسهاماً مني في محاولة إبراز دور ثقافة التعظيم في عبادة الأمة وأخلاقها.
 - ب- وخدمة لهذا البلد الحرام.
 - ت- وشكراً قبل كل شيء لله ﷻ الذي من عليَّ بسكنى بلده الحرام فله الحمد في الأولى والآخرة.
- وتبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط التالية :

١. يشرف كل موضوع ويعظم بحسب متعلقه ويتناول هذا البحث بلداً اختصها الله ﷻ دون غيرها من البلدان وسماها البلد الأمين وأضافها إليه كما قال الله ﷻ عن إبراهيم العليلي: ﴿عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمُ﴾^(١)
٢. أن الأمة لا تزال بخير ما عظمت هذا البلد الحرام.
٣. للموضوع أثر بالغ على الأمة الإسلامية.

- الدراسات السابقة :

لم يكتب عن مدينة في العالم كما كتب عن البلد الحرام ومشاعره المقدسة وذلك لارتباط مسلمي العالم بهذا البلد الحرام ومقدساته المعظمة فتعددت المؤلفات فيها ولكنني لم أعثر - في حدود اطلاعي - في الكتب السابقة عمّن تكلم عن مصطلح "ثقافة تعظيم البلد الحرام" ولكنني وجدت مؤلفات عدة صنفت في الكعبة المشرفة والمسجد الحرام تاريخاً وعمارةً وثقافةً من

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

خلال معاهد العلم القائمة فيه كحلق العلماء بأروقة وحصوات الحرم المكي ومؤلفات عدة صنفت في البلد الحرام ومعالمه وفضائله وأهله ومشاعره المقدسة ومناسباته الدينية ومجالاته : التاريخية والدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية والأدبية والجغرافية وغيرها.

أولاً : كتب تناولت الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وتاريخه وعمارته منها:

- ١ . تاريخ عمارة المسجد الحرام / حسين عبدالله باسلامة.
- ٢ . التاريخ المفصل للكعبة / عبدالقدوس الأنصاري.
- ٣ . مرآة الحرمين / إبراهيم رفعت باشا.
- ٤ . تاريخ الكعبة المعظمة / حسين عبدالله باسلامة.

ثانياً : كتب تناولت البلد الحرام في جميع المجالات منها :

- ١ . أخبار مكة / الحسن البصري.
- ٢ . أخبار مكة / محمد بن إسحاق الفاكهي.
- ٣ . أخبار مكة وفضائل مكة / أحمد بن محمد الأزرق.
- ٤ . شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام / تقي الدين الفاسي.
- ٥ . رحلة ابن جبير / محمد بن أحمد بن جبير.
- ٦ . المسجد الحرام تاريخه وأحكامه / د. وصي الله بن محمد عباس.

- خطة البحث :

لقد اقتضت طبيعة الموضوع مني جعل البحث في:

- مقدمة : وأذكر فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة وخطة

البحث ومنهجي فيه، وشكر وتقدير.

- تمهيد :

ويشتمل على ما يلي :

١ . مفهوم ثقافة تعظيم البلد الحرام.

٢ . مفهوم المجتمع الإسلامي.

- الفصل الأول : مظاهر تعظيم البلد الحرام وأنواعه.

وفيه ثلاثة مباحث على النحو التالي :

-المبحث الأول : تعظيم الله ﷻ للبلد الحرام.

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: قسم الله بالبلد الحرام

المطلب الثاني: أمن الله ﷻ للبلد الحرام وأهله.

المطلب الثالث: ذكّر الله ﷻ للبلد الحرام بأسماء عدة في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: تحريم الله ﷻ للبلد الحرام، وإضافته إليه وحبه له.

المطلب الخامس: مضاعفة أجر الصلاة والأعمال الصالحة في البلد الحرام.

المطلب السادس: الآيات البيّنات التي اختص الله ﷻ بها البلد الحرام.

المطلب السابع: جعل الله ﷻ الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس.

المطلب الثامن: البلد الحرام مولد خير الخلق ﷺ وإنزال القرآن الكريم.

المطلب التاسع: المسجد الحرام قبلة المسلمين.

-المبحث الثاني: تعظيم أنبياء الله ﷻ للبلد الحرام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعظيم الأنبياء - عليهم السلام - السابقين للبلد الحرام.

المطلب الثاني: تعظيم نبينا محمد ﷺ للبلد الحرام.

- المبحث الثالث: تعظيم الناس للبلد الحرام على مر الزمان.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعظيم أهل الجاهلية للبلد الحرام

المطلب الثاني: تعظيم السلف الصالح للبلد الحرام

- الفصل الثاني : وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام في المجتمع الإسلامي.

وفيه مبحثان على النحو التالي :

- المبحث الأول: مفهوم وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول : تعريف الوسائل في اللغة والاصطلاح.

- المطلب الثاني : خصائص وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام

- المطلب الثالث : ضوابط في وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام.

- المبحث الثاني: وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول : أقسام وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

- المطلب الثاني : الوسائل الشرعية التعبدية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

- المطلب الثالث : الوسائل المادية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

- الفصل الثالث: أثر ثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول : الآثار الإيمانية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع

الإسلامي.

- المبحث الثاني : الآثار الأخلاقية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي.

- الخاتمة : وسأذكر فيها أبرز النتائج وأهم التوصيات بإذن الله ﷻ.

- منهج البحث :

استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والوصفي والتحليلي، وذلك لتوظيف المعلومات وتحليلها وفق أصول البحث العلمي التالي:

١. عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وأرقامها في الهامش، وكتابتها بالرسم العثماني.

٢. تخريج الأحاديث، الواردة في ثنايا الرسالة، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك وإلا خرجتها من كتب الأحاديث المشهورة، مع بيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها، وكتابة الأحاديث مشكولة.

٣. عزو الآثار التي وردت في البحث إلى مصادرها، دون الالتزام ببيان صحتها أو ضعفها.

٤. عزو كل ما يرد في البحث إلى المصادر والمراجع مع بيان اسم الكتاب والمؤلف ودار الطباعة وسنة الطبع والبلد التي طبع فيه الكتاب.

٥. ترجمة الأعلام غير المشهورين، وعدم ترجمة المشهورين لشهرتهم، وخشية الإطالة.

٦. بيان معاني الكلمات الغريبة التي تحتاج لبيان، وحيث أن الغرابة أمر نسبي، اجتهد الباحث في حصر الكلمات الغريبة.

٧. العناية بقواعد اللغة العربية، وقواعد الإملاء، وعلامات الترقيم، وفنية الإخراج، بقدر الوسع والطاقة.

٨. عمل فهرس فنية تكشف البحث، وتساعد في الرجوع إلى محتوياته بسهولة.

هذا وإنني لأرجو من الله ﷻ أن تكون رسالتي إسهاماً مني في محاولة إدراك الأمة لبعض هذه المعاني العظيمة في تعظيم البلد الحرام وتغييراً في عبادتها وأخلاقها، وخدمة لهذا البلد الحرام.

وشكراً لله وحمده، قبل كل شيء، الذي من عليّ بسكنى بلده الحرام، فله الحمد في الأولى والآخرة.

كما أشكر الله ربي العليّ الكريم، أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، على ما وفق، ومنّ، وأجاد، وأحسن إليّ، في إتمام هذا البحث، وأسأله أن يجعله خالصاً، ولسنة نبيه ﷺ موافقاً، ولعباده نافعاً، إنه جواد كريم.

ولقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: "مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ".

وقال ﷺ: "مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ".

فأمثل قوله ﷺ وأتوجه بالشكر والتقدير لمن قرن الله شكرهما بشكره، وحقهما بحقه، فقال في محكم كتابه: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾^(١) فشكراً لوالدي الكريمين، فقد كان فضلُهُما عليّ كبيراً، فجزاهما الله عني خير الجزاء وأوفاه، وأعظم مثوبتهما، ورحم الله والدي الذي أنتقل إلى جوار ربه، وأنا في مرحلة إعداد البحث، وحفظ الله لنا والديتنا ومتعنا بها وأطال عمرها على حسن عمل وختم لها بحسن الختام، وجمعنا بهما في جنات النعيم.

ثم إنني أتوجه بالشكر الجزيل لجامعة أم القرى متمثلة بعمادة كلية الدعوة وأصول الدين، وأخص بالشكر فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن سعيد السرحاني عميد كلية الدعوة وأصول الدين، وجميع وكلاء الكلية وأخص كذلك الشيخ الدكتور/ حسن بن عايض آل عبدالهادي رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، وجميع أساتذتي الأفاضل

(١) لقمان: ١٤.

في قسم الثقافة الإسلامية، على ما بذلوا من عطاء في خدمة طلاب العلم والأمة الإسلامية، فجزاهم الله أعظم الجزاء وأوفاه.

ثم إنه حري بطالب علم أن يترحم على معلمه وشيخه فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد بن داوود رحمه الله تعالى، الذي رحل إلى جوار ربه، وبقيت آثاره شاهدة على علمه، وانتفاع طلابه به، فجزاه الله جنة الخلد على ما قدمه، وغفر له وتجاوز عنه ورحمه.

كما أخص بالشكر - من من الله به عليّ مشرفاً على بحثي - فضيلة الشيخ الوالد المربي الأستاذ الدكتور / محمد بن عبدالمولى محمد جمعة، الذي شرفني بالإشراف على رسالتي، وأدبني وأثر فيّ بسمته، قبل قوله وعمله، فنلت منه علماً وخلقاً وسمتاً، ولقد وقف على رسالتي فأحاطني برعايته، ورحابة صدره، وعظيم صبره على ما كان مني من أذى، وأمديني بسديد توجيهاته، وآرائه القويمة، وملحوظاته الدقيقة، التي كان لها الأثر الكبير في تقويم هذا البحث.

فالله أسأل أن يجزيه عني وعن طلاب العلم أحسن الجزاء وأوفاه، وأن يبارك له في عمره وعلمه وعمله وذريته، وأن يمتعته المتاع الحسن، وأن يختم لنا وله بخير ختام.

كما أتوجه بالشكر الجزيل لفضيلة الشيخين الداعيين المناقشين الكريمين، فضيلة الأستاذ الدكتور / يحيى بن محمد زمزمي، وفضيلة الشيخ الدكتور / خالد بن عبد الله القرشي، فالشكر لهما على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، على كثرة مشاغلهما، في الدعوة إلى الله، والشكر لهما على ما خصصاه من وقت في سبيل سد خلل البحث، وتكميل نقصه، وتصحيح خطئه، راجياً من الله أن ينفعني بتوجيهاتهما، وأن يعينني على الوفاء بحقهما، إنه جواد كريم.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى فضيلة الشيخ المربي / طلال بن محمد أبو النور المشرف العام على مشروع تعظيم البلد الحرام الذي ظل يتابع مسيرتي في هذا البحث

لقاءً واتصالاً، وحثه الدائم على مواصلة العمل، فجزاه الله عني خير الجزاء، وجعله مباركاً أينما كان.

كما أتقدم بالشكر لمشروع تعظيم البلد الحرام متمثلاً في إدارة البحوث والدراسات الاجتماعية، الذين كان له سبق فضل في جمع المحتوى العلمي لتعظيم البلد الحرام.

وَ هُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَفْضِيلاً *** مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلاً

وأتوجه بالشكر لزوجتي وأبنائي وبناتي وإخوتي وأخواتي على ما زرتهم لي، وتشجيعي في مشواري العلمي.

والشكر موصول لأخي الشيخ الدكتور / زكي بن رزيق الحازمي الذي وقف بجانبني حتى إتمام هذه الرسالة، فجزاه الله عني خير الجزاء، وبارك في علمه وعمله.

ثم إنني أشكر كل من قدم إلي عوناً أو أسدى إلي معروفاً من مشائخ فضلاء، وإخوة أعمام، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

سَأَنْشُرُ إِنْ حَيَّتْ لَهُمْ كَلَاماً *** يُنْشَرُ فِي الْمَجَامِعِ مِنْ عَكَازِ

وفي الختام أحسب أنني قد بذلت جهدي - بتوفيق الله - في هذا الموضوع، ومع علمي بضعفي، وصغر باعي، أقول كما قال عبدالله بن مسعود الوفي بالعهود رضي الله عنه: "فَإِنْ يَكُ صَوَابًا فَمِنْ اللَّهِ وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنْ الشَّيْطَانِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ" رواه أبوداود
أسأل الله عز وجل أن ينفعني برسالتي وينفع من يطلع عليها من المسلمين، وأن يغفر لي زللي وخطئي وذنبي، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد، وآله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الحمد لله رب العالمين.



وفيه أذكر مصطلحات متعلقة بموضع البحث لا بد
من ذكرها وهي على النحو التالي:

(ثقافة – تعظيم – البلد – الحرام – الأثر –

المجتمع – الإسلامي)

التعريف بمصطلحات البحث

إن تحديد مصطلحات البحث مهم جداً قبل الدخول في فصول البحث ومباحثه، ولذلك ينبغي تحديد معاني هذه المصطلحات حتى يزول اللبس والخلط في المفاهيم باعتبارها أداة من أدوات البحث العلمي ومعلماً من معالم المنهج السليم في التفكير الذي يساعد على الفهم الصحيح ويضع الأمور في نصابها .

وسأعرض أولاً تعريف كل لفظ من ألفاظ عنوان البحث، ثم أذكر المعنى الاصطلاحيّ للجملة: (ثقافة تعظيم البلد الحرام)، و (المجتمع الإسلامي)، ثم أبين المدلول الكلي الذي يؤخذ من العنوان.

أ- تعريف لفظ (الثقافة) في اللغة والاصطلاح:

تعريف الثقافة في اللغة :

لفظ (ثِقَافَة) عربي الأصل وهو مصدر من الفعل (ثَقَّفَ) وتطلق هذه الكلمة ومشتقاتها في اللغة العربية على معانٍ عدة كما تفيد معاجم اللغة العربية قال ابن فارس رحمه الله : " (ثَقَّفَ) الثاء والقاف والفاء كلمة واحدة إليها يرجع الفروع، وهو إقامة درء الشيء. ويقال ثَقَّفْتُ الْقِنَاءَ إِذَا أَقَمْتَهُ عِوَجَهَا. قال:

نَظَرَ الْمُثَقَّفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ ... حَتَّى يُقَيِّمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا

وَتَقَفْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ. وَرَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ، وَذَلِكَ أَنْ يَصِيبَ عِلْمَ مَا يَسْمَعُهُ عَلَى اسْتَوَاءٍ. وَيُقَالُ : تَقِفْتُ بِهِ إِذَا ظَهَرْتَ بِهِ. قال:

فَإِمَّا تَتَّقُونِي فَاقْتُلُونِي ... وَإِنْ أَثَقَّفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي" (١)

(١) معجم مقاييس اللغة، (٣٨٣/١) لابن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

وقال ابن منظور - رحمه الله - " رجل ثَقِفٌ لَثْفٌ إذا كان ضابطاً لما يحويه قائماً به ويقال ثَقِفَ الشيء وهو سُرْعَةُ التعلُّم ابن دريد ثَقِفْتُ الشيءَ حَدَقْتُهُ وَثَقِفْتُهُ إذا ظَفِرْتَ به قال الله ﷻ: ﴿فَأِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾^(١) وَثَقِفَ الرَّجُلُ ثِقَافَةً أَي صار حاذِقاً خفيفاً مثل ضَحْمٍ فهو ضَحْمٌ ومنه المَثَاقِفَةُ وَثَقِفَ أَيضاً ثَقْفاً مثل تَعَبَ تَعَباً أَي صار حاذِقاً فَطِناً فهو ثَقِفٌ "^(٢) لفظ (ثقف) في القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو أصل اللغة العربية وقد ورد لفظ " ثقف " في القرآن الكريم في ستة مواضع :

قال الله ﷻ: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿فَخَذُواهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾^(٥) .

وقال تعالى : ﴿فَأِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾^(٦) .

وقال تعالى : ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمْ نَفِيلاً﴾^(٧) .

وقال تعالى : ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾^(٨) .

(١) سورة الأنفال: الآية رقم (٥٧).

(٢) لسان العرب، (١٩/٩) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٩١).

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم (١١٢).

(٥) سورة النساء: الآية رقم (٩١).

(٦) سورة الأنفال: الآية رقم (٥٧).

(٧) سورة الأحزاب: الآية رقم (٦١).

(٨) سورة الممتحنة: الآية رقم (٢).

قال الأصفهاني -رحمته-: "الثقف الحذق في إدراك الشيء وفعله ومنه استعير المثاقفة، ورمح مثقف أي مقوم وما يتقف به الثقاف، ويقال ثقفت كذا إذا أدركته ببصرك لحذق في النظر ثم يتجاوز به فيستعمل في الادراك وإن لم تكن معه ثقافة قال الله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿فَإِمَّا تَثَقَفَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾^(٢)، وقال عز وجل: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَفْتَنُوا﴾^(٣)، وأخذوا وقْتَلُوا تَفْتِيلًا^(٤).

فما سبق يتبين أن من معاني الثقافة في اللغة :

- التسوية وإقامة الاعوجاج.
 - ضبط العلم المتلقى وسرعة التعلم.
 - الأخذ والظفر وإدراك الشيء.
 - الحذق والفهم والفتانة.
- والخلاصة أن من معاني الثقافة في اللغة العربية والأقرب لموضوع الرسالة: الفهم وإدراك الشيء مع تقويم الاعوجاج.

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٩١).

(٢) سورة الأنفال: الآية رقم (٥٧).

(٣) سورة الأحزاب: الآية رقم (٦١).

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ، ص (٧٩)، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ -

١٩٩٢م، دمشق.

تعريف الثقافة في الاصطلاح:

لمصطلح الثقافة في الاصطلاح تعريفات متعددة ذكرها المفكرون العرب والغربيون^(١) وعرفها مالك بن نبي - رحمه الله - بأنها: "مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"^(٢) وقيل في تعريفها بأنها " مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التي تؤلف الفكر الشامل للإنسان فتكسبه أسباب الرقي والتقدم والوعي"^(٣)

ويظهر أن هذه التعريفات لمصطلح الثقافة في نطاق معناه العام الذي اتجه بعد ذلك إلى تحديد معناه خاص بالثقافة وذلك في مضمونها ومنهجها حيث تركزت في مجالات القيم والنظم والفكر وتميزت بشموليتها التي تدرس بها هذه المجالات بصفاتها بنية مترابطة متداخلة.

وهذا هو المعنى الخاص الذي تعد به الثقافة تخصصاً علمياً متميزاً.

ثم إن بالثقافة بمعنيها العام والخاص تتمايز الأمم عن بعضها؛ ولهذا تأتي الثقافة موصوفة بدين أو مذهب؛ كالثقافة الإسلامية والنصرانية والاشتراكية وغير ذلك.

(١) انظر: الثقافة الإسلامية، ص (٢٥). مجموعة علماء، ط ٥ ١٤٢٤ هـ الأردن، دار المنهاج.

(٢) مشكلة الثقافة، ص (٧٤). الك بن نبي، ط ٤، ١٩٨٤ م دمشق، دار الفكر.

(٣) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص (١٦). د. أمير عبدالعزيز، ١٣٩٩ هـ بيروت، دار الكتاب العربي.

ب- تعريف لفظ (التعظيم) في اللغة والاصطلاح الشرعي:

التعظيم في اللغة:

ورد استعمال كلمة : (عظم) في لغة العرب بعدة معان: فالتعظيم في اللغة مصدر عَظَّمَ يُعَظِّمُ تَعْظِيماً، وهو مأخوذ من مادة: (عَ ظَ مَ) قال ابن فارس -رحمه الله-: (العين والطاء والميم أصل واحد صحيح يدل على كبر وقوة، فالعِظَمُ: مصدر الشَّيْءِ العَظِيمِ. تقول: عَظَّمْتُ يَعْظُمُ عِظْماً، وعَظَّمْتُهُ أَنَا. فإذا عَظَّمْتُ في عينيك قلت: أَعْظَمْتُهُ واستَعْظَمْتُهُ^(١).

والعِظَمُ خلافُ الصَّغَرِ عَظَمَ يَعْظُمُ عِظْماً وَعِظَامَةً كَبُرَ وهو عَظِيمٌ وَعُظَامٌ، وَعَظَمَ الأَمْرَ كَبَّرَهُ وَأَعْظَمَهُ واستَعْظَمَهُ رآه عَظِيماً وتَعَاظَمَهُ عَظُمَ عَلَيْهِ، وَأَعْظَمَ الأَمْرَ فهو مُعَظَّمٌ صَارَ عَظِيماً، ورَمَاهُ بِمُعَظِّمٍ أي بعَظِيمٍ. وقد تَعَظَّمَّ واستَعْظَمَّ ولفلان عَظْمَةً عندَ النَّاسِ أي حُرْمَةً يُعَظَّمُ لها وله مَعَاظِمٌ مثله، وإنه لَعَظِيمٌ المَعَاظِمِ أي عَظِيمٌ الحُرْمَةِ، وَأَعْظَمَ الأَمْرَ وَعَظَّمَهُ فَحَّمَهُ والتَّعْظِيمُ

التَّبْجِيلُ، وَعَظَّمْتُهُ تَعْظِيماً مِثْلُ وَقَرْتُهُ تَوْقِيراً^(٢).

فيتضح مما سبق أن كلمة (عظم) تطلق ويراد بها في لغة العرب: الكبر، والقوة، واستعظام الأمر، والشئ العظيم، والحرمة، والتفخيم، والتبجيل، والتوقير.

ويتضح أن هذه المعاني لكلمة : (عظم) تطلق على الأمور الذاتية الحسية وتطلق على الأمور المعنوية الوصفية، وأنها تدور مع مشتقاتها في أغلب استعمالاتها على تفخيم الشئ وتبجيله وبيان كبره وقوته وحرمته، وهذا ما يستفاد من هذه المعاني اللغوية في تعظيم البلد الحرام وتوقيره وتبجيله.

(١) معجم مقاييس اللغة، (٤/ ٣٥٥) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

(٢) انظر: لسان العرب، (١٢/ ٤٠٩) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

التعظيم في الاصطلاح الشرعي (القرآن الكريم والسنة النبوية) :

المتبع للفظ التعظيم في القرآن الكريم، والسنة النبوية، يجده مذكوراً في عدة مواطن، بعدة معان، وذلك بحسب ما يضاف إليه.

ورود لفظ التعظيم في القرآن الكريم:

ورد لفظ التعظيم في القرآن الكريم مضافاً إلى:

١. حرمة الله ﷻ:

قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(١)

٢. شعائر الله ﷻ:

قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٢)

فهاتان الآيتان الكريمتان بينتا فوائد اجتناب ما نهى الله ﷻ عنه وامتنال ما أمر الله ﷻ به تقديراً واحتراماً وهيبَةً وتبجيلاً لحرمة وشعائر الله ﷻ وأن ذلك دليل على تقواه لربه وأن له جزاءً عظيماً عند ربه في الآخرة.

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في الآية الأولى أي: "ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه في حال إحرامه تعظيماً منه لحدود الله أن يواقعها وحُرْمَتَهُ أن يستحلها، فهو خير له عند ربه في الآخرة"^(٣).

وقال - رحمه الله - في الآية الثانية: "إن الله تعالى ذكره أخبر أن تعظيم شعائره، وهي ما حمله أعلاماً لخلقها فيما تعبدتهم به من مناسك حجهم، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم: من تقوى قلوبهم؛ لم

(١) سورة الحج: الآية رقم (٣٠).

(٢) سورة الحج: الآية رقم (٣٢).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، (٨/٣٥١). أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م بيروت.

يخصص من ذلك شيئاً، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه؛ وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك وقال: ﴿فِيهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ وَأَنْتَ وَلَمْ يَقُلْ: فَإِنَّهُ، لأنه أريد بذلك: فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب، كما قال جل ثناؤه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١). وعنى بقوله: ﴿فِيهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ فَإِنَّهَا مِنْ وَجَلِ الْقُلُوبِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيده.^(٢).

ورود لفظ التعظيم في السنة النبوية:

ورد لفظ التعظيم في السنة النبوية في مواطن عدة: فمنها ما هو صريح في تعظيم الله ﷻ، ومنها ما هو صريح في تعظيم البلد الحرام، مثال ذلك:

١. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال "أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ رَهْبَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا رَأَهُ، أَنْ يَذْكَرَ تَعْظِيمَ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يُقَرَّبُ مِنْ أَجَلٍ، وَلَا يُبْعَدُ مِنْ رِزْقٍ"^(٣).

٢. وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت: "لَمَّا تُوفِّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ بَكِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ الْمُعَرِّيُّ إِمَّا أَبُو بَكْرٍ وَإِمَّا عُمَرُ أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ حَقَّهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسْحِطُ الرَّبَّ لَوْلَا أَنَّهُ وَعَدُ صَادِقٌ وَمَوْعُودٌ جَامِعٌ وَأَنَّ الْآخِرَ تَابِعٌ لِلْأَوَّلِ لَوْجَدْنَا عَلَيْكَ يَا إِبْرَاهِيمُ أَفْضَلَ مِمَّا وَجَدْنَا وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ"^(٤).

(١) سورة الأعراف: الآية رقم (١٥٣).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (٨/٣٥٧). أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م بيروت.

(٣) مسند أبي يعلى الموصلي ٢ / ٥٣٩، مسند أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، ت: حسين سليم أسد، ط ٢، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٤١٠هـ رقم: (١٤١١). قال المحقق: "ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٧ / ٢٧٢-٢٧٤ وقال: "رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه ابن ماجه، (١٧٣٢). كتاب الجنائز، باب: ما جاء في البكاء على الميت، رقم: (١٥٨٩)، قال البوصيري في الزوائد: إسناده حسن. وحسن إسناده الألباني في الصحيحة.

٣. عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "ألا أيُّ شهرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا أَلَا شَهْرُنَا هَذَا قَالَ أَلَا أَيُّ بَلَدٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا أَلَا بَلَدُنَا هَذَا قَالَ أَلَا أَيُّ يَوْمٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمُ حُرْمَةً؟ قَالُوا أَلَا يَوْمُنَا هَذَا قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ أَلَا نَعَمْ قَالَ وَيُحْكُمُ أَوْ وَيُلْكُمُ لَا تَرْجِعَنَّ بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" (١).

٤. وعن عياش بن أبي ربيعة المخزومي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال ﷺ: " لا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا فَإِذَا ضَيَّعُوا ذَلِكَ هَلَكُوا" (٢).

وعند التأمل في الأحاديث نجد أن لفظ التعظيم جاء مضافاً إلى الله ﷻ في الحديث الأول، وكذا الثاني فقولهُ: (أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَظَّمَ اللَّهَ حَقَّهُ): أي أن من شأن الأنبياء أن يصبروا، ويشكروا الله ﷻ على المحن والبلاء، فإنه من فعل المحبوب، والمحبوب معظمٌ عندهم (٣)، فأضيف التعظيم لله ﷻ، ومعنى تعظيم رسول الله ﷺ لله ﷻ: تقديره وخشيته وتبجيله سبحانه وتعالى، كما قال ﷺ: "وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَعْلَمُكُمْ بِمَا آتَيْتَنِي" (٤)، قال الطبري - رحمه الله - في قول الله ﷻ: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٥) "وما أجلوا الله حق إجلاله، ولا عظموه حق تعظيمه" (٦).

(١) رواه البخاري، كتاب الحدود وما يحذر منها، باب: ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق، رقم: (٦٧٨٥)

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب الحج، ٥ / ٢٣٧ باب فضل مكة، رقم (٣١١٠). وحسن إسناده ابن حجر في الفتح.

(٣) انظر: شروح سنن ابن ماجه، (١/٦٢٩) ت: رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، ط١، الأردن: رقم (١٥٨٩) .

(٤) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم (١١١٠).

(٥) سورة الأنفال: الآية رقم (٧٤).

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، (٥٤/٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م بيروت .

وفي الحديث الثالث أضيف التعظيم إلى الحرمة وقد أبلغ ﷺ في تأكيد حرمة الزمان والمكان والدماء والأموال والأعراض وتعظيمها وذلك بأسلوب بليغ موجز أثار كل انتباه ويقظة في قلوب سامعيه من صحابته ﷺ، حتى إنهم استعظموا الأمر وتهيئوه وأقروا بعظمة ما سألهم عنه ﷺ، وكذا الحديث الرابع.

وبعد إيراد معنى التعظيم في القرآن الكريم والسنة النبوية نرى أهمية شرح هذه المصطلحات في البحث، ونرى أيضاً مدى ارتباط المعنى اللغوي كذلك بالبحث وأود أن أشير إلى أن هذه النصوص سأستفيد منها إن شاء الله في ثنايا البحث وبالله التوفيق.

ت- تعريف لفظ (البلد) في اللغة والاصطلاح:

البلد في اللغة:

وردت كلمة (البلد) بعدة معان في اللغة منها:

الْبَلَدُ والْبَلَدُ كل موضع أو قطعة مُسْتَحْيِزَةٍ^(١) عامرة كانت أو غير عامرة، والجمع بلاد وبُلْدَانٌ، والْبُلْدَانُ اسم يقع على الْكُورِ، قال بعضهم الْبَلَدُ جنسُ المكان كالعراق والشام، والْبَلَدُ الجزء المخصص منه كالْبَصْرَةَ ودمشق، والْبَلَدُ مكةُ تفخيماً لها كالنجم للشريا والعودُ للمندل، وْبَلَدَ بالمكانِ أقام يَبْلُدُ بُلُوداً اتخذهُ بَلَداً ولزمه.^(٢) وقال الفيروزآبادي -رحمه الله-: "البلد والبلدة مَكَّةُ، شَرَّفَهَا اللهُ تعالى"^(٣).

مما سبق يتبين أن كلمة البلد في لغة العرب تأتي عامة يراد بها كل موضع، وتأتي بالمعنى الخاص ويراد بها مكة المكرمة البلد الحرام دون غيره تفخيماً وتشريفاً له حتى كأنه هو المحل المستحق للسكنى فيه دون غيره.

البلد في الاصطلاح :

أما تعريف البلد في الاصطلاح فالبلد هو: "المكان المحدد ذو البناء، تستوطنه جماعات من الناس شريطة أن يكون فيه محكمة أو مخفر شرطة أو أسواق تجارية. فإن اجتمعت فيه الثلاث سمي مدينة، فإن لم يوجد شيء مما ذكر سمي قرية."^(٤) وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-:

(١) ذات حدود ومعالم.

(٢) انظر: لسان العرب، (٩٤/٣) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. ؛ وانظر: المحيط في اللغة: (٣١٣/٩) الصاحب إسماعيل بن عباد، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤ هـ، بيروت، لبنان. ، مادة: (بلد).

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (٢٦٢/١) ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥.

(٤) انظر: معجم لغة الفقهاء ص (٩٠): أ.د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط ١، ١٤١٦ هـ، بيروت، لبنان.

"البلد المكان المختط المحدود المتأنس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان قال وَعَلَى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(١) قيل يعني به مكة."^(٢).

فمن خلال إيراد المعنى اللغوي وإيراد المعنى الاصطلاحي نرى أن بينهما عموم وخصوص فالبلد لفظ عام لكل بلد محدد مختط، وخاص يراد به مكة المكرمة البلد الحرام.

(١) سورة البلد: الآية رقم (١).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، ص (١٤٢). الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دمشق.

ث- تعريف لفظ الحرام في اللغة والاصطلاح:

الحرام في اللغة:

ورد لفظ (حرم) في اللغة العربية بعدة معان فتأتي بمعنى:

١. الحرام نقيض الحلال.
٢. الحَرَمَانِ مكة والمدينة.
٣. الحُرْمَةُ وهي ما لا يَحِلُّ لك انتهاكه، والمِحَارِمُ ما لا يحل استحلاله. (١).

وبعد عرض هذه المعاني اللغوية يتبين أن لفظ الحرام يدور حول المنع والحظر.

الحرام في الاصطلاح :

تنوعت عبارات الأصوليين في تعريفهم للحرام، فعرفه بعضهم بأنه : ما دُمَّ شرعاً فاعله، وقيل: ضد الواجب، وقيل : ما نهي عنه نهياً جازماً، وقيل : ما في تركه الثواب، وفي فعله العقاب (٢).

ويتضح أن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي علاقة جزء من كل فكلاهما يشتركان في الحظر والمنع.

(١) انظر: لسان العرب، (١١٩/١٢) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. ؛ القاموس المحيط، (١٩٢٩/١٠) محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ . ، جميعها مادة : (حرم).

(٢) انظر: روضة الناظر وجنة المناظر، (١/١٢٦)؛ موفق الدين أبي محمد عبدالله ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة المعارف. مذكرة أصول الفقه، (٢٩) العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الحكني الشنقيطي رحمه الله تعالى، ط ١، ١٤٢٦، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد . المهذب في علم أصول الفقه المقارن، (١/٢٩٧). أ.د عبدالكريم بن علي بن محمد النملة، ط ١، ١٤٢٠ هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد.

والجملة الاسمية : (البلد الحرام) تتكون من كلمة : (البلد) وكلمة : (الحرام) وقد سبق تعريف كل لفظ منها، وبقي تعريفهما على اعتبارهما علماً رُكِّب تركيباً وصفياً^(١).

(١) المركب الوصفي أو التوصيفي أو البياني الوصفي : يتكون عامة من كلمتين تكون ثانيتهما موضحة معنى الأولى ومرتبطة بها بعلاقة تبين، بدلاً أو توكيدا أو صفة.

ج- مرادفات لفظ: (التعظيم):

مما تميزت به اللغة العربية، لغة القرآن الكريم؛ سعتها وكثرة ألفاظها، قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: "ولسان العرب، أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجوداً فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب، كالعلم بالسنة عند أهل الفقه، لا نعلم رجلاً جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء" (١)

ومن ذلك الثراء في خزانة اللغة العربية؛ الترادف، وهي : ألفاظ عدة تجتمع في معناً واحداً، أو معانٍ متقاربة، قال الإمام فخر الدين الرازي - رحمه الله - معرفاً للترادف: "هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد" (٢)

وللترادف فوائد كثيرة منها :

أولاً : أن تكثر الوسائل، والطرق، إلى الإخبار عما في النفس، فرمما نسي أحد اللفظين، أو عام عليه النطق به، وقد كان واصل ابن عطاء ألثغ ، فلم يحفظ عنه أنه نطق بحرف الراء ، ولولا المترادفات تعينه على قصده لما قدر على ذلك .

ثانياً : التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، لأن اللفظ الواحد قد يتأتى باستعماله مع لفظ آخر السجع ، والقافية والتجنيس .

رابعاً : قد يكون أحد المترادفين أجلى في تعبيره من الآخر. (٣)

وهناك ألفاظ تشترك مع كلمة التعظيم من حيث المعنى ؛ وهي :

- التعزير .

- والتوقير .

(١) الرسالة، ص (٤٢) الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان..

(٢) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، (١/١٢٥) عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ت: محمد أحمد بك/علي محمد الجاوي/محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ط٣، القاهرة.

(٣) انظر: المرجع السابق (١/١٢٦).

- والتبجيل.
- والاحترام.
- والتقديس.
- والإجلال.
- والمهابة.

التعزير :

التعزير: التعظيم والتوقير. وهو تعظيمك الرجل وتبجيلك إياه، وعزّره فخّمه وعظّمه^(١)، قال الفيروزآبادي -رحمه الله تعالى-: "التعزير من الأضداد، يستعمل بمعنى التعظيم، وبمعنى الإذلال. يقال: زماننا العبدُ فيه مُعزَّرٌ مُوقَّرٌ، والحُرُّ فيه مُعزَّرٌ مُوقَّرٌ. الأوّل بمعنى المنصور المعظّم، والثاني بمعنى المضروب المهزّم."^(٢) وقال غير واحد من السلف -رحمهم الله- في قول الله **وَعَلَى**: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُقِرُّوهُ﴾^(٣) التعزير بمعنى: التعظيم، قال ابن جرير الطبري -رحمه الله-: "ومعنى التعزير في هذا الموضع: التقوية بالنصرة والمعونة، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال"^(٤). وقال الراغب الأصفهاني -رحمه الله-: "التعزير: النصرة مع التعظيم"^(٥).

(١) انظر: لسان العرب، (٥٦١/٤) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. تهذيب الصحاح، (٣٠٦/١) محمود بن أحمد الزنجاني، ت: عبدالسلام محمد هارون/أحمد عبدالغفور عطار، دار المعارف، مصر- ؛ مختار الصحاح، (٣٧٨) محمد بن أبي بكر الرازي، مكتبة لبنان، ١٩٨٦م، جميعها مادة: (عز).
(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، (١٥١/٤) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، القاهرة.

(٣) سورة الفتح: الآية (٩).

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٦٦/٩) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص (٥٦٤) ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دمشق. ، مادة: (عز).

وبهذا يظهر جلياً أن من معاني التعزيز في لغة العرب: التعظيم.

التوقير:

التوقير مصدر : وَقَّرَ وهو في لغة العرب على معان عدة منها: التبجيل والتعظيم، قال ابن منظور-رحمه الله-: " وَقَّرَ الرَّجُلَ بِجَلَّةٍ، وَتَعَزَّرُوهُ وَتُوقِّرُوهُ وَتُوقِّرُوهُ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُعَزِّرُوهُ... وَوَقَّرْتُ الرَّجُلَ إِذَا عَظَّمْتَهُ"^(١). ومنه قول الله ﷻ: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾^(٢) قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: "وَتُعَزِّرُوهُ يَعْنِي: الْإِحْلَالَ وَتُوَقِّرُوهُ يَعْنِي: التَّعْظِيم"^(٣)، وقال ابن جرير الطبري-رحمه الله- في المراد بالتوقير في هذه الآية: "فَأَمَّا التَّوَقِيرُ: فَهُوَ التَّعْظِيمُ وَالْإِحْلَالُ وَالتَّفْخِيمُ"^(٤).

ويختلف معنى التوقير عن الوقار إذ الوقار هو الحلم والرزانة إلا أنه أتى بمعنى التعظيم في قول الله ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾^(٥) قال أبو هلال العسكري^(٦)-رحمه الله-: "الفرق بين التوقير والوقار: أن التوقير يستعمل في معنى التعظيم يقال وقرته إذا عظمته وقد أقيم الوقار موضع التوقير في قول ﷻ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: تعظيماً"^(٧).

وبهذا يظهر أن التوقير يأتي بمعنى التعظيم.

(١) لسان العرب، (٢٩١/٥) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

(٢) سورة الفتح: الآية (٩).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٦٦/٩) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٦٦/٩) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٥) سورة نوح: الآية رقم (١٣).

(٦) هو: الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، أبو هلال: عالم بالادب، له شعر. نسبته إلى (عسكر مكرم) من كور الأهواز. من مؤلفاته: (التلخيص في اللغة)، و (جمهرة الأمثال)، توفي بعد سنة: ٣٩٥هـ، رحمه الله تعالى.

(٧) الفروق اللغوية، ص (١٦٧) أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

التبجيل:

التبجيل يأتي بمعنى التعظيم في اللغة العربية قال ابن منظور -رحمه الله- في مادة: (بَجَل): "التَّبْجِيلُ التَّعْظِيمُ بَجَّلَ الرَّجُلَ عَظَّمَهُ وَرَجَلَ بَجَالَ وَبَجِيلٌ يُبَجِّلُهُ النَّاسُ وَقِيلَ هُوَ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الْعَظِيمُ السَّيِّدُ مَعَ جَمَالٍ وَتُبِّلَ وَقَدْ بَجَّلَ بَجَالَةً وَبُجُولًا وَلَا تُوصَفُ بِذَلِكَ الْمَرْأَةُ شَمْرُ الْبَجَالِ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يُبَجِّلُهُ أَصْحَابُهُ وَيَسْوَدُّونَهُ وَالْبَجِيلُ الْأَمْرُ الْعَظِيمُ وَرَجَلَ بَجَالَ حَسَّنَ الْوَجْهَ وَكُلُّ غَلِيظٍ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ بَجِيلٌ وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِقَتْلَى أُحُدَ لَقَيْتُمْ خَيْرًا طَوِيلًا وَوُقَيْتُمْ شَرًّا بَجِيلًا وَسَبَقْتُمْ سَبْقًا طَوِيلًا وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ أَتَى الْقُبُورَ فَقَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَصْبِتُمْ خَيْرًا بَجِيلًا أَيَّ وَاسِعًا كَثِيرًا مِنَ التَّبْجِيلِ التَّعْظِيمِ أَوْ مِنَ الْبَجَالِ الضَّخْمِ وَأَمْرٌ بِجِيلٍ مُنْكَرٌ عَظِيمٌ"^(١).

وبهذا يظهر أن من معاني التبجيل التعظيم .

الاحترام:

الاحترام مصدر لكلمة حرمة، والحرمة: بضم الحاء وتسكين الراء، جمع حرم وحرمات، وهي اسم من الاحترام، وهي بمعنى المهابة، وما لا يحل انتهاكه، ومنه: حرمة الكعبة، أي: احترامه قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٢) أي: ما وجب القيام به، وحرم التفريط به. قال الطاهر بن عاشور^(٣) -رحمه الله-: "والحرمات: جمع حرمة بضمتين: وهي ما يجب احترامه، والاحترام: اعتبار الشيء ذا حرَم، كناية عن عدم الدخول

(١) لسان العرب، (٤٤/١١) محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. مادة: (بجل).

(٢) سورة الحج: الآية رقم (٣٠).

(٣) هو: محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة، وفروعه بتونس، كان مولده ووفاته ودراسته بها. من مؤلفاته: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، توفي سنة: ١٣٩٣هـ، رحمه الله تعالى. (الأعلام للزركلي: ١٧٤/٦).

فيه. أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه ، والحُرْمَات يشمل كل ما أوصى الله بتعظيم أمره" (١)(٢).

وبهذا يظهر أن الاحترام هو: إقامة الحرمة لما لا يحل انتهاكه وذلك بإعطائه العظمة والمهابة قال ابن منظور -رحمه الله-: "لِفِلَانٍ عَظْمَةٌ عِنْدَ النَّاسِ أَي حُرْمَةٌ يُعْظَمُ لَهَا وَلَهُ مَعَاظِمٌ مِثْلُهُ، وَإِنَّهُ لَعَظِيمُ الْمَعَاظِمِ أَي عَظِيمُ الْحُرْمَةِ، وَيُقَالُ تَعَاظَمَنِي الْأَمْرُ وَتَعَاظَمْتُهُ إِذَا اسْتَعْظَمْتَهُ وَهَذَا كَمَا يُقَالُ تَهَيَّبَنِي الشَّيْءُ وَهَيَّبْتُهُ" (٣).

والبلد الحرام ذا حرمة لا يحل انتهاكها.

التقديس :

قال أبو جعفر الطبري -رحمه الله-: "التقديس هو: التطهير والتعظيم" (٤)، فأصل التقديس الطهارة والنزاهة، ومنه قول **وَعَجَلِكْ** : ﴿يَقَوْمٌ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (٥) أي: المطهّرة، وبيت المقدس : أي الموضع الذي يُتَطَهَّرُ فيه من الذنوب ، وروح القدس: أي جبريل **العلِيِّ** لأنه خُلِقَ من طهارة (٦). وأخرج عبد بن حميد وابن جرير الطبري -رحمهما الله-، عن مجاهد -رحمه الله-، في قوله: ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (٧) قال: نعظّمك ونكبّرُك . وأخرجنا أيضاً عن

(١) التحرير والتنوير، (٦٩/٤) محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

(٢) انظر: لسان العرب، (٤٠٩/١٢). محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. وانظر: معجم لغة الفقهاء، ص (١٥٧). د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط١، ١٤١٦هـ، بيروت، لبنان.

(٣) لسان العرب، (٤٠٩/١٢). محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٠/١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٥) سورة المائدة: الآية رقم (٢١).

(٦) النهاية في غريب الأثر، (٤٢/٤). الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١، ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.

(٧) سورة البقرة: الآية رقم (٣٠).

أبي صالح - رحمه الله - في قوله: ﴿وَمَنْ نُسِخَ بِمَحْمَدِكَ وَنُقِدَّسُ لَكَ﴾^(١) قال: نعظمك ونمجّدك.^(٢) ومن أسماء الله **عَبْدُكَ** الحسنی: القدوس، قال الله **عَبْدُكَ**: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣) قال السعدي - رحمه الله -: "﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ أي: المقدس السالم من كل عيب وآفة ونقص، المعظم المجدد، لأن القدوس يدل على التنزيه عن كل نقص، والتعظيم لله في أوصافه وجلاله."^(٤)

وقال ابن القيم - رحمه الله - في نونيته :

هذا ومن أوصافه القدوس ذو التنزيه بالتعظيم للرحمن^(٥)

وبهذا يظهر أن التقديس هو التطهير الناشئ من التعظيم للمقدس والبلد الحرام محل التقديس والتطهير وهو أحق به وأهله.

الإجلال :

مأخوذ من كلمة : (جَلَل)، وجَلَّ الشيءُ يَجِلُّ جَلالاً وجَلالَةً وهو جَلٌّ وجَلِيلٌ وجَلال عَظْمٌ والأُنثى جَلِيلَةٌ وجَلالَةٌ وأَجَلَّهُ عَظَّمَهُ يقال جَلَّ فلانٌ في عَينِي أي عَظَّمُ وأَجَلَلْتُهُ رَأَيْتُهُ جَلِيلاً نَبِيلاً وأَجَلَلْتُهُ في المَرْتَبَةِ وأَجَلَلْتُهُ أي عَظَّمْتُهُ وجَلَّ فلانٌ يَجِلُّ بالكسْرِ جَلالَةٌ أي عَظَّمُ قَدْرُهُ فهو

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٣٠).

(٢) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (١ / ٦٧) الإمام جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط١، ١٤٢١هـ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

(٣) سورة الحشر: الآية رقم (٢٣).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص(٧٩٢) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، بيروت.

(٥) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيد النونية)، ص (٢٤٧)، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٦هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية. البيت رقم : (٣٣٢٢).

جَلِيل، والجَلَلُ الشيء العظيم ، والجَلَلُ من الأضداد يكون للحقير وللعظيم، والجلال : العظمة.^(١)

وبهذا يظهر أن من معاني الإجلال التعظيم. والبلد الحرام ذو جلاله وعظمة.

المهابة والهيبة :

المهابة مصدر : هيبة، والهيبة : الإجلالُ والمخافةُ وقد هابَهُ يهابُهُ كخافَهُ يخافُهُ هَيْباً وهَيْبَةً ومهابَةً، والمهيبُ الذي يُرى له هَيْبَةٌ. وَتَهَيَّبْتُ الشيءَ، وَتَهَيَّبَنِي الشيءُ، أي خفته وخوفني. ورجلٌ مَهَيْبٌ، أي تهابه الناس؛ وكذلك رجلٌ مَهُوبٌ، ومكانٌ مَهَابٌ أي مَهُوبٌ، يقال هابَ الشيءَ يهابُهُ إذا خافَهُ وَإِذَا وَقَّرَهُ وَإِذَا عَظَّمَهُ، وَهَيَّبْتُ إِلَيْهِ الشيءَ، إِذَا جَعَلْتَهُ مَهِيْباً عنده^(٢).

فمن معاني المهابة؛ التعظيم، والبلد الحرم ذو هيبة، وقدر، وهو مهاب.

الشرف والتشريف :

كلمة (شَرَفَ) مصدر التشريف، وتأتي في اللغة العربية بمعان عدة فمنها:

الشَّرْفُ الحَسَبُ بالأبَاء، شَرَفَ يَشْرَفُ شَرَفًا وشُرْفَةً وشَرَفَةً فهو شَرِيفٌ والجمع أَشْرَافٌ، وشَرَفَهُ اللهُ تَشْرِيفًا وتَشَرَّفَ بكذا أي عَدَّهُ شَرَفًا، والشَّرْفُ كل نَشْرٍ من الأَرْضِ قد أَشْرَفَ على ما حوله قَادًا أو لم يَقْدِ سواء كان زَمَلًا أو جَبَلًا، وجبل مُشْرِفٌ عالٍ والشَّرْفُ من الأَرْضِ ما أَشْرَفَ لك ويقال أَشْرَفَ لِي شَرْفٌ، الشَّرْفُ العُلُوُّ والمكان العالِي، ويقال لفلان شرف وهو علو

(١) انظر: لسان العرب، (١١٦/١١)؛ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. وانظر: النهاية في غريب الأثر، (٢٨٧/١) الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١، ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) انظر: لسان العرب، (١ / ٧٨٩). محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. وانظر: تهذيب الصحاح، (٢ / ٢٦١). محمود بن أحمد الزنجاني، ت: عبدالسلام محمد هارون/أحمد عبدالغفور عطار، دار المعارف، مصر

وانظر: النهاية في غريب الأثر، (٥ / ٢٥٨)، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١، ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية. مادة : (هيب).

المنزلة، وهو شريف من الأشراف، وقد شرفت فلاناً وشرفت عليه فهو مشروف ومشروف عليه. وشرفه الله تعالى. (١) ومنه قول رسول الله ﷺ: " لا يَنْتَهَبُ نُهْبَةَ ذَاتِ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسَ إِلَيْهِ أَبْصَارُهُمْ فِيهَا حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ " (٢) أي ذات قَدْرٍ عَظِيمٍ وَرَفِيعَةٍ يَرْفَعُ النَّاسَ أَبْصَارَهُمْ لِلنَّظَرِ إِلَيْهَا وَيَسْتَشْرَفُونَهَا (٣).

والبلد الحرام بلد عظّمه الله تعالى وشرفه فهو ذو قدر عال مرتفع.

التقدير :

التقدير مصدر قَدَرَ، وتأتي في اللغة العربية على معان عدة إذ تأتي بمعنى الحرمة والمكانة، والشرف والوقار، وقَدَّرَ كل شيء ومقداره مَبْلُغُهُ، ويقال ماله عندي قَدْرٌ وَلَا قَدْرٌ أي حرمة ووقار، وقول الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (٤) أي: ما عظموا الله حق تعظيمه (٥)، ومنه قوله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (٦) قال السعدي-رحمه الله:- "سميت ليلة القدر، لعظم قدرها وفضلها عند الله" (٧).

(١) انظر: لسان العرب، (٩ / ١٦٩). محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

وانظر: أساس البلاغة، (١ / ٥٠٣) أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، بيروت، لبنان.

(٢) أخرجه البخاري رحمه الله تعالى، في كتاب المظالم والغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، رقم الحديث: (٢٤٧٥)، وأخرجه مسلم رحمه الله تعالى، في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على لإرادة نفي كماله، رقم الحديث: (٥٧).

(٣) انظر: النهاية في غريب الأثر: (٢ / ١١٤٢)

(٤) سورة الزمّر: الآية رقم (٦٧).

(٥) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: (٧ / ٣٢٨)؛ لسان العرب: (٥ / ٧٤)؛ تهذيب اللغة: (٣ / ١٨٥)؛ الموسوعة الفقهية، (٣٥ / ٣٦٠). ط١، ١٤٠٦هـ، الكويت، ذات السلاسل:

(٦) سورة القدر: الآية رقم (١).

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٨٦٠). العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى،

ط١، ١٤٢٠، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة:

وقال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله-: "من العلماء من قال: القدر هو الشرف كما يقال: فلان ذو قدر عظيم، أو ذو قدر كبير، أي ذو شرف كبير، ومن العلماء من قال: المراد بالقدر التقدير، لأنه يقدر فيها ما يكون في السنة لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿١﴾ أي يفصل ويبيّن، والصحيح أنه شامل للمعنيين، فليلة القدر لا شك أنها ذات قدر عظيم، وشرف كبير، وأنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة من الإحياء والإماتة والأرزاق وغير ذلك" (٢) والبلد الحرام مستحق للتقدير، فهو ذو قدر عظيم، ومكانة كبيرة.

ومن خلال النظر في تعاريف هذه الألفاظ المترادفة نجد أنها تشترك في المعنى مع كلمة:

(التعظيم) وهذا لا يعني أن كل لفظة من هذه الألفاظ تعطي نفس المعنى على وجه التحديد، إذ أن هناك فروقاً دقيقة في المعنى، فقد يكون بعضها أجمع وأمنع من بعض.

لكنها جميعها تدل على أن لغة القرآن الكريم تنزيهاً للمعنى المطلوب إيرادها في البحث، وهو تعظيم البلد الحرام، وتوقيره، وتقديسه، وتقديره، واحترامه، وتشريفه، ومهابته، وهذا ما نلمسه كذلك في دعاء الزائر لبيت الله الحرام فقد روي أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه، ويقول: "اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً ومهابة، وزد من شرفه وعظمه ممن حجه واعتمره تشريفاً وتكريماً وتعظيماً وبراً" (٣).

(١) سورة الدخان: الآية رقم (٤).

(٢) تفسير جزء عم، (ص ٢٧٠). الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى، ط ٢، ١٤٢٣ هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، دار الثريا للنشر والتوزيع،

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦ / ٨٢ رقم (٢٩٦١٥). قال النووي: "هذه الرواية مرسلة وفي إسنادها رجل مجهول، وآخر ضعيف"، تهذيب الأسماء واللغات ٣/ ٢٥، وقال الألباني: "ضعيف جداً بل موضوع"، دفاع عن الحديث النبوي ص (٣٧).

ح- الألفاظ المقابلة للفظ: (التعظيم)

يجدر بالباحث أن يذكر ما يضاد لفظ التعظيم ويقابله في لغة العرب، لأن الضد لا يتبين إلا بضده، وقد يُذكر الشيء في باب ضده لأن التعبير عنه إنما هو به، ولأن الضد يزيد في ضده، وييدي ما خفى منه، ولذلك تجد الضد أقرب خطوراً بالبال مع الضد، ولذلك قالوا: وبضدها تتميز الأشياء.

فالغدر مثلاً ضد الوفاء، والكذب ضد الصدق، والخيانة ضد الأمانة.

والأضداد ظاهرة من الظواهر اللغوية التي أسهمت في نمو الثروة اللفظية والاتساع في التعبير عند العرب. وال ضد: كل شيء ضاد شيئاً ليغلبه، فالسواد ضد البياض والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك، ويجمع على أضداد.^(١) وقد عرّفه أبو الطيب اللغوي -رحمه الله- بقوله: "والأضداد جمع ضد، وضد كل شيء ما نافاه"^(٢).

والضد يختلف عن النقيض، قال الجرجاني -رحمه الله-: "والفرق بين الضدين والنقيضين: أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود، والضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان، كالسواد والبياض"^(٣).

والمتتبع لألفاظ اللغة العربية يجد ألفاظاً تقابل لفظ التعظيم مثل:

- الانتهاك.

(١) انظر: لسان العرب، ٣/ ٢٦٣، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ١ / ٥٥ الخطيب الغزويني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، بيروت، لبنان.

(٢) الأضداد في كلام العرب، ص (٣٣) أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، ت: د. عزة حسن، دار طلاس، ط٢، ١٩٩٦ م،

(٣) التعريفات، ص (١١٧). علي بن محمد بن علي الجرجاني رحمه الله تعالى، ط٢، ١٤١٣ هـ، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

- والتهاون.

- والتحقير.

- والاستخفاف.

يحسن الوقوف على معانيها وذلك زيادة في إيضاح معنى التعظيم من جهة، ومن جهة أخرى تحذير المسلم من الوقوع فيما يقابل التعظيم.

الانتهاك :

مصدر انتهاك ينتهك، وهو مأخوذ من مادة (ن ه ك)، وتأتي في اللغة العربية بعدة معان منها: التَنَقُّصُ. والنَّهْكَ أَنْ تَبَالِغَ فِي الْعَمَلِ فَإِنْ شَتَمْتَ وَبَالِغَتْ فِي شَتْمِ الْعَرِضِ قِيلَ انْتَهَكَ عَرِضَهُ، وانْتِهَاكَ الْحُرْمَةُ تَنَاوَلَهَا بِمَا لَا يَحِلُّ وَقَدْ انْتَهَكَهَا كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " أَنْ قَوْمًا كَانُوا قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا وَانْتَهَكُوا فَأَتَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لِحَسَنٍ لَوْ نُحِبُّرْنَا أَنْ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(١). قَالَ يُبَدِّلُ اللَّهُ شِرْكَهُمْ إِيْمَانًا وَزِنَاهُمْ إِحْصَانًا وَنَزَلَتْ: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾^(٢) الْآيَةَ^(٣) فَقَوْلُهُ: " وَانْتَهَكُوا " : أَي بِالْغَوَا فِي خَرْقِ حِمَامِ الشَّرْعِ وَإِتْيَانِهَا^(٤).

(١) سورة الفرقان: الآية رقم (٧٠).

(٢) سورة الرُّم: الآية رقم (٥٣).

(٣) رواه النسائي، كتاب تحريم الدم، باب: تعظيم الدم، رقم (٤٠٠٣) وصححه الألباني.

(٤) النهاية في غريب الأثر، (٥ / ٢٨٨) الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١،

١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.

التهاون :

مأخوذة من مادة (ه و ن)، وتأتي في اللغة العربية بعدة معان منها: الهين: الذي لا كرامة له، أي: لا يكون على الناس كريماً. وأهانته وهونته واستهان به وهاون به استخف به والاسم الهوان والمهانة ورجل فيه مهانة أي ذل وضعف، والإهانة الاستخفاف بالشيء والاستحقار، واستهان به وهاون به استحقره^(٢).

التحقير :

مصدر كلمة : (حَقَر) والحَقْرُ في كل المعاني الذلَّة حَقَرَ يَحْقِرُ حَقْراً وحُقْرِيَّةً وكذلك الاحتقار والحقير الصغير الذليل، وحَقَرَ إذا صار حقيراً أي ذليلاً وتحقّرت إليه نفسه تصاعرت والتحقير التصغير والمحقرات الصغائر ويقال هذا الأمر محقّرة بك أي حقارة، وحقّر الشيء بالضم حقارة هان قدره فلا يُعبأ به فهو حقير^(٣).

الاستخفاف :

مصدر كلمة (خَفَّ) و الخفّة والخفّة ضد الثقل والرُجوح، ويكون في الجسم والعقل والعمل، وخفَّ يخفُّ خفّاً وخفّة صار خفيفاً، فهو خفيفٌ، وخفّافٌ بالضم، واستخف به أهانه، واستخفّ فلان بحقي إذا استهان به^(٤).

←=

(١) انظر: لسان العرب، ١٠ / ٤٩٩ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. ، أساس البلاغة ١ / ٤٩٢ أبو القاسم جار الله محمود الزنجشيري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، بيروت، لبنان ،

(٢) انظر: لسان العرب، ١٣ / ٤٣٨ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. ، معجم لغة الفقهاء ص (١٢٩) د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط١، ١٤١٦ هـ، بيروت، لبنان. .

(٣) انظر: لسان العرب، ٤ / ٢٠٧ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ص (٥٥). أحمد محمد علي الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧ م،

(٤) انظر: لسان العرب، ٩ / ٧٩ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م. ، معجم لغة الفقهاء : ١ / ١٤٩ د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط١، ١٤١٦ هـ، بيروت، لبنان.

فالاستخفاف عدم بذل ما يجب بذله في حق غيره.

وفي خاتمة تعريف مفردة التعظيم وما يرادفها وما يقابلها يجد الباحث نفسه مضطراً للحديث عن عظمة هذا الدين الإسلامي وخطورة الكلمة فيه ودلالاتها على الخير والشر في سلوك الإنسان وأخلاقه فكم بين التعظيم والانتهاك من بون شاسع يدل على خلق متنافر يزداد ألمه ويعظم خطره عندما يكون هذا التعظيم أو الانتهاك مرتبط بالبلد الحرام الذي حرمه وعظمه الله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنون، ولن يخرج المسلم من جناب التعظيم إلى حضيض الانتهاك إذا استمسك بالأخلاق الإسلامية المرتبطة بالعتيدة وتكاليف الشريعة التي أرست القيم الرفيعة المتصلة بجميع نواحي الحياة.

خ- تعريف مصطلح : (البلد الحرام):

اتفق العلماء على أن المراد بالبلد الحرام باعتباره مركباً وصفيّاً: مكة المكرمة، وهو أشهر من أن يُعرّف، فالصبح لا يتمارى في إسفاره!، وهل يخفى على الناس النهار!، قال أبو الطيب المتنبي^(١) -رحمه الله-:

وليس يصح في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

والمتأمل في القرآن الكريم لن يجد مصطلح : (البلد الحرام) مذكوراً فيه، ولكن يجد معناه جليّاً، في قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^(٢). وقد ذكرها الله عزو جل في هذه الآية بفضيلتين: الأولى : بإضافتها إليه، والثانية: بتحريمها.

ولقد أتى لفظ : (البلد) مفرداً، نكرةً، غير مركب: كما في قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾^(٣).

وجاء بلفظ : (البلد)، كما في قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾^(٤).

ولم يأت في القرآن الكريم لفظ: (الحرام) مفرداً، إنما ورد مركباً تركيباً وصفيّاً، إذ جاء صفةً، للمسجد، والشهر، والمشعر، والبيت، كما في قول الله ﷻ: ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾^(٥) وفي قول الله ﷻ: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾^(٦) وفي قول الله ﷻ:

(١) شرح ديوان المتنبي، ٢ / ١١٧ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٧ هـ بيروت، لبنان.

(٢) سورة النمل: الآية رقم (٩١).

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٤) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٥).

(٥) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٤).

(٦) سورة البقرة: الآية رقم (١٩٤).

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾^(١). وفي قول الله ﷻ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾^(٢).

وورد بلفظ: (حرماً)، مصدر سماعي لفعل حَرَمَ يَحْرِمُ كما في قول الله ﷻ: ﴿أَوْلَمْ تُمْكِنَ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾^(٣) وقول الله ﷻ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٤)، والمقصود به: البلد الحرام.

وأما في السنة النبوية فقد جاء لفظ (البلد الحرام) معرفاً، ومبيناً، ومنصوصاً عليه.

فعن أبي بكره رضي الله عنه قال: "خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ أَتَذَرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ قُلْنَا بَلَى قَالَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ قُلْنَا بَلَى قَالَ فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ قَالُوا نَعَمْ قَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"^(٥). فسمى النبي ﷺ مكة المكرمة: بالبلدة الحرام، "بتأنيث البلد وتذكير الحرام وذلك أن لفظ الحرام اضمحل"^(٦) منه معنى الوصفية وصار اسماً"^(٧).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٩٨)..

(٢) سورة المائدة: الآية رقم (٩٧).

(٣) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٤) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب الفتن، باب: قول النبي ﷺ: "فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" رقم (٧٠٧٨).

(٦) اضمحل: أي ذهب. انظر لسان العرب، ١١ / ٣٩٦. محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠م - ١٩٩٠م.

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣ / ٦٧٣ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القاهرة، مصر،

واستخدم ﷺ أسلوبًا أثار في صحابته ي كل انتباهه ويقظة حيث قررهم في كل سؤال، وسكت بين كل سؤال وسؤال، وهذا السؤال والسكوت أراد به التفخيم والتنبيه والتقريب على عظم مرتبة هذا الشهر واليوم والمكان.

وقال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في قول الله ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ "يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة" (٢) وقال ابن منظور - رحمه الله -: "مَكَّةُ معروفة البلد الحرام" (٣).

وبعد هذا العرض يتضح أن أهل اللغة العربية والمفسرين وشراح الحديث اتفقوا على أن المراد بالبلد الحرام: مكة المكرمة، التي هي موضوع البحث فهي جديرة بهذا الاهتمام.

(١) سورة البلد: الآية رقم (٢).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، (١٠ / ٧٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١٤٢٠هـ، ١٤٠٠م بيروت .

(٣) لسان العرب، ١٠ / ٤٩٠. محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

تعريف مصطلح : (ثقافة تعظيم البلد الحرام):

أستطيع بعد الوقوف على المعاني اللغوية والاصطلاحية للمفردات السابقة أن نعرف مصطلح: (ثقافة تعظيم البلد الحرام) بأنها :

التعبد لله ﷻ، اعتقاداً، وعبادةً، وسلوكاً، بإعطاء مكة المكرمة مكانتها من الاحترام، والتقديس، والإجلال، والهيبة، والتميز، والقيام بواجبها الذي فرضه الشرع، والبعد عن كل ما يخل بجرمتها، وحرمة ساكنيها، والوفاد إليها.

فثقافة تعظيم البلد الحرام عند كل مسلم لا بد أن تشمل: اعتقاد تعظيمها، وتعظيم التعبد لله ﷻ فيها، وتعظيم سلوك المسلم وعمله، والعمل على نشر هذه الثقافة وتعليمها للنشء المسلم، حتى يشب على تعظيم البلد الحرام، على مستوى العالم الإسلامي، فإذا ما قدر له زيارة البلد الحرام، عرف كيف يتعامل، أو يعيش فيه خلال فترة إقامته.

د- تعريف الأثر في اللغة والاصطلاح:

الأثر في اللغة:

الأثر في اللغة العربية بمعان عدة منها:

بقية الشيء، وأثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، والجمع آثار وأثر، وخرجت في إثره وفي أثره أي بعده، وأُثِرَتْهُ وتَأَثَّرَتْهُ وتتبع أثره، ويقال آثرَ كذا وكذا، أي أتبعه إياه، والأثر بالتحريك ما بقي من رسم الشيء، والتأثير إبقاء الأثر في الشيء، وأثر في الشيء ترك فيه أثراً، والآثار الأعلام، والأثير من الدواب العظيمة، الأثر في الأرض بحفها أو حافرها بيّنة الإثارة، والأثر الأجل وسمي به لأنه يتبع العمر، والأثر مصدر قولك آثرْتُ الحديث أثره إذا ذكرته عن غيرك، الخبر، وأثره العلم وأثرته وأثارته بقية منه تُؤَثَّرُ أي تروى وتذكر، وأثر السيف ضربه، والأثر بالضم أثر الجرح يبقى بعد البرء.^(١) فالمعنى اللغوي للأثر في غالبه لا يخرج عن كونه: ما يبقى بعد الشيء.

الأثر في الاصطلاح:

لا يخرج استعمال الأثر، في الاصطلاح عن المعنى اللغوي، فاستعمال الفقهاء والأصوليين للفظ: (أثر) يأتي بمعنى، البقية، ويطلقونه على بقية النجاسة ونحوها، كما يطلقونه بمعنى الخبر، فيريدون به الحديث المرفوع، أو الموقوف، أو المقطوع، وبعض الفقهاء يقصرونه على الموقوف، ويطلقونه بمعنى ما يترتب على الشيء، وهو المسمى بالحكم عندهم، كما إذا أضيف الأثر إلى الشيء فيقال: أثر العقد، وأثر الفسخ، وأثر التكاح، وغير ذلك.^(٢)

(١) انظر: لسان العرب، ٤ / ٥ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. ، القاموس المحيط، ١ / ٣٤٥ محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥، ، مفردات ألفاظ القرآن، ص (٩) الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دمشق. ، جميعها مادة (أثر).

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، ١ / ٢٢٥. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الكويت.

قال الجرجاني^(١) -رحمه الله-: "الأثر، له ثلاثة معان: الأول بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء، والثاني بمعنى: العلامة، والثالث بمعنى: الجزء."^(٢). وبهذا يظهر لنا اتفاق المعنى اللغوي، والاصطلاحي، في بيان معنى الأثر .

ومقصود الباحث هو: الأثر المرجو تحقيقه بثقافة تعظيم البلد الحرام، لدى المجتمع الإسلامي، إذ هو نتيجة ثقافة التعظيم في حقيقة أمره، وهو العلامة الدالة على تعظيم البلد الحرام.

(١) هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، ولد عام: ٧٤٠هـ، له نحو خمسين مصنفًا، منها: (شرح مواقف الإيجي)، و(شرح التذكرة للطوسي)، توفي سنة: ٨١٦هـ، رحمه الله تعالى.

(٢) التعريفات، (ص ٢٣). علي بن محمد بن علي الجرجاني رحمه الله تعالى، ط ٢، ١٤١٣هـ، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.

ذ- تعريف المجتمع في اللغة والاصطلاح:

المجتمع في اللغة :

المجتمع : مصدر ميمي لكلمة : (جَمَعَ) ، وتأتي في لغة العرب، بمعان عدة ، منها: جَمَعَ الشيء عن تفرقة يَجْمَعُهُ جَمْعاً وجمَّعه وأجمَّعه، والجموع الذي جُمع من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد، واستجمع السيل اجتمع من كل موضع، وجمعت الشيء إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمع القوم اجتمعوا أيضاً من ههنا وههنا، وتجمع البيداء مُعْظَمُهَا ومُخْتَفَلُهَا، والجُمع اسم لجماعة الناس، والجُمع مصدر قولك جمعت الشيء والجمع المجتمعون وجمعه جُموع والجماعة والجميع والمجمع والمجمعة كالجمع، والجميع ضد المتفرق، والجميع الحي المجتمع، واستجمع الوادي إذا لم يبق منه موضع إلا سال، واستجمع القوم إذا ذهبوا كلهم لم يبق منهم أحد كما يستجمع الوادي بالسيل، وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه عزم عليه كأنه جمع نفسه له والأمر جُمع ويقال أيضاً أجمع أمرك ولا تدعه مُنتشراً، وجمع علم للمؤدفة^(١).

وعند تأمل هذه المعاني نجد أن كل معاني لفظ : (جمع)، في اللغة العربية تدل على

الكثرة

والاجتماع من كل شيء.

المجتمع في الاصطلاح :

تعددت تعريفات علماء الاجتماع في تعريف المجتمع، اذكر منها:

١. جماعة من أفراد يتفاعلون معاً، ويقومون في نفس الإقليم، ويشاركون في ثقافة عامة.
٢. مجموعة من الأفراد تكون في حالة اتصال دائم ولها أهداف ومصالح مشتركة متبادلة.

(١) انظر: لسان العرب، ٨ / ٥٣ محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ص (١٠٠) إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٩٠، بيروت، لبنان. مادة (جمع).

٣. النظم والثقافة التي تتحقق عند جماعة من الناس.^(١)

فهذه بعض التعريفات لمصطلح المجتمع يتضح منها: أن المجتمع يتكون من مجموعة أفراد يربطها رابط مشترك، يجعلها تعيش عيشة مشتركة، وتنظم حياتها؛ علاقات منتظمة، معترف بها فيما بينهم، فقد يكون هذا الرابط المشترك أرضاً، كالمجتمع السعودي، والمصري، وغيره، وقد يكون ثقافةً، وتاريخاً، ومبادئ كالمجتمع القومي، والعربي، والتركي، والروسي، وغيره، وقد يكون الرابط المبادئ السائدة، والمعتقدات المشتركة، وما يتولد عنها من أفكار وعواطف وسلوك وهو المجتمع العقائدي، كالمجتمع الإسلامي، والمجتمع الاشتراكي.

وقد يتعدد انتماء الإنسان إلى أكثر من مجتمع، كأن ينتمي إلى المجتمع السعودي، وإلى المجتمع العربي، وإلى المجتمع الإسلامي.

وإن كان الاختلاف بعد ذلك في ترتيب هذه الانتماءات، من حيث الأهمية^(٢).

(١) انظر: مبادئ علم الاجتماع، ص ١١٥، د. طلعت إبراهيم لطفي، مؤسسة الأنوار ط ٢، ١٩٨٤م، الرياض، المملكة العربية السعودية، المجتمع، ص (١٦). روبرت موريسون ماكيفر، وشارلز هنط بدج، ترجمة د. علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦١م، القاهرة، مصر.

(٢) انظر: المجتمع الإسلامي المعاصر، ص (٧). محمد المبارك، ط ١٣٩٢هـ، بيروت، لبنان.

ر- تعريف الإسلام في اللغة والاصطلاح:

الإسلام في اللغة :

هو : الانقياد، والطاعة، والتسليم.^(١)

الإسلام في الاصطلاح :

هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك، ومعاداة أهله، وهو دين جميع الأنبياء، والمراد به هنا: الدين الذي أنزل على محمد ﷺ وهو عقيدة وشريعة وأخلاق.^(٢)

(١) انظر: لسان العرب، ١٢ / ٢٨٩، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م. القاموس المحيط، ٣ / ٢٤٠. محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ بيروت، لبنان .

(٢) انظر: معجم لغة الفقهاء ١ / ٦٨ : أ.د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط١، ١٤١٦هـ، بيروت، لبنان.

ز- تعريف مصطلح : (المجتمع الإسلامي):

لقد أحدث الإسلام أثراً عميقاً في كثير من شعوب العالم ولا سيما الشعب العربي، الذي حمل دعوته، ونشر حضارته، ونزل القرآن الكريم بلسانه، وبلغ هذا التأثير درجة من القوة والعمق والشمول جعلت هذه الشعوب التي دانت بالإسلام منطبعة بطابع إسلامي، في تركيبها الاجتماعي، وفي تكوينها الفكري وثقافتها وكثير من عاداتها، حتى أضحت هذه الشعوب متسمة بطابع الإسلام في مجتمعاتها، على اختلاف أجناسها وألسنتها.

ولذا وضع بعض الباحثين المسلمين تعريفات للمجتمع الإسلامي ينسجم مع مبادئ وقواعد الشريعة الإسلامية، فمن هذه التعريفات: "المجتمع المسلم هو ذلك المجتمع الذي تميز عن المجتمعات الأخرى بنظمه الخاصة، وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة واحدة، ويتوجهون إلى قبلة واحدة، ولهذا المجتمع وإن تكون من أقوام متعددة، وألسنة متباينة خصائص مشتركة، وأعراف عامة، وعادات موحدة."^(١) وعرفه آخرون بأنه: "خلائق مسلمون في أرضهم مستقرون، تجمعهم رابطة الإسلام، وتدار أمورهم في ضوء تشريعات إسلامية وأحكام، ويرعى شؤونهم ولاة أمر منهم وحكام."^(٢)

فمن هذه التعريفات للمجتمع الإسلامي يتضح أنه مجتمع رباني، حددت أهدافه ورسمت ملامحه من قبل، واستمد تنظيمه من نصوص الشريعة الإسلامية السمحة وأحكامها، التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فليس من الضروري إذاً أن تكون هناك أرض معينة لهذا المجتمع، وليس من الضروري أن يعيش أفرادهم معاً لفترة طويلة، وأهدافهم ومصالحهم ليست مشتركة، بل هي واحدة، وليس للعادات أو التقاليد، أو اللغة أو التاريخ، أو العنصر دخل في تكوين هذا المجتمع، بل إنه يقبل كل من آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً.

(١) المجتمع الإسلامي، ص ١٧. محمد أمين المصري، دار القلم، ط ٤، ١٤٠٦ هـ، الكويت.

(٢) الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي، ص (١٤) حسن عبد الغني أبو غدة وآخرون مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٧ هـ، الرياض.

ومن خلال التعريفات السابقة في تمهيد هذه الرسالة يمكنني أن أستخلص المعنى العام والمدلول الكلي الذي يؤخذ من عنوان البحث :

(ثقافة تعظيم البلد الحرام وأثرها على المجتمع الإسلامي)

بأنها: الآثار الإيجابية، التي يتركها القيام بما ينبغى للبلد الحرام، على الفرد، والمجتمع الإسلامي في إيمانه وأخلاقه، على مر العصور.

الفصل الأول

مظاهر تعظيم البلد الحرام وأنواعه

وأعني بها الأدلة والشواهد على المكانة التي نالها البلد الحرام عند الله ﷻ ،
وعند رسله عليهم السلام ، وعند الناس ، على النحو التالي :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعظيم الله ﷻ للبلد الحرام.

المبحث الثاني : تعظيم أنبياء الله ﷻ للبلد الحرام.

المبحث الثالث : تعظيم الناس للبلد الحرام.

المبحث الأول

تعظيم الله ﷻ للبلد الحرام

وفيه تسعة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول: قَسَمُ اللهُ ﷻ بالبلد الحرام.

المطلب الثاني: أَمَنَ اللهُ ﷻ للبلد الحرام وأهله.

المطلب الثالث: ذَكَرُ اللهُ ﷻ للبلد الحرام بأسماء عدةٍ في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: تَحْرِيْمُ اللهُ ﷻ للبلد الحرام، وإضافته إليه وحبه له.

المطلب الخامس: مَضَاعِفَةُ أَجْرِ الصَّلَاةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ.

المطلب السادس: الْآيَاتُ الْبَيِّنَاتُ الَّتِي اخْتَصَّ اللهُ ﷻ بِهَا الْبَلَدَ الْحَرَامَ.

المطلب السابع: الْبَيْتُ الْحَرَامُ قِيَامٌ لِلنَّاسِ.

المطلب الثامن: الْبَلَدُ الْحَرَامُ مَوْلِدُ خَيْرِ الْخَلْقِ ﷺ وَإِنزَالُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

المطلب التاسع: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ.

المطلب الأول:

قَسَمَ اللهُ عز وجل بالبلد الحرام

مما يدل على تعظيم الله ﷻ للبلد الحرام قسمه به في القرآن الكريم:

أ) قال الله ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ (١)﴾

ب) وقال الله ﷻ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٢)﴾

ولقد اتفق علماء التفسير -رحمهم الله- على أن البلد المقسوم به في سورتي البلد والتين هو مكة المكرمة لأن السورتين مكيتان والمشار إليه فيهما قريب وهي مكة المكرمة قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في الآية الأولى: "يقول تعالى ذكره: أقسم يا محمد بهذا البلد الحرام، وهو مكة، وكذلك قال أهل التأويل" (٣)، واللام النافية قبل القسم في قول الله ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ للتأكيد أي: أقسم بهذا البلد. وقال القرطبي -رحمه الله-: "قوله: ﴿الْبَلَدِ﴾: هي مكة أجمعوا عليه. أي: أقسم بالبلد الحرام الذي أنت فيه لكرامتك علي وحيي لك" (٤).

ولابن القيم -رحمه الله- كلام نفيس في هذه الآيات يحسن ذكره، قال: "والمقصود أنه سبحانه أقسم في سورة البلد على حال الإنسان وأقسم سبحانه بالبلد الأمين وهو مكة أم القرى، ثم أقسم بالوالد وما ولد وهو آدم وذريته في قول جمهور المفسرين وعلى هذا فقد تضمن القسم أصل المكان وأصل السكان فمرجع البلاد إلى مكة ومرجع العباد إلى آدم وقوله ﴿وَأَنْتَ

(١) سورة البلد: الآيات رقم (١-٣).

(٢) سورة التين: الآية رقم (٢).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠ / ٧٢، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، ٥ / ١٠، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ط ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

حَلُّ بَهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾: فيه قولان أحدهما: أنه من الإحلال وهو ضد الإحرام والثاني: أنه من الحلول وهو ضد الظعن، فإن أريد به المعنى الأول، فهو حلال ساكن البلد بخلاف المحرم الذي يحج ويعتمر ويرجع، ولأن أمنه إنما تظهر به النعمة عند الحل من الإحرام، وإلا ففي حال الإحرام هو في أمان، والحرمة هناك للفعل لا للمكان، والمقصود هو ذكر حرمة المكان، وهي إنما تظهر بحال الحلال الذي لم يتلبس بما يقتضي أمنه، ولكن على هذا ففيه تنبيه: فإنه إذا أقسم به وفيه الحلال، فإذا كان فيه الحرام فهو أولى بالتعظيم والأمن، وكذلك إذا أريد المعنى الثاني: وهو الحلول فهو متضمن لهذا التعظيم، مع تضمنه أمراً آخر، وهو الإقسام ببلده المشتمل على رسوله وعبده، فهو خير البقاع، وقد اشتمل على خير العباد، فجعل بيته هدى للناس، ونبيه إماماً وهدايا لهم، وذلك من أعظم نعمه وإحسانه إلى خلقه، كما هو من أعظم آياته ودلائل وحدانيته وربوبيته، فمن اعتبر حال بيته، وحال نبيه، وجد ذلك من أظهر أدلة التوحيد والربوبية. وفي الآية قول ثالث: وهو أن المعنى وأنت مستحل قتلك وإخراجك من هذا البلد الأمين، الذي يأمن فيه الطير والوحش والجاني، وقد استحل قومك فيه حرمتك، وهم لا يعضدون به شجرة، ولا ينفرون به صيداً، وهذا مروى عن شرحبيل بن سعد، وعلى كل حال فهي جملة اعتراض

في أثناء القسم، موقعها من أحسن موقع وأطفه، فهذا القسم متضمن لتعظيم بيته ورسوله" (١).

وقال ابن جرير الطبري - رحمه الله - في الآية الثانية: "وإنما عني بقوله: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: مكة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل" (٢).

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص (٣٥) محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقهي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠ / ١٤١ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

فأقسم الله ﷻ بالبلد الأمين، وهو مكة المكرمة مظهر خاتم أنبيائه ورسله ﷺ سيد ولد آدم، وترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل، فبدأ بموضع مظهر المسيح، ثم ثنى بموضع مظهر الكليم، ثم ختمه بموضع مظهر عبده ورسوله وأكرم الخلق عليه ﷺ، ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله ﷻ على كليمه موسى ﷺ وفيها: "جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من فاران" فمجيئه من طور سيناء، بعثته لموسى بن عمران ﷺ، وبدأ به على حكم الترتيب الواقع، ثم ثنى بنبوة المسيح، ثم ختمه بنبوة محمد ﷺ، وجعل نبوة موسى ﷺ بمنزلة مجيء الصبح، ونبوة المسيح بعده بمنزلة طلوع الشمس وإشراقها، ونبوة محمد ﷺ وعليهما بعدهما، بمنزلة استعلائها وظهورها للعالم، ولما كان الغالب على بني إسرائيل حكم الحس، ذكر ذلك مطابقتاً للواقع، ولما كان الغالب على الأمة الكاملة حكم العقل، ذكرها على الترتيب العقلي، وأقسم بها على بداية الإنسان ونهايته^(١).

ومكانة البلد الحرام ظاهرة في قسم الله ﷻ، وذلك أن القسم بالشيء يدل على تعظيم ذلك المقسم به تعظيماً خاصاً لدى المقسم، ثم إنه ﷻ أقسم به بأسلوب رائع، فمن روائع القسم في القرآن الكريم وقوعه في ابتداء السور المكية، وللقسم أثر نفسي، وفي البدء به جذب لانتباه السامع، فوقع القسم على سمعه فيه شيء من الرهبة، توجب لسامعه تهيؤ نفسي لتلقي ما يقال، خاصة والقسم في أوائل السور يعطيها نضرة في بهجتها، ورونقا في ديباجتها، فتلمع الأقسام في قسامات السور كالغرة البارقة، ولا سيما وقد أتت بما يألفه العرب ويحبونه ويمجدونه، فأقسم ﷻ بالبلد الحرام وهي محبوبتهم مكة المكرمة^(٢)، وذلك ليعظموها حق تعظيمها بتوحيد الله ﷻ ونبد الشرك وتطهير القلوب والأبدان من الأخلاق السيئة تعظيماً لله ﷻ وبلده التي أقسم بها ولاسيما وهي حبيبة لنفوسهم ومقربة في قلوبهم، وذلك أدعى لتعظيمها، وهاهم يرون الناس يفتنون إليها في كل عام قاصدين البلد الحرام تعظيماً له وشوقاً إليه، فحري بكل مؤمن

(١) التبيان في أقسام القرآن، ص (٤٤). محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: الواضح في علوم القرآن، ص ٢١٠ مصطفى ديب البغا، ومحي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ط ٢، ١٤١٨ هـ، دمشق.

أكرمه الله ﷻ بسكنى البلد الحرام أو الوفاة إليه أن يتأمل هذا القسم، ثم يطبقه واقعاً عملياً بتعظيم هذا البلد بكل قول وفعل إيجابي يضع البلد الحرام في مكانته التي وضعها الله ﷻ ويسعى في إزالة كل ما يחדش تعظيم البلد الحرام من قول وفعل أضر بالبلد الحرام والوافدين إليه.



المطلب الثاني :

أمن الله ﷻ للبلد الحرام وأهله

الله ﷻ هو : ﴿السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾^(١) : فهو الذي يؤمن عباده المؤمنين فلا يأمن إلا من آمنه، وهو الذي يهب عباده المؤمنين الأمن في الدنيا بالطمأنينة والأنس الذي يجدونه في قلوبهم بسبب إيمانهم به وتوحيدهم له، وهو الذي يؤمن خوف عباده الذين يلجأون إليه بصدق في كشف كربتهم وتأمين خوفهم، وهو الذي يؤمن عباده المنقادين لشرعه بما يشرع لهم من الأحكام والحدود التي يأمنون فيها على دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم، وأموالهم، سواء على مستوى الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع، وهو الذي يؤمن عباده المؤمنين عند نزول الموت حال الاحتضار بأن يسمعوا تطمين ملائكة الرحمة لهم وتبشيرهم بالجنة، وتأمين خوفهم وحزنهم، كما قال ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ تَزُولُ مِنْ عَفْوَ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ، وهو الذي يؤمن عباده يوم الفزع الأكبر من مخاوف يوم القيامة ومن عذاب النار، كما قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا نُفْسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٣﴾ .

وهو الذي يؤمن لجميع خلقه، كل ما يأمن بقاء حياتهم إلى الأجل الذي أجل لهم بتوفير رزقهم، كما قال ﷻ : ﴿وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) ، والمقصود أن الأمن من الله ﷻ وهو الذي يؤمن من يشاء، ويختار ما يشاء، فهو

(١) سورة الحشر: الآية رقم (٢٣).

(٢) سورة فصّلت: الآية رقم (٣٢).

(٣) سورة الأنبياء: الآية رقم (١٠٣).

(٤) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٠).

المتفرد بالخلق والاختيار وهو أعلم بمواقع اختياره كما قال ﷺ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)

وقد اختار الله ﷺ البلد الحرام ليكون بلداً آمناً، يأمن فيه كل ما كان عليه من إنسان أو حيوان أو جماد.

وقد ذكر الله ﷺ في القرآن الكريم أمن البلد الحرام في مواطن عدة:

- قال الله ﷺ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٢).
- وقال الله ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(٣)
- وقال الله ﷺ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٤)
- وقال الله ﷺ: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾^(٥)
- وقال الله ﷺ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِئَابًا بَاطِلِينَ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٦)
- وقال الله ﷺ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾^(٧)
- وقال الله ﷺ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٨)

(١) سورة القصص: الآية رقم (٦٨).

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

(٥) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٦) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٧).

(٧) سورة التين: الآية رقم (٣).

(٨) سورة قريش: الآية رقم (٤).

ولعلي أقف على بعض أقوال المفسرين -رحمهم الله- في الآيات السابقة: قال الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله-: "ومن يدخله البلد الحرام من الناس مستجيراً به يكن آمناً مما استجار منه ما كان فيه حتى يخرج منه، فإن قال قائل وما منعك من إقامة الحد عليه فيه قيل: لاتفاق جميع السلف على أن من كانت جريرته في غيره ثم عاذ به فإنه لا يؤخذ بجريرته فيه، فأما من أصاب الحد فيه، فإنه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد. فكلتا المسألتين أصل مجمع على حكمهما"^(١).

وقال الشيخ ابن عاشور -رحمه الله-: "لقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختلت الثلاثة الأخيرة، وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام"^(٢).

وقال الزمخشري -رحمه الله-: "كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضاً ويتغاورون، ويتناهبون، وأهل مكة قارون آمنون فيها، لا يُغزون ولا يُغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب، فذكّرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم، ووبّخهم بأنهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه، ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم - التي لا يقدر عليها إلا الله وحده - مكفورة عندهم"^(٣).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣ / ١٤٠ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، بيروت.

(٢) التحرير والتنوير، ١ / ٤٩٦ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس

(٣) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٣ / ٤٦٤ جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، بيروت.

وقال البقاعي - رحمه الله -: " ﴿الْأَمِينِ﴾ أي: أي الذي يأتمنه آخر على نفسه وما يعز عليه فيؤديه إليه ويوقره عليه، وأمانته شاملة لكل ما يخشى حتى الفقر والعيلة والجوع وتغير الدين بعد تقرر، مع أنه به البيت الذي جعله الله هدى للعالمين وقياماً للناس، فهو مدار الدين والدنيا، وكان به من الأسرار بالوحي وآثاره ما لم يكن في بلد من البلاد، وذلك إشارة إلى أنه تعالى كما جعل النبي المبعوث منه في آخر الزمان في أحسن تقويم، جعله في أحسن تقويم البلدان، إذ كان آمناً من غير ملك مرهوب والناس يتخطفون من حوله، وهو محل الأُنس بالناس، كما أن الذي قبله محل الأُنس بالانفراد، وهو مجمع المرافق ومعدن المنافع، ومحل ذوي الوجاهة ديناً ودنياً، ومحل الرفعة والمناصب، مع ما حازه المكانان من تنزل الكتب السماوية، وإشراق الأنوار الإلهية الدينية فيهما، وفي ذلك تخويف لهم بأنهم إن لم يرجعوا عن غيهم، أخافه إخافة لم يخفها بلداً من بلاد العرب، فيكونون بذلك قد ردوا أسفل سافلين في البلد، كما ردوا في الأخلاق بالشقاق واللداد " (١) وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير سورة قريش: " المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك، ثم يرجعون إلى بلادهم آمنين في أسفارهم؛ لعظمتهم عند الناس، لكونهم سكان حرم الله، فمن عرفهم احترامهم، بل من صوفي إليهم وسار معهم أمن بهم، هذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم، وأما في حال إقامتهم في البلد، فكما قال الله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَاءً آمِنًا وَيُخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ " (٢)

فمن الآيات السابقات وأقوال المفسرين لها يتضح أن الله ﷻ أمن بيته وبلده وجعله مثابة للناس، وأن دعوة نبي الله إبراهيم ﷺ كانت في أمن هذا البلد الذي إذا أمن كان من ثمار ذلك الأمن: إقامة الناس فيه وإقبالهم عليه، وتعميره، وازدهاره، ولا أمن إلا بالعدل والعزة والرخاء، وأن الله امتن بالأمن على قريش في حال بقائها في البلد الحرام إذ يتخطف الناس من

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣ / ٣٢٥. برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق

غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بيروت.

(٢) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٧).

حولهم وهم آمنون في بلدهم، وامتن عليهم بالأمن في سفرهم وتنقلهم في رحلة الشتاء والصيف، وقرن بين الأمن وازدهار التجارة وبين الجوع والخوف، وهذا يؤكد أنه لا نماء ولا استقرار ولا ازدهار اقتصادي إلا في ظل توفر الأمن، فرأس المال جبان كما قد قيل، فلا يمكن أن يستقر في موضع مضطرب يسوده الخوف وينعدم فيه الأمن. ولعل مما يلفت النظر في توفير الأمن للبلد الحرام والبيت الحرام، أن يقام ركن من أركان الإسلام الخمس وهو حج البيت الحرام، يؤديه المسلمون من كل أنحاء العالم الإسلامي في أمن وأمان، وهو من الدلائل الظاهرة على أمن هذا البلد.

• الدلائل الظاهرة على أمن البلد الحرام :

مما يدل على أمن البلد الحرام :

١. إقبال المسلمين إليه : فهم يترددون إليه بشوقٍ وتعظيم وإجلال، ويبدلون في سبيل الوصول إليه أنفس ما يملكون، راغبين في فضل الله وطامعين في عفوه، ولا ينصرفون عنه إلا وهم عازمون للعودة إليه مرات عدة دون أن يتطرق إليهم ملل أو كلل. كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾^(١). قال الشيخ السعدي-رحمه الله-: "أي : مرجعا يثوبون إليه، لحصول منافعهم الدينية والدينية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطراً"^(٢). وكيف يقضون منه وطرهم وفطرهم غرس فيها نداء: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحِجِّ يَا تَوَكُّبًا عَلَىٰ آلِهَةٍ وَكِبْرًا وَكُلًّا ضَامِرًا يَأْتِينَكُم مِّنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٣) "روى الفاكهي بإسناد صحيح من طريق مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " قام إبراهيم على الحجر فقال: يا أيها الناس كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحُجُّ ، فَأَسْمَعُ مَنْ فِي أَصْلَابِ

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٦٥). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، بيروت.

(٣) سورة الحج: الآية رقم (٢٧).

الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ ، فَأَجَابَهُ مَنْ آمَنَ وَمَنْ كَانَ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ يُحْجَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ :
لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ" (١) .

ثم إن القلوب مليئة بحب هذا البيت والشوق إليه وحب أهل هذا البيت، استجابة من الله لدعوة الخليل إبراهيم عليه السلام حين دعا ربه كما قال عز وجل : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَىٰهِمْ ﴾ (٢) . قال ابن عباس، ومجاهد وسعيد بن جبير، وغيرهم -رحمهم الله- لو قال: أفئدة الناس لزدحم عليه فارس والروم، واليهود والنصارى، والناس كلهم، ولكن قال: من الناس، فاختصَّ به المسلمون (٣) .

"فليس أحدٌ من أهل الإسلام إلا وهو يحن إلى رؤية الكعبة والطواف والحج، والناس يقصدونها من سائر الجهات والأقطار" (٤) .

قال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله- : " المثابة بمعنى المرجع، أي: يثوب الناس إليه بأبدانهم أو بقلوبهم، فالذين يأتون إليه حجاجًا أو معتمرين يثوبون إليه بأبدانهم، والذين يتجهون إليه كل يوم بصلواتهم يثوبون إليه بقلوبهم، فإنهم لا يزالون يتذكرون هذا البيت في كل يوم وليلة، بل استقباله من شروط صحة صلاتنا" (٥) .

فهذا الحب والشوق للوفادة لبيت الله الحرام أكبر دليل على أمنه وأمانه إذ لو كان غير آمن يروع فيه الناس، لنفر منه ساكنوه، ناهيك عن القادمين إليه.

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (٦/٤٦٨) أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القاهرة.

(٢) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم، (٤/٥١٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٤) المرجع السابق (٥/٤١٤)

(٥) تفسير القرآن الكريم سورة البقرة، (٢/٤٤) محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٣، الدمام.

٢. النهضة العمرانية: فبعد إذ كانت مكة المكرمة وادياً غير ذي زرع لا أنيس به استجاب الله ﷻ لدعوة خليله إبراهيم ﷺ بأن يجعل هذا المكان القفر بلداً آمناً كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(١). ولقد أثبت التاريخ مدى تأثير كون البلد الحرام آمناً، على إعمارها وجلب الأموال إليها من كل حذب وصوب، ولعل من أظهر الأمثلة على ذلك تلك الأوقاف التي أوقفت في البلد الحرام لفقرائها، أو المجاورين فيها، أو الوافدين إليها، إذ أن عدداً كبيراً من الموقفين لها، من غير أهل البلد الحرام وسكانه، والزائر للبلد الحرام في هذا العصر يشهد نموّاً عمرانياً ضخماً لم يسبق له مثيل، بسبب ما حباه الله من أمن وأمان، فلا تعمر البلاد إلا إذا شعر أهلها بالأمن، ولا تنمو ثرواتها إلا إذا شعر أهلها بالأمن، فالحياة المستقرة، والنماء، والازدهار، يكون بالأمن.

• أقسام الأمن في البلد الحرام :

المتأمل في النصوص الشرعية الواردة في الكتاب والسنة النبوية الصحيحة بشأن أمن البلد الحرام يجد أنها تنقسم إلى قسمين :

١. أمن قدري^(٢) : وهب الله ﷻ البلد الحرام أمناً قدرياً لا يتخلف أبداً، في عمومته ومجمله، وقد يتخلف في بعض أفراده لحكمة إرادها الله ﷻ، وقد قدر وقضى لهذا البلد الأمين أن يكون آمناً، فكان آية من آيات الله ﷻ العظيمة لهذا البلد الحرام، فضلاً منه ومنه، ويظهر جلياً هذا الأمن القدري فيما يلي :

- أمان للدخول إليه : فمن فضائل هذا البيت ومزاياه العظيمة الذي اختصه الله به: أمن كل من يدخل إليه ويلجأ إليه ويعوذ به، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(٣) قال ابن كثير -رحمه الله- : " يعني: حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية، كما قال الحسن البصري وغيره: كان الرجل يقتل فيضع في عنقه

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٢) الأمن القدري : هو الأمن الذي قدره الله تبارك وتعالى أن يكون، فهو متحقق بمشيئة الله تعالى وإرادته لا يتخلف.

(٣) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

صوفة، ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج" (١)، فجعله آمناً بما طبع النفوس عليه من السكون إليه، فلا يؤذي بعضهم بعضاً فيه.

فلم يكن البلد الحرام بحاجة يوماً ما إلى أن يخطط بناؤه تخطيطاً دفاعياً، ولم تُبن له أسوار تحيط به، وقلاع وحصون لتحميه، وما جعل للبلد الحرام أبواباً تفتح وتغلق في وجوه الوافدين إليه، بل كانت فجاج أوديته أبواباً ينفذ منها الخائفون، والباحثون عن الأمن والأمان، إلى حرم استقر في النفوس مكانته، وعظمة قدسيته. نعمة قررها الله ﷻ على كل من نزل في هذا البلد الحرام فقال ﷻ: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ (٢)، وقال ﷻ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُحِطُّ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيَا لَبِطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ (٣) فهم آمنون فيه على أنفسهم من الغارات، والحروب والصراعات، إلى يوم القيامة، كما قال ﷻ يوم فتح مكة: " لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَهَا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (٤).

— أمان للدين: ويظهر ذلك في :

بناء الكعبة المشرفة وحراستها: فقد شرف الله ﷻ البلد الحرام بأول بيت وضع للناس فيه للعبادة، كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (٥) فالدين باقى وقائم ما دام بيت الله ﷻ باقى وقائم، وقد جعله الله ﷻ قياماً لمصالح الناس في دينهم ودنياهم، كما قال الله ﷻ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْغَيْبَةَ أَلْبَيْتَ الْحَرَامِ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ (٦). وقد حرس الله ﷻ بيته من أن يؤذى ويهدم كما ذكر ﷻ قصة أصحاب الفيل في القرآن الكريم :

(١) تفسير القرآن العظيم، ٢ / ٧٩ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٣) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، في مسند الكوفيين، حديث الحارث بن مالك بن برصاء. رقم (١٩٢٢٩). صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٣٧٢).

(٥) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦).

(٦) سورة المائدة: الآية رقم (٩٧).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾^(١)

ولحكمة أرادها الله ﷺ سلط من شاء من أشقياء خلقه، فأفسدوا في البلد الحرام، وسفكوا فيه الدم الحرام ففي سنة سبع عشرة وثلاثمائة من الهجرة خرج أبو طاهر القرمطي -لعنه الله- على حجاج بيت الله الحرام هو ومن معه "يوم التروية، فانتهب أموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقا كثيرا، وجلس أميرهم أبو طاهر لعنه الله على باب الكعبة، والرجال تصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية، الذي هو من أشرف الايام، وهو يقول: أنا الله وبالله، أنا أخلق الخلق وأنفيهم أنا. فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئا، بل يقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيقتلون في الطواف... وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشققها بين أصحابه، وأمر رجلا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فمات إلى النار. فعند ذلك انكف الخبيث عن الميزاب، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاءه رجل فضربه بمثل في يده وقال: أين الطير الابابيل، أين الحجارة من سجيل؟ ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ثنتين وعشرين سنة حتى ردوه... وقد ألد هذا اللعين في المسجد الحرام إحادا لم يسبقه إليه أحدا ولا يلحقه فيه، وسيجازه على ذلك الذي لا يعذب عذابه أحد، ولا يوثق وثاقه أحد، وإنما حمل هؤلاء على هذا الصنيع أنهم كفار زنادقة"^(٢) وإلى وقتنا هذا سار الرافضة على نهج أسلافهم من القرامطة في محاولات عدة للإفساد في البلد الحرام وترويع الأمنين وقتل الأبرياء وسفك الدماء، ومظاهرات غوغائية، ترفع فيها الشعارات الجاهلية، وقد جمعوا أوصاف أبغض الناس إلى الله ﷺ فقد قال رسول الله ﷺ " أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ

(١) سورة الفيل: الآيات رقم (١-٥).

(٢) البداية والنهاية، ١١ / ١٨٣، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، ت: أحمد عبدالوهاب فتوح، دار الحديث، ط ١،

١٤١٣هـ-١٩٩٢م، القاهرة.

ثَلَاثَةٌ مُلْحَدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطْلَبٌ دَمِ امْرِيٍّ بغيرِ حَقِّ لِيُهْرِيَقَ دَمَهُ" (١)

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "وقد سأل بعضهم هنا سؤالاً. فقال: قد أحل الله سبحانه بأصحاب الفيل - وكانوا نصارى - ما ذكره في كتابه، ولم يفعلوا بمكة شيئاً مما فعله هؤلاء - القرامطة -، ومعلوم أن القرامطة شر من اليهود والنصارى والمجوس، بل ومن عبدة الاصنام، وأنهم فعلوا بمكة ما لم يفعله أحد، فهلا عوجلوا بالعذاب والعقوبة، كما عوجل أصحاب الفيل؟ وقد أوجب عن ذلك بأن أصحاب الفيل إنما عوقبوا إظهاراً لشرف البيت، ولما يراد به من التشريف العظيم بإرسال النبي الكريم، من البلد الذي فيه البيت الحرام، فلما أرادوا إهانة هذه البقعة التي يراد تشريفها، وإرسال الرسول منها، أهلكم سريعاً عاجلاً، ولم يكن شرائع مقررة تدل على فضله، فلو دخلوه وأخربوه؛ لأنكرت القلوب فضله، وأما هؤلاء القرامطة فإنما فعلوا ما فعلوا بعد تقرير الشرائع وتمهيد القواعد، والعلم بالضرورة من دين الله بشرف مكة والكعبة، وكل مؤمن يعلم أن هؤلاء قد أهدوا في الحرم الحاداً بالغاً عظيماً، وأنهم من أعظم الملحددين الكافرين، بما تبين من كتاب الله وسنة رسوله، فلهذا لم يحتج الحال إلى معاجلتهم بالعقوبة، بل أخرهم الرب تعالى ليوم تشخص فيه الابصار، والله سبحانه يمهّل ويمهلي ويستدرج ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر، كما قال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ" ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٢) (٣)، وقال: ﴿لَا يُغْنِيكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ (١٦٦) ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَهَادُ﴾ (٤)، وقال: ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضَّضُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥)

(١) رواه البخاري، كتاب الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، رقم (٦٨٨٢).

(٢) سورة إبراهيم: الآية رقم (٤٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) رقم (٤٦٨٦). ولفظه: "إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ ثُمَّ قَرَأَ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)"

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم (١٩٧).

(٥) سورة لقمان: الآية رقم (٢٤).

وقال: ﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾^(١)^(٢)، وقد تعرض البلد الحرام، والبيت الحرام لاعتداءات عدة عبر التاريخ وفي وقتنا المعاصر ففي عام ١٤٠٠هـ كان الاعتداء على المسجد الحرام من قبل الفئة المعتدية الضالة^(٣) حيث قاموا بسفك دماء المسلمين في بلد الله الحرام وفي حرمة الآمن حيث قتل فيه على أيديهم وبسبب فتنتهم العشرات من المسلمين معصومي الدم والمال. وتسببوا في تعطيل حرم الله مدة اعتدائهم عليه من الشعائر الدينية من صلاة وذكر وطواف وتلاوة لكتاب الله وغير ذلك من أنواع العبادات حتى أنه مضى عليه جمعتان لم تصليا فيه ولم ترفع من مآذنه نداءات الصلاة جمعة وجماعة، حتى سلط الله عليهم حراس بلد الله الحرام في عهد جلالة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- وكفى الله المؤمنين شر عدوان هذه الفئة فتم القضاء عليها بفضل الله وكرمه، ولا يزال بين وقت لآخر ينبت لهذه الفئة نابت يرسل الله ﷻ من عباده من يقطعه فقد كان للخوارج في وقتنا ومحاولات للتخريب والتفجير في البلد الحرام ولكن الله ﷻ جعل كيدهم في نحرهم وفضحهم قبل تنفيذ إجرامهم حفظاً لبلده الحرام من كيدهم.

وبيت الله ﷻ محروس مستقبلاً من كل معتد يريد تخريبه، والمساس بأمنه، فعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: "يَعْرُؤُ جَيْشُ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَأَخْرِهِمْ"^(٤)، فلا تهدم الكعبة وعلى الأرض موحد يتوجه إليها بالصلاة أو يقصدها لحج، وإنما تهدم في آخر الزمان، إذا خلت الأرض من مسلم، علامة على قيام الساعة، فبناء الكعبة المشرفة، أمان للدين، وهي محروسة، ومحفوظة بحفظ الله ﷻ لها.

(١) سورة يونس: الآية رقم (٧٠).

(٢) البداية والنهاية، (١٧٢/١١) أبو الفداء الحافظ ابن كثير، ت: أحمد عبد الوهاب فتوح، دار الحديث، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، القاهرة.

(٣) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد الخامس، ص (٣٠٩)، وص (٣٢١). حادث المسجد الحرام وأمر المهدي المنتظر، وبيان من هيئة كبار العلماء بشأن الاعتداء على المسجد الحرام.

(٤) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، رقم (٢١١٨) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم (٢٨٨١).

لا يدخلها الدجال: لقد أعطى الله ﷻ أهل البلد الحرام الأمن من أعظم فتنة على وجه الأرض كما قال ﷻ: " لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذُرًّا لَلَّهِ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ "(١)، فقد عصم الله ﷻ البلد الحرام وأهله منه، وكذا المدينة النبوية، فلا يدخل عليهم الدجال، ولا يطمأ أرض الحرم مع رغبته في ذلك ومحاولته دخوله، ولكن الله منعه من ذلك، فعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُورُهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَقَائِمَا (٢) نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِينَ يَحْرُسُونَهَا ثُمَّ تَرْجِفُ الْمَدِينَةَ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ "(٣).

وهذه الحماية الكبرى، للبلد الحرام، صيانة للدين وحفظاً له، من أعظم الفتن.

- أمان من الجوع بجبي الثمار إليه : لقد امتن الله ﷻ على أهل البلد الحرام بتأمين

الغذاء والأمن من الجوع والقحط والجذب وأعطاهم ثمارات كل شيء تجي إليهم من بلاد الدنيا وبارك لهم في أرزاقهم كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمَاءَ آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٤) واستجاب الله ﷻ دعوة خليله إبراهيم السليمان: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٥)، وفي قول الله ﷻ: ﴿وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٦)، فرزقهم الله ﷻ، بأصناف المأكولات، التي لا تكاد تجتمع في بلد غير البلد الحرام، فكان لهم الأمن الغذائي مجتمعاً مع الأمن على الأرواح، والدين، يقول الإمام

(١) رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب: فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج، رقم (٤٠٧٧).

وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٨٧٥).

(٢) نقابها: جمع نقب، وهو الطريق بين الجبلين.

(٣) رواه البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، رقم (١٨٨١) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب

الفتن وأشراف الساعة، باب قصة الجساسنة، رقم (٢٩٤٣).

(٤) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٥) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٦) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

الزبخشري-رحمه الله- : " لا جرم أن الله ﷻ أجاب دعوته فجعله حرماً آمناً تجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه، ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثمارا، وفي أى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريها الله بواد غير ذى زرع ، وهي اجتماع البواكير^(١) والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد، وليس ذلك من آياته بعجيب، متعنا الله بسكنى حرمة ، ووقفنا لشكر نعمه ، وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم عليه السلام، ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم"^(٢). وقد تقرر هذا في قلوب المسلمين أن الله ﷻ، بارك في البلد الحرام وأجلب عليه الأرزاق من كل مكان وفي كل زمان، وأصبح هذا الأمر معلوماً علم اليقين، وجولة في أسواق مكة تصل بك إلى عين اليقين، فهم يتقبلون في نعم الغذاء، كما تنعموا في نعيم الأمن من الأعداء.

كذلك من الطعام المبارك في البلد الحرام ماء زمزم إذ هو طعام طعم كما قال ﷺ: "زَمَزْمُ طَعَامٌ طُعِمَ وَشَفَاءٌ سَقِمٌ"^(٣)، فهي غذاء ودواء، قال أبو ذر ﷺ في قصة إسلامه: "وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَحِي ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمَزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنُقُ بَطْنِي وَمَا وَجَدْتُ عَلَى كَبِدِي سُخْفَةً جُوعٌ"^(٤).

وقد أثبتت الدراسات العلمية الحديثة للعالم أجمع، صدق ما أخبر به الصادق المصدوق بأبي هو وأمي ﷺ، فلقد وُجد بفضل الله من خلال الأبحاث أن التوازن الملحي في ماء زمزم يجعل فيه قيمة غذائية تسد مسد الطعام لبعض الوقت وأن زمزم تعادل بقيمتها الغذائية عصارة الطعام بعد هضمه فكرم الرحمن جلَّ وعلا ضيوفه المنشغلين في عبادته في أقدس مكان على وجه الأرض وأعطاهم الغذاء مباشرة بشرب زمزم.

(١) جمع: باكورة وهي أول الفاكهة . لسان العرب ٤ / ٧٧

(٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٢ / ٥٦٠، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزبخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

(٣) رواه البزار في مسنده، ٩ / ٣٦١، رقم (٣٩٢٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٥٧٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر ﷺ، رقم (٢٤٧٣).

وكذلك من خلال الدراسات التي تمت على التحاليل المختلفة لزمزم وجد بأن العناصر الملحية بهذا التوازن أيضاً تمنع كثرة التعرق ولولا ذلك لعمَّ مرض الجفاف السكان والزوار في تلك البقعة المباركة^(١)

وفي وقتنا الحاضر شهد ماء زمزم نقلة نوعية جذرية، ومرحلة جديدة في تاريخه على يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود -وفقه الله- وعلى نفقته الخاصة، حيث خضع البئر لأكبر مشروع عرف في التحكم والمراقبة والتوزيع لماء زمزم ابتداءً من ضخ المياه من البئر إلى آخر مراحل التعبئة والتوزيع، فأسهم مشروع السقيا في ضمان نقاوة مياه زمزم ووصولها إلى المسلمين دون أن تمر على أيدي بشرية، وذلك من خلال مشروع يعتمد كلياً على استخدام التقنية، فرفع الله ﷻ بهذا المشروع معاناة الناس في الوصول إلى ماء زمزم، وتوفير ظروف أفضل للسلامة والأمن، وحماية الماء المبارك من التلوث بعد خروجه من البئر، ومن الغش عند تداوله، واحتكاره، وأصبح ماء زمزم ميسور الوصول إليه للقاصي والداني، ووفى المشروع المبارك احتياجات المواطنين والمقيمين وقاصدي بيت الله الحرام من الزوار والمعتمرين وضيوف الرحمن في أوقات الذروة، وفي كل وقت وحين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

فيا لها من نعمة عظيمة أخرى أمتن الله ﷻ بها على أهل البلد الحرام ودعاهم لشكرها بعبادته والإقبال إليه قال الله ﷻ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٢).

أمان من الطاعون^(٣): ذلك الداء العضال الذي حصد حياة كثير من الأرواح في شتى نواحي العالم، ويحفظ التاريخ الإسلامي، كوارث مؤلمة بسبب الطاعون، قال أبو الحسن المدائني

(١) انظر: بعض جوانب الإعجاز العلمي في ماء زمزم، عبدالعزيز المصري، بحث مصور مقدم للمؤتمر الدولي للموارد المائية والبيئية الحافة ٢٠٠٤م، على الموقع:

<http://faculty.ksu.edu.sa/٦٨٨٧/Interesting/٢٠.papersarabic/Forms/DispForm.aspx?ID=١>

(٢) سورة قريش: الآيات رقم (٣-٤).

(٣) الطاعون: هو مرض بكتيري معدٍ حاد يتحول إلى وباء يصعب السيطرة عليه.

-رحمه الله-: كانت الطواعين المشهورة العظام في الإسلام خمسة : طاعون شيرويه، بالمدائن في عهد رسول الله ﷺ سنة ست من الهجرة ، ثم طاعون عمواس في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالشام ، مات فيه خمسة وعشرون ألفا ، ثم طاعون في زمن ابن الزبير في شوال سنة تسع وستين مات في ثلاثة أيام، في كل يوم سبعون ألفا ، مات فيه لأنس بن مالك رضي الله عنه ثلاثة وثمانون ابنا ، ومات لعبد الرحمن بن أبي بكره أربعون ابنا ، ثم طاعون الفتيات في شوال سنة سبع وثمانين، وسمي طاعون الفتيات ، لأنه بدأ في العذارى بالبصرة ، وواسط ، والشام ، والكوفة ، ويقال له : طاعون الأشراف ، لما مات فيه من الأشراف، ثم طاعون سنة إحدى وثلاثين ومائة في رجب ، واشتد في رمضان ، وكان يحصى في سكة المرید في كل يوم ألف جنازة ، ثم خف في شوال. وكان بالكوفة طاعون سنة خمسين، ولم يقع بالمدينة ولا مكة طاعون قط^(١). "فقد جزم ابن قتيبة في "المعارف" وتبعه جمع جم من آخرهم الشيخ محيي الدين النووي في "الأذكار" بأن الطاعون لم يدخل المدينة أصلا ولا مكة أيضا"^(٢)، وقد ذكر بعض العلماء أن البلد الحرام دخله الطاعون عام سبعمائة وتسعة وأربعون من الهجرة، وهو في الحقيقة ليس طاعونا ولكنه وباء ظن من نقل ذلك أنه طاعونا^(٣)، وقد جعل الله ﷻ الطاعون شهادة للمسلمين رحمة منه وفضلا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ فَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ"^(٤)، وقد بلغ من خطورة انتشار عدواه أن لا يخرج المسلم من بلد وقع فيها الطاعون، ولا يدخل إلى بلد سمع بها الطاعون، فعن أسامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: "الطَّاعُونُ

(١) انظر: كتاب الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ ص (١٢٧)، الإمام محي الدين أبي زكريا النووي، ت: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، بيروت، لبنان.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٠/٢٠١، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، القاهرة.

(٣) انظر المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (٣٤٧٤).

رَجَسُ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ" (١) وقد أمن الله ﷻ البلد الحرام من دخول أعظم داء وهو الطاعون، كما أمنها من دخول أعظم فتنة وهي فتنة الدجال، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَخْفُوتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا الدَّجَالُ وَلَا الطَّاعُونُ" (٢) ، فهذا هو الأمن الصحي بالوقاية من الطاعون، والأمن الديني القلبي بالوقاية من الدجال، قد جعلهما الله لأهل هذا البلد الحرام، حماية لهم من أشد الأمراض خطورة وفتكاً وهو الطاعون، ومن أشد الفتن ضللاً وهو الدجال.

فما بال بعض المسلمين بلغ بهم الإرجاف مبلغاً عظيماً، بسبب ظهور بعض الأمراض المعدية في العالم، حتى ظنوا ظن السوء أن سيصبح البلد الحرام أكبر مصدر للأوبئة الفتاكة في العالم، حتى طالب بعضهم بإيقاف الحج في وقت انتشار الأوبئة، وما خبر أنفلونزا الخنازير ببعيد!!

وأي هم من الأمن الذي وهبهم الله إياه في قوله ﷻ: ﴿وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (٣) !!

أم هو الصد عن سبيل الله ﷻ واتباع سبيل المرجفين !!

قال الشيخ محمد رشيد رضا-رحمه الله-: "أنا أعلم علم اليقين أن جميع الدول الاستعمارية تمقت قيام المسلمين بهذه الفريضة-الحج- وتعاون على صدهم عنها بما تستطيع من حول وحيلة ، ولولا ما لبواخرها وتجارقتها من المنافع ومن نقل الحجاج لكان تشديدهم في الصد أكبر ، ولكن ما وضعوه من العوائير (٤) والعقاب في سبيل الحج باسم المحافظة على

(١) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، رقم (٣٤٧٣). ورواه مسلم، كتاب السلام، باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوهما، رقم (٢٢١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسانيد المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم (١٠٢٧٠). وقال ابن حجر: "رجاله رجال الصحيح" الفتح ١٠ / ٢٠٢

(٣) سورة قريش: الآية رقم (٤).

(٤) العوائير: "جمع عاثور، وهو المكان الوعث الخشن لأنه يعثر فيه، وقيل: هو الحفرة التي تحفر للأسد، واستعير هنا للورطة والخطة المهلكة" لسان العرب ٤ / ٥٤١

الصحة، قد أنالهم بعض مرادهم منه بقلة من يتحمل مشقته من ملوك المسلمين، وأمرائهم المترفين، وأغنيائهم المحسنين، وزعمائهم المفكرين. وقد كانوا حاولوا أن يقرروا في مؤتمر طبي عقد بمصر في أوائل عهد الاحتلال البريطاني: أن الحجاز بيئة وبائية بطبعه يجب جعله تحت سلطة الحجر الدولي دائماً لذاته !!

فجاهد المرحوم سالم باشا سالم كبير أطباء مصر (والطبيب الخاص لسمو الخديوي توفيق باشا وأسرته) يومئذ جهاداً كبيراً دون ذلك ، حتى دحض كل شبهة تؤيد هذا الاقتراح ، وأثبت بالأدلة الفنية الطبية والتاريخية أن الحجاز ليس بوطن لوباء الهيضة الوبائية(الكولرة) ولا لغيرها من الأوبئة السارية المعدية"^(١)

فيجب على الدارسين والباحثين والمعلمين والدعاة والمثقفين نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام في جميع أنحاء العالم الإسلامي، خاصة عند النشء المسلم ليعظم البلد الحرام في نفوسهم منذ الصغر، وليعلم العالم أجمع أن الإسلام دين الأمن والأمان، والسلام والسلام، حتى تخرص السنة المبشرين والمستشرقين ومن لف لفهم من أبناء المسلمين المغرر بهم. والآن ننتقل إلى النوع الثاني من الأمن وهو الأمن الشرعي.

٢. أمن شرعي^(٢) : فرض الله ﷻ من عباده أن يقوموا به، وينفذوه، تحقيقاً لأمن البلد الحرام، الذي أراد الله ﷻ أن يجعله آية من آياته، يطمئن فيه كل من سكنه وحل به من إنسان أو حيوان أو شجر، فيصبح البلد الحرام مشهوراً في العالم كله بالأمن والأمان، فمنح الله ﷻ البلد الحرام أمناً قديراً تقدماً بيانه، ومنحها أمناً شرعياً، امتحن به عباده المؤمنين بتنفيذه، وتحقيقه، لينالوا بذلك الأمن الوارف على البلد الحرام، ثمرة وأثراً، نتجت من الأسباب التالية:

(١) مجلة المنار، محمد رشيد رضا. ٣١ / ٧٧٨ مطبعة المنار، ١٣٣٩هـ. ١٩٢٠م، القاهرة.

(٢) الأمن الشرعي : هو أمن طلبي كلف الله عز وجل به عباده أن يحققوه، ولا يلزم وقوعه، فقد يتخلف في بعض الأحيان.

- تأمين البلد الحرام بتحريمه: فقد حرم الله ﷻ البلد الحرام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمرْتُ أَنْ أعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾^(١)، وقال ﷺ يوم افتتح مكة: " لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفِرُوا فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُزْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ^(٢) شَوْكُهُ وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ وَلَا يَلْتَقِطُ لِقَطْعَتَهُ^(٣) إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا وَلَا يُحْتَلَى^(٤) خَلَاهَا قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْحَرَ^(٥) فَإِنَّهُ لَقَيْنِهِمْ وَلِيُؤْتِيَهُمْ قَالَ : قَالَ إِلَّا الْإِذْحَرَ"^(٦).

والتأمل في الآية والحديث، يجد الحكمة من هذا التحريم للبلد الحرام، وساكنته من إنسان، وحيوان، ونبات، إرادة الأمن والأمان في هذا البلد، وتكوين بيئة آمنة، تشتمل على أمن الإنسان، وأمن الحيوان، وأمن النبات؛ يأمن فيها الناس على أنفسهم، وأعراضهم، وأموالهم التي سقطت منهم، ناهيك عن أموالهم المحروزة والمحفوظة، فلا تلتقط لقطته إلا لمن أراد أن يعرفها أبداً، ويأمن فيه الطير في الهواء والصيد فلا ينفر، ويأمن فيها الشجر فلا يقطع، والشوك فلا يعضد.

(١) سورة النمل: الآية رقم (٩١).

(٢) قال ابن منظور في اللسان مادة (عضد): (نهي أن يعضد شجرها، أي: يقطع). ٣/ ٢٩٢

(٣) اللُّقْطَةُ: بضم اللام وفتح القاف: اسم للمال الملقوط، أي: الموجود على ظهر الأرض يجده الإنسان من غير قصد ولا طلب. لسان العرب ٧ / ٣٩٧

(٤) قال ابن الأثير في النهاية مادة (خلا): (الخلا مقصود: النبات الرطب الرقيق ما دام رطباً، واختلاؤه: قطعه. وأخلت الأرض: كثر خلاها، فإذا بيس فهو حشيش).

(٥) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا ينفر صيد الحرم، رقم (١٨٣٣) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، رقم (١٣٥٣).

(٦) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يحل القتال بمكة، رقم (١٨٣٤) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٣).

تأمين البلد الحرام بالنهي عن إرادة الإلحاد فيه: فقد حرم الله ﷻ إرادة المعصية في بلد الله الحرام، ناهيك عن اقترافها فيه، فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً أَلْعَكُفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَادِ يُظَلِّمِ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١)، وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: " أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةً مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُتَّبِعٌ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَلِّبٌ دَمَ امْرِيٍّ بَعِيرٍ حَقٌّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ"^(٢)، فتوعد الله ﷻ بأليم عذابه، لمن أُلْحِدَ في الحرم زائداً على عذابه، وأحبر ﷻ أن أبغض الناس إلى الله ﷻ ملحد في الحرم، ولقد تعددت أقوال العلماء والمفسرين في المراد بالإلحاد في المسجد الحرام، قال الشنقيطي-رحمه الله-: " الإلحاد في اللغة أصله : الميل ، والمراد بالإلحاد في الآية : أن يميل ، ويحيد عن دين الله الذي شرعه ، ويعم ذلك كل ميل وحيدة عن الدين ، ويدخل في ذلك دخولاً أولاً الكفر بالله ، والشرك به في الحرم ، وفعل شيء مما حرمه وترك شيء مما أوجبه . ومن أعظم ذلك : انتهاك حرمت الحرم . وقال بعض أهل العلم : يدخل في ذلك احتكار الطعام بمكة، وقال بعض أهل العلم: يدخل في ذلك قول الرجل: لا والله ، وبلى والله ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان له فسطاطان : أحدهما : في طرف الحرم ، والآخر : في طرف الحل ، فإذا أراد أن يعاتب أهله ، أو غلامه فعل ذلك في الفسطاط الذي ليس في الحرم، يرى أن مثل ذلك يدخل في الإلحاد فيه بظلم. قال مقيد عفا الله عنه وغفر له: الذي يظهر في هذه المسألة ، أن كل مخالفة بترك واجب ، أو فعل محرم تدخل في الظلم المذكور ، وأما الجائزات كعتاب الرجل امرأته ، أو عبده ، فليس من الإلحاد ، ولا من الظلم"^(٣)، وقال ابن عطية -رحمه الله-: " وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر ، فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه ، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك

(١) سورة الحج: الآية رقم (٢٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، رقم (٦٨٨٢).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٦٢/٥، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ،

مكة المكرمة.

إلا في مكة ، هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم"^(١)، وهذا هو الذي عليه المحققون من المفسرين أن الإلحاد: لفظ عام يشمل كل معصية صغيرة أو كبيرة.

وفي ذلك تبرز التربية الحقة في البلد الحرام على إصلاح النفس وكبح جماح شهواتها، وتوجيه خطرات القلب إلى عزائم في العمل الصالح، والحذر من كل هم بسيئة وإصلاح الفكر من الشبهات التي توقعه في البدع، فالإلحاد يشمل ما صغر وما كبر مما لا يحبه الله ويرضاه، وإنه لإعجاز حقاً أن تجد البلد الحرام يحافظ على هويته، بل على همّ ونوايا ساكنيه والقادمين إليه، بل كل مسلم في العالم لا بد أن يصحح نيته في البلد الحرام في أي زمان ومكان.

فلثقافة تعظيم البلد الحرام دور فاعل في صيانة وحفظ الأمة الإسلامية من الأفكار الضالة والآراء المنحرفة، ففي البلد الحرام الذي يفد إليه المسلمون من كل مكان يتعلم المسلم فيه درس التسليم والانقياد وصفاء الباطن قبل الظاهر، وتجديد الإيمان بالله ﷻ في زمن ينتشر فيه مذهب الإلحاد والتشكيك في ذات الله ﷻ، والسخرية برسوله ﷺ، وإن من المؤسف حقاً أن يوجد في مجتمعاتنا الإسلامية، من يعتنق فكر الإلحاد ويدعو إليه، ويزداد أسفك أن يكرم مثل هؤلاء ويشار إليهم على أنهم رموز الثقافة والأدب في المجتمع الإسلامي، وثالثة الأثافي أن يستضاف أساطين الإلحاد، وفلول القومية، والشيعوية، واليسارية، بحجة الثقافة في بلاد التوحيد، ومنبع رسالة الإسلام ومنتهاها، وهي رسالة سافرة لشباب الإسلام، ودعوة للتأثر بهم، وقد كان ذلك، فخرج من بلاد الحرمين من يشكك في الله ﷻ، ويستهزئ برسول الله ﷺ.

إن مجتمعنا الإسلامي اليوم تُنسج له ثياب غريبة رقيقة لا تناسبه، ويُجرّد من ثياب الإيمان التي كان يتوشّح بها، وتفتح عليه نوافذ فكرية تهدّد دينه وإيمانه وعقيدته، وأصبح وأمسى يُقصف في فكره، ويُمكّر بتدينه، عبر وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت، حتى أنكر من أنكر وجود الغيبيات، وأصبحوا ضحايا لمقولة حرية الفكر، فرؤوسهم حائرة، وقلوبهم زائغة، والله المستعان.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤ / ١١١، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد

السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، لبنان.

- تأمين البلد الحرام بمنع دخول المشركين إليه: منع الله ﷺ أهل الشرك والكفر من دخول البلد الحرام صيانة لأمن عقيدتهم، وطهارة لبيته الحرام من نجاستهم، وتمييزاً للمسلمين في بيئتهم، في البلد الحرام إذ لا يخالطهم مشرك، وحفاظاً على مشاعرهم فلا تقع أعينهم على من كفر بالله ﷻ، فقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١). والمراد بذلك دخولهم البلد الحرام، كما فهم ذلك جميع الصحابة رضي الله عنهم، والأئمة، رحمهم الله^(٢)، فلا يدخل البلد الحرام إلا أهله بحق وهم المسلمون، إذ كيف يطأ أرض الحرم من لم يؤمن برب هذا البيت الذي بناه فيها، وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي نشأ وترعرع فيها ونزل عليه الوحي بين جنباتها. وكيف يطأ أرض الهدى والنور ليث فيها ضلالاته وظلماته!! فأوجب الله ﷻ على المسلمين حفظ البلد الحرام من أبدان الكافرين، ومن باب أولى حفظه من أفكارهم وضلالاتهم، فليس الأمر في سعي أقدامهم فحسب، بقدر ماهو في خطورة كفرهم، والتشبه بهم.

- تأمين البلد الحرام بالنهي عن حمل السلاح فيه: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السَّلَاحَ"^(٣)، وهذا النهي يفيد العموم، فإن القصد من النهي عن حمل السلاح؛ هو من أجل تحقيق الأمن للناس في البلد الحرام، لأن حمل السلاح سبب لوقوع مفسدة الخوف المضاد للأمن، وسبب لسفك الدم، وذريعة للوقوع في المفاسد، فلزم سدها، تأميناً للبلد الحرام، فلا يجوز حمل السلاح إلا للحاجة، أو ضرورة، قال القاضي عياض -رحمه الله-: "هذا محمول عند أهل العلم على حمله لغير ضرورة ولا حاجة، فإن كان خوف وحاجة إليها جاز، وهو قول مالك والشافعي وعطاء، وكرهه الحسن البصري تمسكا بظاهر هذا الحديث، وحجة الآخر: دخول النبي صلى الله عليه وسلم عام القضية بأشرطة من

(١) سورة التوبة: الآية رقم (٢٨).

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة، ١ / ١٩٠، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، الطبعة ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م بيروت، لبنان.

(٣) رواه مسلم، كتاب الحج، باب: النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة، رقم (١٣٥٦).

السلاح؛ القراب بما فيه، ودخوله يوم الفتح وعلى رأسه المغفر، وأن للضرورة حالة، وشذ من الجماعة عكرمة فرأى عليه إذا احتاج إليه وحمله الفدية"^(١)، فحمل السلاح في البلد الحرام، لتأمين الناس وحمايتهم، وحفظ أموالهم، مستثنى من النهي عن حمل السلاح، لذا كان لرجل الأمن في البلد الحرام، منزية عن غيره، من رجال الأمن، في أي مكان، وإن كان الأمن مسؤولية الجميع على وجه العموم، فمسؤوليته على رجل الأمن على وجه الخصوص، وقد أيدته الله بالأمن القدري والشرعي، وشرفه الله ﷻ برعاية الأمن، في بلده المحرم، والمحافظة عليه، واطمأن الناس، على أنفسهم وأموالهم، وتفرغوا لعبادة ربهم، والانشغال بمقصودهم، فحري به أن يفخر بهذا الفضل، وأن يحتسب الأجر، ويصلح النية، ويراقب الله ﷻ في عمله، فعمله في أحب البقاع إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ.

- تأمين البلد الحرام من غزوه وسفك الدماء فيه:

روى الإمام أحمد -رحمه الله- عن مطيع ﷺ وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً قال: سمعت رسول الله ﷺ حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول: "لَا تُغزَى مَكَّةَ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا وَلَا يُقْتَلُ قُرَيْشِي بَعْدَ هَذَا الْعَامِ صَبْرًا"^(٢) أَبَدًا"^(٣).

وعند الترمذي -رحمه الله- من حديث الحارث بن مالك بن البرصاء ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ عليه يوم فتح مكة يقول: "لَا تُغزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٤).

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، ٤/٤٧٦. عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أبو الفضل، ت: يحي اسماعيل، دار الوفاء، ط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مصر.

(٢) قال ابن الأثير: صبرت القتل على القتل: إذا حبسته عليه لتقتله بالسيف وغيره من أنواع السلاح وسواه، وكل من قُتل أي قِتلة كانت إذا لم يكن في حرب ولا على غفلة ولا غرة فهو مقتول صبراً. جامع الأصول ٢ / ٦١٨

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند المكيين، حديث مطيع بن الأسود، رقم (١٥٤٨٤). وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٤٢٧).

(٤) رواه الترمذي، كتاب السير عن رسول الله ﷺ، باب: ماجاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة: "إن هذه لا تغزى بعد اليوم"، رقم (١٦١١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢١٢٧).

والحديث محمول على معنيين:

١. إما أن يكون هذا الخبر النافي باق على ظاهره، بتأمين الله ﷻ للبلد الحرام من غزوها، تأميناً قديراً، فنفي النبي ﷺ أن يغزوها أحد، ومن تجراً على ذلك عوقب من الله ﷻ.
٢. وإما أن يكون خبر النفي جاء بمعنى النهي، لتقرير الحكم الوارد، وهذا أبلغ من النهي الصريح، لما فيه من الاعتناء بشأن المنهي عنه، وتأكد طلب امتثاله، حتى كأنه أمثل وأخبر عنه، مثل قول الله ﷻ: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(١)، أي: "لا ترفثوا ولا تفسقوا"^(٢) فهو نفي بمعنى النهي.

فعلى المعنى الأول: يكون في الحديث بشارة بأن أهل البلد الحرام لا يكفرون أبداً ولا تكون البلد الحرام بعد عام الفتح، دار كفر إلى يوم القيامة، وبهذا فسر الحديث سفيان بن عيينة -رحمه الله- فقال: "تفسيره: أنهم لا يكفرون أبداً، ولا يُغزَوْنَ على الكفر"^(٣) "وكذلك قوله: "لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ الْعَامِ صَبْرًا" إنما يراد به على معنى أنهم لا يعودون كفاراً يُغزَوْنَ حتى يقتلوا على الكفر كما لا تعود مكة دار الكفر فتغزى عليه، وبالله ﷻ الإعانة والتوفيق والحمد لله وحده"^(٤).

فأما في الظلم، أو القصاص، فيقتل القرشي.

وهذا أمان من الله ﷻ لأهل البلد الحرام أن تظل بلادهم دار هدى، يأرز إليها الإيمان، فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ وَهُوَ يَأْرِزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ فِي جُحْرِهَا"^(٥).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٩٧).

(٢) تفسير البغوي المسمى؛ معالم التنزيل، ١ / ١٨ أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

(٣) مشكل الآثار، ٢ / ١٥٧، أبو جعفر الطحاوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

(٤) المرجع السابق، ٢ / ١٥٨.

(٥) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين، رقم (١٤٦).

ومعنى يأرز: أي: "كما تنضم-الحية إلى جحرها- وتلجأ إليه، إذا انتشرت في طلب ما تعيش به، فراعها شيء، فرجعت إلى جحرها، فكذلك أهل الإيمان"^(١)، إذ ينضم الإيمان ويجتمع في المسجدين، والمراد بالمسجدين "أي: مسجدي مكة والمدينة"^(٢).

لقد أعطى الله أهل البلد الحرام أماناً قديراً، بأن لا يعود الكفر إلى بلدهم كما كان قبل الفتح، ولن تغزى بسبب كفرها إلى يوم القيامة فهو أمان لسلامة دينها.

وهذا الحديث مثل قول النبي ﷺ: "لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ"^(٣)، فقد صارت البلد "بلد إيمان وبلد إسلام ولم يكن منها هجرة بعد ذلك، وفي هذا: دليل على أن مكة لن تعود لتكون بلاد كفر بل ستبقى بلاد إسلام إلى أن تقوم الساعة أو إلى أن يشاء الله"^(٤). أما أن تغزى من قبل الكفرة والبغاة وهي دار إسلام، فلا يدخل في النفي الوارد، لأن الوارد في النفي: هو غزوها على الكفر، كما مر معنا من تفسير سفيان بن عيينة -رحمه الله- للحديث، أما غزوها وهي دار إسلام فقد وردت أحاديث تثبت ذلك، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال "لَا تَنْتَهِي الْبُعُوثُ عَنْ غَزْوِ هَذَا الْبَيْتِ حَتَّى يُخْسَفَ بِجَيْشٍ مِنْهُمْ"^(٥)، وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعَثٌ فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ"^(٦) وهذا جمع للنصوص وإعمال لها يدفع ما ظاهره التعارض، والله أعلم^(٧).

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢ / ٣٢٤، محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م، بيروت، لبنان.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢ / ١٧٧، الريان، مصر.

(٣) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٣). ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب: المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى: "لا هجرة بعد الفتح". رقم (١٨٦٤).

(٤) شرح رياض الصالحين، ١ / ٢٥ ابن عثيمين، دار الوطن، ط ١، ١٤١٥هـ، الرياض.

(٥) رواه النسائي، كتاب مناسك الحج، باب: حرمة الحرم، رقم (٢٨٧٨). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٤٣٢).

(٦) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم (٢٨٨١).

(٧) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٤٣٢).

وعلى المعنى الثاني: فهو خبر بمعنى النهي، فنهى النبي ﷺ عن غزو البلد الحرام، فلا يحل لأحد أبداً أن يغزوها، أو يتعرض لحرمتها، بعد الفتح كما قال ﷺ: "فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضُدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُولُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ ﷺ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ"^(١)

وروى البخاري أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أَنَّهُ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ قَتَلَتْ خُرَاعَةَ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ بِقَتِيلٍ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ. وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي أَلَا وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ"^(٢).

نقل ابن حجر -رحمه الله- عن ابن بطال -رحمه الله-: "المراد بقوله: "وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي" الإخبار عن الحكم في ذلك لا الإخبار بما سيقع، لوقوع خلاف ذلك في الشاهد، كما وقع من الحجاج وغيره، انتهى. ومحصله أنه خبر بمعنى النهي، بخلاف قوله: "فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي" فإنه خبر محض"^(٣).

ومن سير تاريخ البلد الحرام، من بعد فتح الإسلام، تيقن ما أخبر به النبي ﷺ: من أنها لم تغز لكفر أهلها، وإنما غزيت لكفر الغازي كالقرامطة الملحددين، أو ظلمه وجوره كمبير ثقيف: الحجاج بن يوسف الثقفي. حرس الله بلده الحرام من المعتدين.

(١) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يعضد شجر الحرم، رقم (١٨٣٢) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة، رقم (١٣٥٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب في اللقطة، باب: كيف تعرف لقطة أهل مكة، رقم (٢٤٣٤). ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلوها وشجرها ولقطنها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٥).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤ / ٥٦، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، القاهرة.

- شكر الله ﷻ على نعمة الأمن :

إن نعم الله ﷻ على عباده كثيرة كما قال ﷻ: ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾^(١)، وقد تفضل بها على عباده، ليقرروا له بها، ويشكروه: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾^(٢) وقد وعد بالمزيد لمن شكر نعمه، فقال ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٣)، وقد أنزل عذابه، وأليم عقابه، على أهل قرية، لم تشكر الله ﷻ على نعمه، فأذاقها الله ﷻ الجوع، والخوف، جزاء عدم شكر نعمه فقال ﷻ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٤).

ونعمة أمن البلد الحرام التي يتفياً ظلالمها أهل البلد الحرام والقادمين إليه اليوم نعمة قد أسبغت ظاهراً وباطناً على كل من فيها بل تعدى ذلك الأمن ليشمل أرجاء هذه الدولة المباركة، واستطاعت بلادنا بفضل هذا الأمن والاستقرار، أن توجه إمكاناتها الهائلة إلى بناء هذا المجتمع الإسلامي.

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٤).

(٢) سورة النحل: الآية رقم (٥٣).

(٣) سورة إبراهيم: الآية رقم (٧).

(٤) سورة النحل: الآية رقم (١١٢).

المطلب الثالث:

ذكر الله ﷻ للبلد الحرام بأسماء عدة في القرآن الكريم

توطئة:

لقد تنوعت أسماء البلد الحرام، وتعددت في اللغة العربية، ولكل اسم دلالة الخاصة، المعبرة عن معنى يزيد عن الآخر، بين المسميات التي تبدو مترادفة، وهذا يلفت الانتباه، لمكانته، وعظيم شأنه، فإن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى وعظمته،

"أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد، دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيامة، دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية، دلت على شدة نكابتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى، دلت على كمال جلال عظمته، وكثرة أسماء النبي ﷺ دلت على علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته"^(١).

قال النووي رحمه الله تعالى: "واعلم أن كثرة الأسماء، تدل على عظم المسمى، كما في أسماء الله تعالى، وأسماء رسوله ﷺ، ولا نعلم بلداً، أكثر أسماء من مكة، والمدينة، لكونهما أفضل بقاع الأرض، وذلك لكثرة الصفات المقتضية للتسمية"^(٢).

كما قال الشاعر:

واعلم بأن كثرة الأسماء دلالة أن المسمى سامي

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ١/٨٨، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، القاهرة.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، ٤/١٥٧، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

فمن أسماء البلد الحرام: مكة، وبكة، وأم القرى، والقرية، والبلد، والبلدة، ومَعَاد، والوادي، والنَّاسَة^(١)، والنَّساسة^(٢)، وكُوْثَى^(٣)، والحرم، وبَرَّة^(٤)، والمسجد الحرام، ومُعَطَّش، والرتاج، وأم زُحم، وأم زُحم، وأم صُبْح، وأم روح، وبُسَاق، والحاطمة، وصلاح^(٥)، والقادس، والقادسة، والبيت العتيق، والرأس، والمكَّتَان، والنابية، والباسة^(٦)، والبَسَّاسَة، وطيبة، وسبوحَة، والسلام، والعدراء، ونادرة، والعُرْش، والعريش، والحُرْمَة، والحِرْمَة والعروض، والوسل، والبسل، ومخرج صدق، وقرية الحمس، وأم راحم، وقرية النمل، ونقرة الغراب، والبنية، وفاران^(٧).

"وقد نظم القاضي أبو البقاء ابن الضياء الحنفي رحمه الله سبعة أبيات جمع فيها من أسماء مكة نحو ثلاثين اسماً وهي:

لمكة أسماء ثلاثون عددت	ومن بعد ذلك اثنان منها اسم مكة
صلاح وكوثى والحرام وقادس	وحاطمة البلد العريش بقرية
ومعطشة أم القرى رحم ناسه	ونساسة رأس بفتح لهمزة
مقدسة والقادسة ناشة	ورأس وتلج أم كوثى كبرة
سبوحه عرش أم رحمن عرشنا	كذا حرم البلد الأمين كبلدة

(١) قال الماوردي-رحمه الله-: "أي تنس من أحد فيها، أي تطرده وتنفيه". وقيل: لقلعة مائها، والنس اليبس. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. ٦٩/١

(٢) والمعنى في ذلك- والله أعلم - كالمعنى في الناسة بالنون. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. ٦٩/١

(٣) اسم بقعة منها: منزل بني عبد الدار وقيل: كوثى، جبل بمنى. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٧٠/١

(٤) لبرها للمؤمنين، وكثرة خيرها الذي لا يوجد في محل سواها. وقيل: لأنها بلدة الأبرار، وهي مبرورة بهم.

(٥) سميت بذلك لأنها، وصلاح مبني على الكسر، كحزام وقطام، وقد يصرف شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ٧٠/١

(٦) قال مجاهد-رحمه الله- لأنها تنس من أحد فيها، أي تملكه، أي تحطه، من قوله تعالى: (وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا) (٦).

شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام. ٦٨/١

(٧) انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ١٠٩/١ محمد بن أحمد أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

كذلك اسمها البلد الحرام لأنها
وبالمسجد الأسنى الحرام تسمت
وما كثرة الأسماء إلا لفضلها
حبها الرحمن من أجل كعبة^(١)

ولقد عني القرآن الكريم، في عدة مواطن، بذكر البلد الحرام، صراحة أو ضمناً، بأسماء لها دلالات معبرة، وألفاظ دالة على عدد من المعاني، ومن أبرز هذه الأسماء:

١_ مَكَّةُ :

قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٢)

والمراد بقول الله تعالى : ﴿بِطْنِ مَكَّةَ﴾؛ قيل الحديبية، وقيل وادي مكة، وقيل التنعيم^(٣).

وفي سبب تسمية البلد الحرام، (مكة) أربعة أقوال :

_ القول الأول: سميت بذلك؛ لأن الناس يؤمونها من كل مكان، فكأنها تجذبهم إليها،

من قولهم: امتك الفصيل ما في ضرع أمه، أي لم يبق فيه شيئاً.

_ القول الثاني: سميت بذلك؛ لأنها تمكُّ من ظلم فيها، أي تملكه. وهي تمك الذنوب

أيضاً فتذهبها.

_ القول الثالث: سميت بذلك لأنها تمك المخ من العظم، بما ينال ساكنها

من المشقة من قوله: تمكَّت العظم: استخرجت ما فيه من المخ.

(١) الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، ص (١٦٢). جمال الدين محمد جارالله بن ظهيرة القرشي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م، مصر.

(٢) سورة الفتح: الآية رقم (٢٤).

(٣) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ٤٣٨/٨ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

_ القول الرابع: سميت بذلك لقلة الماء بها، وذلك أنهم كانوا يمتكئون الماء فيها أي يستخرجونه.^(١)

والذي يظهر لي أن مكة تجمع المعاني الأربعة كلها فلا تعارض بينها، والله أعلم.

٢_ بَكَّةُ:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

والمراد بقول الله تعالى: ﴿بِكَّةَ﴾، قيل موضع البيت، وقيل البيت، والمسجد.

أما سبب تسمية بكة، فقيل إن مكة، وبكة: بمعنى واحد، فهما اسمان للبلد، والعرب تبدل الميم بالباء، فتقول: ضربت لازم، وضربت لازب لقرب المخرجين.

وقيل هما بمعنيين مختلفين: واختلف في معنى تسميتها بكة بالباء

سبب تسمية البلد الحرام، (بكة) ثلاثة أقوال :

_ القول الأول: سميت بذلك؛ لازدحام الناس بها، يقال: هم فيها يتباكئون، أي يزدحمون.

_ القول الثاني: سميت بذلك؛ لأنها تَبُّكُ أعناق الجبابرة، أي: تدقها، وما قصدها جبارٌ إلا قصمه الله تعالى.

_ القول الثالث: سميت بذلك؛ لأنها تضع من نخوة المتكبرين^(٣).

والذي يظهر لي أن بكة تجمع المعاني الثلاثة كلها فلا تعارض بينها، والله أعلم.

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، ٤٣٨/٨ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦).

(٣) انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٦٧/١، محمد بن أحمد أبو الطيب المكي الحسيني الفاسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

٣- أمُّ الْقُرَى:

قال الله ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٢)، ولقد اتفق عامة المفسرين على أن المراد بقول الله ﷻ: ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾، أي: مكة المكرمة.

وفي سبب تسمية البلد الحرام، (بأم القرى) أربعة أقوال:

— القول الأول: سميت بذلك؛ لأنها أصل الأرض، ووسطها، ولأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أقدم الأرض. فمحل القرى منها، محل البنات من الامهات.

ويؤيد هذا القول، ما توصل إليه الباحث، الأستاذ الدكتور، حسين كمال الدين أحمد إبراهيم - رحمه الله -، وقد أثبتته بالدراسة العلمية الهندسية، وهو ما توصل إليه كذلك الباحث الدكتور سعد المرصفي، إلى أن (مكة المكرمة) هي مركز لدائرة تمر بأطراف جميع القارات، بمعنى أن سطح الكرة الأرضية موزع حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً، وأن هذه المدينة المقدسة تعتبر مركزاً للأرض اليابسة، فسبحان الله، وبحمده.^(٣)

— القول الثاني: سميت بذلك؛ لأنها قبلة يؤمها جميع الأمة. فهي تجمع لجميع الخلائق لما أمروا به من حج البيت، وكان العرب كلهم يأتونها.

— القول الثالث: سميت بذلك؛ لأنها أعظم القرى شأنًا.

— القول الرابع: سميت بذلك؛ تشريفًا لها واجلالاً لاشتمالها على البيت المعظم^(٤).

(١) سورة الأنعام: الآية رقم (٩٢).

(٢) سورة الشورى: الآية رقم (٧).

(٣) الكعبة مركز العالم، ص ١٤٨، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، ط ١، ١٩١٨م، الكويت.

(٤) انظر: القرى لقاصد أم القرى، ص (٦٥١). أحمد بن عبدالله محب الدين الطبري. (بدون بيانات).

والمعاني كلها لا تعارض بينها، فتحمل عليها، والله أعلم.

٤_ البَلَدُ:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾^(١)،

وقال الله ﷻ: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾^(٢).

وأجمع المفسرون-رحمهم الله- على أن المراد بقول الله ﷻ: ﴿الْبَلَدُ﴾، أي:

مكة المكرمة^(٣)

وفي سبب تسميت البلد الحرام، (بالبلد) قولان :

_ القول الأول: سمي بذلك تفخيماً له، قال ابن منظور -رحمه الله-: "والبلد مكة تفخيماً

لها كالنجم للشريا والعود للمندل"^(٤)

_ القول الثاني: سمي بذلك لأنه صدر القرى، قال الفاسي -رحمه الله-: "والبلد في اللغة

الصدر، أي صدر القرى"^(٥).

وكلا المعنيين محتمل فهي معظمة ومبجلة، استحقت أن تكون صدر القرى، والله أعلم.

٥_ البَلَدُ الْأَمِينُ:

قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾^(٦)

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٥).

(٢) سورة البلد: الآية رقم (٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٩/٥، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) لسان العرب، ٩٤/٣. محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.

(٥) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٩٧/١. محمد بن أحمد أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت، لبنان.

(٦) سورة التين: الآية رقم (٣).

ولم يختلف أحد من علماء التفسير في المراد بالبلد الأمين: بأنه: مكة المكرمة

قال ابن كثير -رحمه الله-: "ولا خلاف في ذلك" (١).

وفي سبب تسمية البلد الحرام، (بالبلد الأمين) :

_القول الأول: سمي بذلك لأنه بلد آمن، أي: ذا أمن، فهو فعيل بمعنى مفعول، أي المأمون فيه، من الغوائل والعاهات، قال الإمام ابن جرير الطبري-رحمه الله-: "وهذا البلد الآمن من أعدائه أن يجاربوا أهله، أو يغزوهم" (٢).

_القول الثاني: سمي بذلك لأنه مؤتمن على من فيه وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه، فهو فعيل بمعنى فاعل (٣)

والآية الكريمة تحمل المعنيين، ولا تعارض بينهما، فنحملها عليهما، والله أعلم

٦_ البَلْدَةُ:

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلْدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٤)، قيل المراد بها: مكة، وقيل: منى، وعمامة المفسرين على القول الأول أنها مكة.

وفي سبب تسمية البلد الحرام، (بالبلدة) :

بنحو ما ذكر في سبب تسمية البلد الحرام، (بالبلد)، يقال في سبب تسميته (بالبلدة)، فهو تشريف وتفخيم لمكانة البلد الحرام، وهي البلدة الجامعة للخير، المستحقة أن تسمى بهذا

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤٣٤/٨. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، ١٠/١٤١، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت.

(٣) انظر تفسير البحر المحيط لابن حيان (١٠ / ٤٩٨)

(٤) سورة النمل: الآية رقم (٩١).

الاسم، دون غيرها، لتفوقها على سائر مسميات أجناسها، حتى كأنها هي المحل المستحق للإقامة دون غيرها.^(١)

٧_ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ:

ورد ذكر المسجد الحرام، في القرآن الكريم، في ثلاثة عشر موضعاً.

والمراد بالمسجد في اللغة: الأراب التي يسجد عليها وهي موضع السجود من بدن الإنسان وبيت الصلاة.^(٢) والمسجد شرعاً هو كل موضع من الأرض لقوله ﷺ: "وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا" أي موضع سجود، لا يختص السجود منها بموضع دون غيره^(٣)، ثم إنّ العرف خصّ المسجد بالمكان المهيأ للصلوات الخمس^(٤).

وإذا أطلق المسجد الحرام، في القرآن الكريم، فيراد به:

١_ الكعبة المشرفة: ومنه قول الله ﷻ: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٥).

٢_ المسجد الذي حول الكعبة: ومنه قول الله ﷻ: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٦).

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، ١/١٩٠١، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الكويت.

(٢) لسان العرب، ٣/٣٠٤، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠-١٩٩٠م.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢/٢٤، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، القاهرة.

(٤) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الكويت. مصطلح: (المسجد الحرام).

(٥) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٤).

(٦) سورة التوبة: الآية رقم (١٩).

٣_ مكة كلها مع الحرم حولها : ومنه قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

وجميع الصحابة رضي الله عنهم والأئمة -رحمهم الله تعالى-، فهموا المراد من هذه الآية مكة كلها، والحرم، ولم يخص ذلك أحد منهم بنفس المسجد الذي يطاف فيه^(٢).

وهذا هو الغالب في المراد بالمسجد الحرام أنه الحرم كله ، وقد نقل عن الماوردي-رحمه الله- أنه قال: كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا قول الله عز وجل: ﴿قَوْلٍ وَجَهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣) فإن المراد به الكعبة^(٤). والله أعلم.

٨_ مَعَادٌ:

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(٥)، تعددت أقوال المفسرين رحمهم الله تعالى في المراد بقول الله عز وجل: ﴿لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ فقيل: مكة، وقيل: الجنة، وقيل: الحج، وقيل: الموت، وقيل: القيامة، والبعث، وقيل: الآخرة، وقيل: بيت المقدس.

والأقرب أن المراد به مكة، لأن ظاهر لفظ المعاد أنه كان فيه، ثم فارقه وحصل العود بعد ذلك، قال ابن قتيبة: مَعَادُ الرَّجُلِ: بلده، لأنه يتصرف في البلاد ويضرب في الأرض ثم يعود إلى بلده. قال ابن جرير الطبري رحمه الله: " والصواب من القول في ذلك عندي: قول من

(١) سورة التوبة: الآية رقم (٢٨).

(٢) انظر: أحكام أهل الذمة، ١٩١/٣، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، الطبعة ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م بيروت، لبنان.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٤).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٢٦/١ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت.

(٥) سورة القصص: الآية رقم (٨٥).

قال: لرادك إلى عادتك من الموت، أو إلى عادتك حيث ولدت، وذلك أن المعاد في هذا الموضوع: المفعول من العادة، ليس من العود، إلا أن يوجه موجه تأويل قوله: ﴿لَرَادُّكَ﴾، لمصيرك، فيتوجه حينئذ قوله: ﴿إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى معنى العود، ويكون تأويله: إن الذي فرض عليك القرآن لمصيرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك^(١). وقال الرازي -رحمه الله- في المراد بمعاد في الآية: "يعني إلى مكة ظاهراً عليهم وهذا أقرب، لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل العود، وذلك لا يليق إلا بمكة، وإن كان سائر الوجوه محتملاً لكن ذلك أقرب"^(٢). وأطلق المعاد على مكة، لأن العرب كانت تعود إليها، في كل سنة، لمكان البيت فيها. ووجه تنكيهه، أنها كانت في ذلك اليوم، معاداً له شأن عظيم، لفتح رسول الله ﷺ لها، وقهره لأهلها، وإظهار عز الإسلام، وإذلال حزب الكفر، فكأن الله تعالى وعده وهو بمكة، في حال أذى، وغلبة، من أهلها، أنه يهاجر منها، ويعيده إليها ظاهراً، ظافراً. وهذا وعد منه ﷺ، قد حققه له، والله أعلم.^(٣)

٩_ : الوادي :

قال الله ﷻ عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ﴾^(٤)، والوادي: هو "كل مَفْرَجٍ بين الجبال والتلال والآكام، سمي بذلك لسيلانه يكون مَسْلُكاً للسيل وَمَنْقِذاً"^(٥)، ومكة كذلك، قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في هذه الآية: "أسكن

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٦٤/٨، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٢) تفسير مفاتيح الغيب، ١٣/١٩٨، الإمام محمد الرازي، دار الفكر، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: القاموس المحيط، (مادة: عود) ٣٠٢، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥. وانظر: تفسير البحر المحيط، ٧/١٣٢. محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، بيروت، لبنان.

(٤) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٥) لسان العرب، ١٥/٣٨٣، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

إسماعيل وأمه مكة" (١). وقال البغوي-رحمه الله- في الآية: "وهو مكة؛ لأن مكة واد بين جبلين" (٢)، وقال ابن الجوزي-رحمه الله-: "يعني مكة، ولم يكن فيها حرث، ولا ماء" (٣). ومما يؤكد تسميتها بذلك، قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لنافع بن عبد الحارث الخزاعي، عامله على مكة، لما لقيه بعُسفان، حين استخلف على أهل مكة، مولاه عبد الرحمن بن أبزى: "مَنْ اسْتَخْلَفْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟. قَالَ: اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنْ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ: رَجُلٌ مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ عُمَرُ: فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلَى؟ قَالَ: إِنَّهُ قَارِئُ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ، قَاضٍ، قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صلى الله عليه وسلم قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ" (٤)، وفي قصة إسلام أبي ذر رضي الله عنه قال: "فَأْتَيْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعْتُ (٥) رَجُلًا مِنْهُمْ، فَقُلْتُ: أَيْنَ هَذَا الَّذِي تَدْعُونَهُ الصَّابِيَّ؟ فَأَشَارَ إِلَيَّ فَقَالَ: الصَّابِيُّ، فَمَالَ عَلَيَّ أَهْلُ الْوَادِي، بِكُلِّ مَدْرَةٍ، وَعَظْمٍ، حَتَّى خَرَرْتُ مَعْشِيًا عَلَيَّ" (٦).

وبعد: فهذه الأسماء، هي مجمل ما ورد في القرآن الكريم، عن البلد الحرام، وهي أسماء لها دلالات معبرة، تنوه بشأن البلد الحرام، وتنبه الناس على مكانته، وخطره، فهو البلد الآمن والمأمون، فلا ينتهك أمنه، ومن تجرأ عليه، واستخف بجرمته، دكت عنقه، وارتد خاسرا على

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٥٧/٧، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٢) تفسير البغوي المسمى؛ معالم التنزيل، ٣٥٥/٤، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

(٣) زاد المسير في علم التفسير، ٧/٥، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

(٤) رواه ابن ماجه، باب: فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٢١٧). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٣٩).

(٥) فَتَضَعْتُ: أي استضعفته. غريب الحديث لابن قتيبة ٤/٢

(٦) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي ذر رضي الله عنه، رقم (٢٤٧٣).

عقبه، فهو قبلة الناس، وأم القرى، وأول مكان وضع للعبادة لهم، وأمنه صلاح لهم، في أمور الدين، والدنيا.

فبلد هذه أسماؤه، وتلك صفاته، لتترك أثراً في قلب كل مؤمن، في العالم الإسلامي، فكيف بساكنه، أو القادم إليه، فكل اسم له، يستنطق المكان، والزمان، وينبه كل من فيه، والقادم إليه، بكبير حقه، وعظيم حرمة.

فيجب على كل مسلم أن يراعي حرمة ومكانة البلد الحرام في أي مكان كان، ويجب على كل حامل راية الدعوة إلى الله وتعليم الناس وتثقيفهم، أن يؤكد في قلوب المسلمين مكانة هذا البلد الذي حفظ الله ﷻ به شعائر الدين ومعامله، فيعي الناس حقه ويقوموا بواجبه ويربوا النشء على تعظيمه، ويقوموا بشكر ربهم الذي وهبهم هذه النعمة الخالدة.

المطلب الرابع:

تحريم الله ﷻ للبلد الحرام، وإضافته إليه،

وحبه له

لقد بينت في شرح مفردات عنوان البحث معنى كلمة: (الحرام)، ونكمل في هذا المطلب معنى تحريم الله ﷻ للبلد الحرام من الكتاب والسنة، نسأل الله التوفيق والإعانة.

- تحريم الله ﷻ للبلد الحرام:

أخبر الله ﷻ عن تحريمه للبلد الحرام، في القرآن الكريم في مواطن عدة فمن ذلك:

قال الله ﷻ: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(١).

وقال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوا شَعَبِ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ

وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا﴾^(٢).

وقال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِن ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾^(٣).

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنِ اعْبُدُوا رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤).

وقال الله ﷻ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾^(٥).

وقال الله ﷻ: ﴿أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخِطِفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾^(٦).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٤).

(٢) سورة المائدة: الآية رقم (٢).

(٣) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٤) سورة النمل: الآية رقم (٩١).

(٥) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٦) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٧).

وأخبر النبي ﷺ، بأن الله ﷻ حرم البلد الحرام، وأن هذا التحريم كان يوم خلق الله ﷻ السماوات والأرض، فقال ﷻ يوم افتتح مكة: " لَا هَجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَجَلِّ الْقِتَالَ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَمْ يَجَلِّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ^(١) شَوْكُهُ وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهُ وَلَا يَلْتَقِطُ لُقْطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا وَلَا يُخْتَلَى^(٢) خَلَاهَا قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْحَرَ^(٣) فَإِنَّهُ لِعَيْنِهِمْ وَلِئِيْوَتِهِمْ قَالَ : قَالَ إِلَّا الْإِذْحَرَ"^(٤).

وأخبر ﷺ أن المحرم لهذا البلد هو الله ﷻ وليس الناس، فقال ﷻ: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَجِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجْرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا لَهُ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"^(٥).

وسبق بيان معنى التحريم وأنه؛ ما لا يحل استحلاله وانتهاكه، لحرمة ومهابته، وتعظيم قدره، لتحريم الله ﷻ له، كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٦)، "والحُرْمَاتُ : جمع حُرْمَةٍ بضمين : وهي ما يجب احترامه، والاحترام: اعتبار

(١) قال ابن منظور في اللسان مادة (عضد): (نهي أن يعضد شجرها، أي : يقطع). ٣٠ / ٢٩٢

(٢) قال ابن الأثير في النهاية مادة (خلا): (الخلا مقصور: النبات الرطب الرقيق ما دام رطبًا، واختلاؤه: قطعه. وأخلت الأرض: كثر خلاها، فإذا بيس فهو حشيش).

(٣) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا ينفر صيد الحرم، رقم (١٨٣٣) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطنها، رقم (١٣٥٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يحل القتال بمكة، رقم (١٨٣٤) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطنها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: ليلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٤). ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطنها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٤).

(٦) سورة الحج: الآية رقم (٣٠).

الشيء ذَا حَرَمٍ ، كناية عن عدم الدخول فيه . أي عدم انتهاكه بمخالفة أمر الله في شأنه ، والحُرْمَات يشمل كل ما أوصى الله بتعظيم أمره^(١) ، "والشيء الحرام، هو الممنوع، والتحريم المنع، والتحريم يكون كمالاً للمحرّم، ويكون نقصاً، على اختلاف اعتبار، سبب التحريم وصفته، فتحريم المكان، والزمان، مزية وتفضيل لهما، وتحريم الفواحش، والميتة، والدم، والخمر، تحقير لها، والمحرمات للنسل، والرضاع، والصهر، زيادة في الحرمة، فتحريم المكان؛ منع ما يضر بالحال فيه. وتحريم الزمان، كتحريم الأشهر الحرم؛ منع ما فيه ضرر للموجودين فيه"^(٢).

والمتأمل للآيات والأحاديث الصحيحة السابقة، يظهر له جلياً، تشریف الله ﷻ، وتعظيمه للبلد الحرام بإضافة التحريم إليه، كما قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا ﴾^(٣) ، فتخصيصها بالإضافة، لتفخيم شأنها، وإجلال مكانها، وتحريمه تعالى إياها، تشریف لها بعد تشریف، وتعظيم إثر تعظيم، فحرم صيدها ، وشجرها ، وخلاها ، والقتال فيها، وإرادة الإلحاد فيها بوجه من الوجوه، فلا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يهدّد الخائف فيها، فلا يستحل فيها ما لا ينبغي، قال الرازي رحمه الله: " وإنما وصفها بالتحريم لوجوه : أحدها : أنه حرم فيها أشياء على من يحج، وثانيها : أن اللاجيء إليها آمن، وثالثها : لا ينتهك حرمتها إلا ظالم ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها"^(٤)

– إضافة البلد الحرام إلى الله ﷻ –

أضف الله ﷻ البيت إليه، تشریفاً وتعظيمًا له، فقال ﷻ: ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(٥) ، وقال الله ﷻ: ﴿ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾^(٦) ، وأخبر النبي ﷺ

(١) التحرير والتنوير، ٦٩/٤، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

(٢) المرجع السابق، ٢٦٢/٥

(٣) سورة النمل: الآية رقم (٩١).

(٤) تفسير مفاتيح الغيب، ١٠٨/١٣، الإمام محمد الرازي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بيروت، لبنان.

(٥) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٦) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

ﷺ أن الكعبة بيت الله ﷻ فقال: " ذُو السُّؤْيَفَتَيْنِ مِنَ الْحَبْشَةِ يُحَرِّبُ بَيْتَ اللَّهِ ﷻ " (١)، وقال ﷺ في قصة أم إسماعيل العليليَّة: " فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَحَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ بَيْتِي هَذَا الْعُلَامُ وَأَبُوهُ " (٢) .

– أقسام ما أضافه الله ﷻ إلى نفسه ﷻ :

١. العين القائمة بنفسها: ما يكون منفصلاً بائناً عن الله ﷻ، قائماً بنفسه أو قائماً بغيره، وإضافته إلى الله ﷻ إضافة خلق وتكوين، ولا يكون ذلك إلا فيما يقصد به تشريف المضاف أو بيان عظمة الله ﷻ، لعظم المضاف وإضافتها من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل العموم كقوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَسِعَتْ﴾ (٣) وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفيته كقوله ﷻ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ (٤)، وقوله ﷻ: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ (٥)، وهذا القسم مخلوق.

٢. أن يكون وصفا محضا: يكون فيه المضاف إلى الله ﷻ من صفاته الذاتية أو الفعلية كوجهه، ويده، وسمعه، وبصره، واستوائه على عرشه، ونزوله إلى السماء الدنيا، وكلام الله، وعلم الله ونحو ذلك، وإضافته إلى الله ﷻ من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، وليس من باب إضافة المخلوق والمملوك إلى مالكة وخالقه وهذا القسم غير مخلوق؛ لأن جميع صفات الله غير مخلوقة، (٦)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فليس في مجرد الإضافة

(١) رواه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، رقم (٢٩٠٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿بِرَقُونٍ﴾ النسلان في المشي، رقم (٣٣٦٤).

(٣) سورة العنكبوت: الآية رقم (٥٦).

(٤) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٥) سورة الشمس: الآية رقم (١٣).

(٦) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ١/١٦٧، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة - ١٤١٣ هـ. الرياض.

ما يستلزم أن يكون المضاف إلى الله صفة له، بل قد يضاف إليه من الأعيان المخلوقة وصفاتها القائمة بها ما ليس بصفة له باتفاق الخلق؛ كقوله تعالى: {بَيْتَ اللَّهِ}، {نَاقَةَ اللَّهِ}، و{عِبَادَ اللَّهِ}، بل وكذلك {رُوحَ اللَّهِ} عند سلف المسلمين وأئمتهم وجمهورهم، ولكن؛ إذا أضيف إليه ما هو صفة له وليس بصفة لغيره؛ مثل كلام الله، وعلم الله، ويد الله، ونحو ذلك؛ كان صفة له^(١).

فأضافة الله ﷻ، البلد الحرام إليه، هي من القسم الأول، أضافه إليه، ليكتسب شرفاً إلى شرفه، ولتعظيم محبته في القلوب "وتخصيصها بالإضافة لتفخيم شأنها، وإجلال مكانها، والتعرض لتحريمه إياها تشریف لها بعد تشریف، وتعظيم إثر تعظيم" ^(٢).

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وهذا يدل على الاعتناء منه سبحانه، بهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو لم يكن له شرف، إلا إضافته إياه إلى نفسه، بقوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾^(٣)، لكفى بهذه الإضافة فضلاً، وشرفاً، وهذه الإضافة، هي التي أقبلت بقلوب العالمين إليه، وسلبت نفوسهم حبا له، وشوقاً إلى رؤيته، فهو المثابة للمحبين، يثوبون إليه، ولا يقضون منه وطراً أبداً، كلما ازدادوا له زيادة، ازدادوا له حبا؟، وإليه اشتياقاً، فلا الوصال يشفيهم، ولا البعاد يسلبهم،

كما قيل:

أَطُوفُ بِهِ وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ الطَّوْفِ تَدَانِي
وَأَلْتَمُّ مِنْهُ الرُّكْنَ أَطْلُبُ بَرْدَ مَا بِقَلْبِي مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ هَيْمَانِ
فَوَاللَّهِ مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا الْقَلْبُ إِلَّا كَثْرَةَ الْحَقْمَانِ

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٤/٤١٥، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني: ت:

علي بن حسن وعبد العزيز بن إبراهيم وحمدان بن محمد، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، السعودية.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٢٠/٣٩٠. محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

فِيَا جَنَّةَ الْمَأْوَىٰ وَيَا غَايَةَ الْمُنَىٰ
 أَبَتْ غُلْبَاتُ الشَّقِيقِ إِلَّا تَقَرُّبًا
 وَمَا كَانَ صَدِّي عَنْكَ صَدًّا مَلَالَةً
 دَعَوْتُ اصْطِبَارِي عِنْدَ بُعْدِكَ وَالْبُكَاءِ
 وَهَذَا مُحِبُّ قَادَهُ الشَّقِيقُ
 أَتَاكَ عَلَيَّ بُعْدِ الْمَزَارِ وَلَوْ
 وَيَا مُنْيَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ أَمَانٍ
 إِلَيْكَ فَمَا لِي بِالْبِعَادِ يَدَانِ
 وَلِي شَاهِدٌ مِنْ مُقْلَتِي وَلِسَانِي
 فَلَبَّى الْبُكَاءِ وَالصَّبْرُ عَنْكَ عَصَانِي
 وَالْهَوَىٰ بَعِيرِ زِمَامٍ قَائِدٍ وَعِنَانِ
 وَنَتَّ مَطِيئَتُهُ جَاءَتْ بِهِ الْقَدَمَانِ"^(١)

- البلد الحرام خير أرض الله ﷻ وأحبه إليه:

من جملة ما شرف الله ﷻ، به البلد الحرام، أن جعل أرضه، خير أرض، وأحبها إليه، من بين سائر البلاد قال عبد الله بن عدي رضي الله عنه: رأيت الرسول الله ﷺ واقفاً على الحزورة^(٢) فقال: "وَاللَّهِ إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ"^(٣). وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: "مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أُخْرِجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ"^(٤).

- (١) بدائع الفوائد، ٦٧/٣، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، ط الجمع.
- (٢) الحزورة: بالفتح ثم السكون، وفتح الواو، وراء، وهاء؛ قال الدار قطني رحمه الله: "كذا صوابه، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو، وهو تصحيف" والحزورة في اللغة: الراية الصغيرة. انظر معجم البلدان للحموي: ٢٥٥/٢.
- وقال الأزرقى: "الحزورة كانت سوق مكة، ثم دخلت في المسجد الحرام" انظر أخبار مكة للأزرقى ٢٩٦/٢.
- (٣) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، رقم (٣٩٢٥)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٩).
- (٤) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، رقم (٣٩٢٦)، صححه الألباني في المشكاة، رقم (٢٧٢٤).

قال الشوكاني -رحمه الله-: " فيه دليل على أن مكة خير أرض الله على الإطلاق وأحبها إلى رسول الله ﷺ" (١)، وقال ابن القيم-رحمه الله-: "فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده، وأحبها إليه، ومختاره من البلاد، لما جعل عرصاتها مناسك لعباده" (٢).

وبهذا يتبين تعظيم الله سبحانه وتعالى للبلد الحرام حيث حرمه وأضافه لنفسه تشريفاً له واختاره من بين سائر البلاد محبة له.

- أثر انتهاك حرمة البلد الحرام :

إن انتهاك حرمة البلد الحرام، يفقد هذه الأمة خيريتها، وينبؤ عن مرضها وقرب هلاكها، فعن عيَّاش بن أبي ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: " لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حقَّ تعظيمها، فإذا تركوها وضيعوها هلكوا" (٣).

ومن وقف على أحوال مجتمع البلد الحرام، يظهر له جلياً، ضعف ثقافة الناس، في تعظيم هذا البلد الحرام، الذي حرمه الله ﷻ، وضعف أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، إذ فيهم من يتعامل بالسحر، والشرك بالله ﷻ، وهو أكبر الكبائر، وأعظم الموبقات، التي تفعل بالبلد الحرام، وجوار البيت الحرام، الذي ما بني إلا لتوحيد الله ﷻ، وما بعث منه الرسول ﷺ، إلا لتوحيد الله ﷻ، فكيف يمارس فيه الشرك!!، ويجدد فيه ملة عمرو بن لحي الخزاعي!!، بعد أن من الله ﷻ، على أهل هذا البلد الحرام، بملة إبراهيم ﷺ، وتحطيم الأصنام، ونبذ جميع مظاهر الشرك، والوثنية. وكذلك ظهور بعض البدع، في البلد الحرام، وهي من أعظم المعاصي، بعد الشرك بالله ﷻ، ولا يقبل الله ﷻ، من صاحب بدعة، بدعته، قال ﷺ: " مَنْ أَحَدَثَ فِي

(١) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، ٣١/٥. محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٤/١، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند الكوفيين، بقية حديث عيَّاش بن أبي ربيعة، رقم (١٩٢٥٩). ورواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب: فضل مكة، رقم (٣١١٠)، والحديث حسنه الحافظ ابن حجر في الفتح ٣/٥٢٥. وضعفه الألباني في المشكاة رقم (٢٧٢٧).

أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ" (١)، فلا تنفعه طاعاته المبتدعة، مهما كثرت ، مادام أنها ليست على السنة، وكيف يجزؤ، على إحداثها هنا في البلد الحرام، قبله المسلمين، ومبعث الأمين ﷺ. كذلك انتشار المعاصي، والمنكرات الظاهرة، فتجد من يقترفها- والعياذ بالله - في جنبات، المسجد الحرام !! فكم من سارق وكم من مؤذ للنساء، قبض عليه في المسجد الحرام !! وكم من متبرجة ومتهتكة في حجابها وزينتها، آذت عبّاد بيت الله الحرام !!

وتنتشر في البلد الحرام، بعض البنوك، التي من تعاملاتها الربا الصريح، وهي من المنكرات الدائمة، في البلد الحرام، وهي إعلان حرب على الله ﷻ، ورسوله ﷺ، في البلد الحرام، قال الله ﷻ محذراً من التعامل بالربا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (٢) ولا تسل عن الغش، في المعاملات، بين أهل البلد الحرام، والقادمين إليه، من الحجاج والمعتمرين، ولا سيما في أيام المواسم، فنقض للعهود، وعدم الوفاء بها، والتدليس، والغش في البيع، والتطيف في الكيل والميزان، وغلاء الأسعار، بغير وجه حق. كذلك من المنكرات الظاهرة، في البلد الحرام، محلات بيع اللهو المحرم، كمحلات بيع الأفلام، والأغاني الماجنة، والمجلات الخليعة، وأما الأسواق، التي بجوار المسجد الحرام، فلا تسل عن إضاعة الصلاة، وعن الاختلاط، والتبرج، وعرض الملابس التي تخدش بالحياء معلقة أمام الناس في البلد الحرام، وإن تعجب فاعجب من بعض الحجاج والمعتمرين ، الذين يفتدون للبلد الحرام، وهمهم كيف يجمع أضعاف ما أنفق من مال بأي طريق كان، بل يفتد إلى البلد الحرام عصابات السرقة والجريمة المنظمة، لاستغلال زحمة المواسم، فالله المستعان، ناهيك عنمن يفتد للبلد الحرام لإشاعة الفوضى والغوغائية، وترويع الآمنين، تحت شعارات حزبية، أو طائفية، أو سياسية، وكذلك تهريب السلاح، والمتفجرات، والمسكرات والمخدرات، إلى البلد الحرام، كل ذلك وغيره من المنكرات، التي تبكي قلب كل مؤمن، ويضج منها البلد الحرام، وهي والله مصيبة كبرى، وبلية عظيمة، تخبرك بضعف دين هؤلاء، وعدم تعظيم الله ﷻ وبلده الحرام، وضعف الأمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وتبلد الحس عند

(١) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧). ورواه مسلم،

كتاب الأفضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (٢٧٩).

بعض الناس على المنكرات، والمعاصي، حتى أصبحت مألوفة، على قلوبهم، والعياذ بالله، وما أكثرها لدرجة أن المسلم يجد حرجا شديداً في انكارها لانتشارها وكثرتها، وهذا يستدعي منا جهودا عظيمة وتكاتفا بين الأجهزة الأمنية المختص ، والمؤسسات المجتمعية، والناس، فلا بد أن نتعاون جميعا، كل منا في قطاعه، وتخصصه، ومجاله، وكذلك كل من يأتي إلى هذا البلد الحرام، ولا بد أن نحي في قلوبنا، تعظيم هذا البلد الحرام، الذي عظمه الله ﷻ وأن نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر، كل على حسب استطاعته، فلقد تعاون أهل البلد الحرام، ونصح الناصحون، وكانت الإجابة لما طالبوا به، فمنعت المقاهي، وأخرجت من البلد الحرام، إذ لا تليق بحرمة هذا البلد أن تبقى فيه، وكذلك بقية المنكرات تزول بإذن الله إذا تضافرت الجهود، وأدرك الناس عظمة البلد الذي سكنوه، قال عمر بن الخطاب ﷺ : " يا أهل مكة، اتقوا الله في حرم الله، أتدرون من كان ساكن هذا البيت ؟ كان به بنو فلان فأحلوا حرمه فأهلكوا، وكان به بنو فلان فأحلوا حرمه فأهلكوا، حتى ذكر ما شاء الله من قبائل العرب أن يذكر، ثم قال: لأن أعمل عشر خطايا في غيره أحب إلي من أن أعمل هاهنا خطيئة واحدة " (١).

والله إنها لمصيبة، يتفتت لها القلب، أن تجد قاصد البلد الحرام، من حاج، ومعتمر، يقف على هذه المنكرات في البلد الحرام وقد جاء ليحدد دينه، ويتعلم من أهل هذا البلد الحرام، تعظيم شعائر الله ﷻ، فالداخل للبلد الحرام، يدخل إلى بلد الأمن، والأمان، بلد الطهر، والفضيلة، يرجف فؤاده، شوقا وهيبة منها، فتدمع عينه، ويرق قلبه لها، يدخل البلد الحرام، وهو يرجو مغفرة الذنوب، والآثام، ويجدد العهد مع ربه، في أن يستقيم على دينه، ما بقي من عمره، أما أن يجد هذه الملهيات، والمنكرات، بين عينيه، ودواعي الإثارة، والشهوة، بين يديه، فلا تسئل عن حرمة هذا البلد، وعن تعظيمه والله المستعان. وإن المؤمن ليعجب من تفكير مرتكب الجريمة في البلد الحرام، اختار لنفسه، أن تكون بلد الله الحرام، محلاً لجرمه، وارتكاب معصية الله ﷻ فيها، وإن ذلك ليظهر بجلاء، دناءته، وضعف دينه وتعظيمه لبلد الله الحرام، الذي حرم إرادة الذنب فيه، فكيف بارتكابه!!

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٤ / ٣٥٢

ألا وإن هذه المنكرات وغيرها مؤذنة بهلاك العرب والعالم أجمع، فقد أخبر النبي ﷺ فقال: "يَبَايِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ فَإِذَا اسْتَحْلُوهُ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ ثُمَّ تَجِيءُ الْحَبَشَةُ فَيُخَرِّبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا هُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ" (١).

فتعظيم البلد الحرام، وعدم انتهاك حرمة، وأداء حقوقه وواجباته، تحقيق للأمن وثباته، وأمان بعدم خراب الأرض، فأهل البلد الحرام، في أمن وأمان، والأمة الإسلامية بأمن وأمان، والعالم بأسره، في أمن وأمان، من دمار عام، أو خراب شامل.

لذا يجب على كل مسلم نزل البلد الحرام، أن يعظمه حق تعظيمه، وأن يطهره، من كل ما ينقص مكانته ويشينه، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢) قال الشنقيطي رحمه الله في معنى التطهير في هذه الآية: "يؤخذ من هذه الآية الكريمة: أنه لا يجوز أن يترك عند بيت الله الحرام قدر من الأقدار، ولا نجس من الأنجاس المعنوية ولا الحسية، فلا يترك فيه أحد يرتكب ما لا يرضي الله، ولا أحد يلوثه بقدر من النجاسات... ولا شك أن ارتكاب أي شيء حرمه رسول الله ﷺ أنه من الأقدار والأنجاس المعنوية التي يلزم تطهير بيت الله منها. وكذلك ما يقع في المسجد من الكلام المخلل بالدين والتوحيد لا يجوز إقرار شيء منه ولا تركه. ونرجو الله لنا ولمن ولاه الله أمرنا، وإخواننا المسلمين التوفيق إلى ما يرضيه في حرمه، وسائر بلاد، إنه قريب مجيب" (٣). إذ ليس في الدنيا بأكملها، مكان أليق بتحقيق هذا الطهر فيه، من هذا البلد الحرام، وليعلم كل مؤمن، أنه بطهارة هذا البلد الحرام وصلاحه، صلاح لسائر بلاد المسلمين، فكم قامت من دعوات إصلاح، وتجديد للدين، في العالم الإسلامي، بعد فضل الله ﷻ، بسبب زيارة المسلمين، لهذا البلد الحرام، ووقوفهم على تعظيم شعائر الله ﷻ، في جو، وبيئة صالحة، تنمو

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، مسانيد المكثرين، مسند أبي هريرة ﷺ، رقم (٧٨٩٧). وصححه ابن حبان (٦٨٢٧)، والحاكم في المستدرک ٤/٤٥٢، وقال شعيب الأرمؤوط: إسناده صحيح.

(٢) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٤/٢٩٨، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة.

فيها الآداب، والفضائل، وتحتفي فيها المنكرات والرذائل، ويتربى في ظلها، القلب العفيف، والوجدان اليقظ، الذي لا يسمح للشر أن يبدأ فضلا من أن يبقى أو ينتشر، في البلد الحرام. ويمكننا أن نحمل الدواء لما وصفناه من داء انتهاك حرمة البلد الحرام وذلك ببلورة ثقافة تعظيم البلد الحرام فيما يلي:

١. البعد الرسمي: وذلك بسن قوانين، وأنظمة، ولوائح خاصة بحرمة البلد الحرام، وعقوبة منتهكيها.

٢. البعد الإعلامي: وذلك بالتعريف بالبلد الحرام وبيان مكانته عبر جميع وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة.

٣. تفعيل الوسائل التقليدية لنشر ثقافة تعظيم البلد الحرام وذلك عن طريق:

- تشمير الدعاة إلى الله ﷻ عن ساعد الجد في تثقيف الناس وتعليمهم أحكام البلد الحرام، واستنهاض همم المحتسبين لتطهير البلد الحرام من المنكرات بالأسلوب الحكيم.

- تفعيل برامج التوعية والإرشاد في الحملات القادمة للحج والعمرة عن طريق مؤسسات الطوافة.

- إصدار الكتيبات المختصة بثقافة تعظيم البلد الحرام ونشرها بين الساكنين والقادمين للبلد الحرام.

- تفعيل دور المنابر ومحارب المساجد في البلد الحرام، لتثقيف الناس بمكانة البلد الحرام.

- استثمار ساحات المسجد الحرام وأماكن تجمع الحجاج والمعتمرين لتوعيتهم بمكانة البلد الحرام عن طريق مرشدين بلغات عدة.

- تفعيل دور المناصحة في المجتمع المكي.

- توظيف المؤسسات التعليمية والدوائر الحكومية والجمعيات الخيرية في البلد الحرام لتعزيز ثقافة البلد الحرام.

- إقامة المؤتمرات والندوات لبحث سبل العودة بمكانة البلد الحرام في قلوب المسلمين.

المطلب الخامس: مضاعفة أجر الصلاة والأعمال الصالحة في البلد الحرام

– مكانة الصلاة في الإسلام:

للصلاة منزلة عظيمة في الإسلام ، فهي الركن الثاني، من أركانه العظام، وهي عماد الدين، الذي لا يقوم إلا به، قال النبي ﷺ: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرْوَةٌ سَنَامِهِ الْجِهَادُ"^(١). وهي أول ما يحاسب عليه العبد، يوم القيامة، فصالح عمله وفساده، بصالح صلاته، وفسادها، كما قال النبي ﷺ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ قَالَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكْتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أُمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ قَالَ أُمَّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتُهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ ثُمَّ تُؤْخَذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاكُمْ"^(٢). وذلك لأن الصلاة، هي الوسيلة لبناء الإنسان، الصالح المصلح، ومتى صلح الإنسان، صلحت تلقائيا كل أموره، فجميع جوانب حياة الإنسان، متوقفة على قناعاته، وأفكاره، ومعتقداته، والصلاة مهمتها بناء الأفكار والمعتقدات إذا أدت بطريقة صحيحة^(٣). والصلاة "لو لم تكن رأس العبادات، لعدت من صالح العادات، رياضة أبدان، وطهارة أرواح، وتهذيب وجدان، وشتى

(١) رواه الترمذي، كتاب الإيمان، باب: ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (٢٦١٦)، وصححه الألباني.

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في "أول ما يحاسب به العبد الصلاة"، رقم (١٤٢٥). وصححه الألباني.

(٣) انظر: مفاتيح إقامة الصلاة وإخلاص العبودية لله، ص(١٠) د. خالد بن عبد الكريم اللاحم.. مكتبة صيد الفوائد

الإسلامية على موقع: <http://www.saaaid.net/book/open.php?cat=٨٧&book=٨٥٣٤>

فضائل يشب عليها الجوارى، والولدان" (١)، قال ﷺ في فضل من مشى إليها، ناهيك عن من أداها وأقامها، " مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً، مِنْ فَرَايِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ، إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً" (٢). وقال ﷺ: " صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ بَضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْسِبُهُ وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ يَقُولُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ثَبِّعْ عَلَيْهِ مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ مَا لَمْ يُجْدِ فِيهِ" (٣).

هذه هي الصلاة، وهذا فضلها، إذا أقيمت على الوجه الشرعي، وحيث أمر الله ﷻ.

- فضل الصلاة في البلد الحرام:

أما شأن الصلاة، في البلد الحرام، فقد رفع الله ﷻ، قدرها وعظمها، فهي أعظم ما يجلب الأجر، ويأتي بالحسنات، ويمحو السيئات، فكما عظم الله ﷻ إثم إرادة الإلحاد في البلد الحرام، عظم أجر من صلى فيه، وقد تضافرت الأدلة، بهذا الفضل العظيم، فمن ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِي مَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ" (٤).

(١) أسواق الذهب، ص (٨٧). أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات، رقم (٦٦٦).

(٣) رواه مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة، رقم (٦٤٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٩٠)، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤).

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ، مِنْ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي هَذَا"^(١).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن امرأة اشتكت شكوى، فقالت : إن شفاني الله لأخرجن فأصلين في بيت المقدس، فبرأت، ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي ﷺ تسلم عليها، فأخبرتها ذلك، فقالت: اجلسي، فكلي ما صنعت، وصلّي في مسجد الرسول ﷺ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: " صَلَاةٌ فِيهِ أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ مِنْ الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ"^(٢)

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - : أن رسول الله ﷺ قال: " صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ"^(٣).

فهذه الأحاديث، وغيرها، صريحة في مضاعفة أجر الصلاة، في المسجد الحرام، بمائة ألف صلاة، إلا مسجد رسول الله ﷺ، فإنما فضله عليه بمائة صلاة.

فهنيئاً لسكان البلد الحرام، والوافدين إليه، هذا الفضل العظيم.

- المكان الذي تشمله مضاعفة الصلاة :

اختلف الفقهاء -رحمهم الله-، في المكان الذي تشمله مضاعفة الصلاة، وسبب ذلك، هو اختلافهم في المراد بالمسجد الحرام، الوارد في النصوص، على أقوال كثيرة، أشهرها قولان؛

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند المكيين، حديث عبد الله بن الزبير بن العوام، رقم (١٦٢١٦). وصححه ابن حبان رقم (١٦٢٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال ابن عبد البر: أسند حبيب هذا الحديث وجوده، وذكر الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٦).

(٣) رواه أحمد في المسند، مسانيد المكثرين، مسند جابر بن عبد الله الأنصاري، رقم (١٥٣٤٤). وصححه الألباني في سنن ابن ماجه رقم (١٤٠٦).

القول الأول: إن المضاعفة خاصة بالمسجد الذي فيه الكعبة، وهو مذهب المالكية، وظاهر كلام الحنابلة، وقول للشافعية، وقول شيخنا ابن عثيمين-رحمه الله-.

والقول الثاني: إن المضاعفة عامة في جميع حرم مكة، وقد روي هذا القول عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، وعطاء، ومجاهد، وقتادة، وهو مذهب الحنفية، وقال به مالك، والشافعي، وقول للحنابلة، وجزم به الماوردي، وهو ترجيح ابن تيمية، وابن القيم، والنووي، وابن باز -رحمهم الله-، والله أعلم^(١).

مضاعفة نوافل الصلوات في البلد الحرام:

اتفق الفقهاء -رحمهم الله-، على مضاعفة صلاة الفريضة في المسجد الحرام .
واتفقوا كذلك، على أن ما تشرع له الجماعة، في المسجد كصلاة العيدين، والكسوف، والاسْتِسْقَاء، وقيام رمضان، فإنه يضاعف .
واتفقوا كذلك، على أن ما شرع فعله في المسجد، كركعتي الطواف، وتحية المسجد، فإنه يضاعف.

واختلفوا فيما عدا ذلك، من النوافل كالسنن الراتبة، والنوافل المطلقة، وغيرها، هل تضاعف بمائة ألف كالفريضة، في المسجد الحرام أو لا ؟ على قولين :
القول الأول: أنها تضاعف، واستدلوا بعموم قوله ﷺ: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيْمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"^(٢)، إذ أطلق لفظ الصلاة، والنكرة في سياق الإثبات تفيد الإطلاق، وكذا قوله ﷺ: "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مئة ألف صلاة وفي مسجدي ألف صلاة وفي مسجد بيت المقدس خمسمئة صلاة"^(٣)

(١) انظر: أحكام الحرم المكّي، ص (١٥٢). سامي بن محمد الصقير، دار ابن الجوزي ط ١، ١٤٣٣.

وانظر: أحكام الحرم المكّي الشرعية، ص (١٠٥). عبدالعزيز بن محمد الحويطان، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

(٢) رواه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة و المدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٩٠)، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤).

(٣) رواه البزار في المسند، مسند أبي الدرداء ﷺ، رقم (٤١٤٢)، وقال ﷺ: " وهذا الحديث لا نعلمه يُروى عن رسول

"ولا يخفى أن لفظ الصلاة المعرّف بلام الجنس عام فيشمل الفريضة، والنافلة"^(١) ثم إن تقييد الصلاة بالفريضة فقط مخالف لإطلاق، الأحاديث الصحيحة، وهو مذهب الشافعية، والحنابلة، وقول للحنفية، والمالكية.

القول الثاني: إنها لا تضاعف، واستدلوا بقوله ﷺ: "صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ"^(٢). ولو كانت صلاة النافلة تضاعف في مسجده ﷺ، لما أرشدهم ﷺ إلى الصلاة في بيوتهم، وهو مذهب الحنفية، والمالكية، وقول للشافعية.

والذي يظهر، والعلم عند الله: رجحان القول الأول، لإمكانية الجمع بين الحديثين ولا تعارض بينهما، فيبقى حديث مضاعفة الصلاة على عمومها، وإذا صلى النافلة في بيته، كان هناك فضل يزداد على المضاعفة، قال الشوكاني -رحمه الله-: "فعلى هذا لو صلى نافلة في مسجد المدينة كانت بألف صلاة على القول بدخول النوافل في عموم الحديث، وإذا صلاها في بيته كانت أفضل من ألف صلاة، وهكذا حكم المسجد الحرام وبيت المقدس"^(٣). والله أعلم^(٤).

- مضاعفة الأعمال الصالحة في البلد الحرام:

اتفق العلماء -رحمهم الله-، على مضاعفة الحسنات بالبلد الحرام، وأن لها تعظيم ومزية عن غيرها وذلك لفضيلة الحرم على الحل، إذ لا يستريب عاقل أن الحرم أفضل من الحل، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "والصلاة وغيرها من القرب بمكة أفضل، والمجاورة بمكان يكثر فيه إيمانه

﴿﴾ =

الله ﷻ من وجه من الوجوه بهذا اللفظ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد وإسناده حسن" وصحح الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ
إسناده في مجموع الفتاوى ٥ / ١٣٣.

- (١) سبل السلام شرح بلوغ المرام، ٢ / ٣٦٤، محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الكتاب العربي، ط ٥، ١٤١٠ هـ، بيروت.
- (٢) رواه أبوداود، كتاب الصلاة، باب: صلاة الرجل التطوع في بيته، رقم (١٠٤٤). وصححه الألباني.
- (٣) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، ٣ / ٨٣، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بيروت، لبنان.
- (٤) انظر: أحكام الحرم المكي، ص (١٦٨). سامي بن محمد الصقير، دار ابن الجوزي ط ١، ١٤٣٣، وانظر: أحكام الحرم المكي الشرعية، ص (١٠٠). عبدالعزيز بن محمد الحويطان، ط ١، ١٤٢٥ هـ.

وتقواه أفضل حيث كان، وتضاعف السيئة والحسنة بمكان أو زمان فاضل" (١)، وقد جعل الله ﷺ البلد الحرام مباركا كما قال ﷺ: ﴿إِنَّ أَوْلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢)، فقد "جعله مباركا لتضاعف العمل فيه؛ فالبركة كثرة الخير" (٣).

واختلفوا-رحمهم الله-، هل التضاعف بمائة ألف، خاص بالصلاة، أم يشمل جميع الأعمال الصالحة، كالصوم، والصدقة، وغير ذلك؟ على قولين:

القول الأول: أن الأعمال الصالحة، لا تضاعف في الحرم كالصلاة، واستدلوا بأن الأدلة الثابتة في التضاعف، مختصة بالصلاة، وقياس الأعمال الصالحة، على الصلاة فيه نظر، والقول بمضاعفة الطاعات الأخرى يحتاج إلى دليل ثابت، وهذا هو قول جمهور العلماء-رحمهم الله-.
القول الثاني: أن الأعمال الصالحة تضاعف كالصلاة، واستدلوا بأدلة ضعيفة، وموضوعة، لا يثبت منها شيء، عن النبي ﷺ.

وجملة القول: أنه لم يثبت دليل ينص على مضاعفات الطاعات في المسجد الحرام، كمضاعفة الصلاة، بمائة ألف، ولكن تبقى الأعمال الصالحة، في البلد الحرام، مباركة، ومضاعفة، دون تحديد عدد معين. والله أعلم (٤)

قال ابن باز-رحمه الله-: "الأدلة الشرعية دلت على أن الحسنات تضاعف في الزمان الفاضل مثل رمضان وعشر ذي الحجة، والمكان الفاضل كالحرمين، فإن الحسنات تضاعف في مكة مضاعفة كبيرة.. والحاصل: أن المضاعفة في الحرم الشريف بمكة لا شك فيها- أعني

(١) الفتاوى الكبرى، ٣٩١/٥. شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني، دار القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٣٣٦/١، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) انظر: أحكام الحرم المكي الشرعية، ص (٤٠). عبدالعزيز بن محمد الحويطان، ط ١، ١٤٢٥هـ.

مضاعفة الحسنات - ولكن ليس في النص فيما نعلم حداً محدوداً ما عدا الصلاة"^(١)، وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: "فإن قال قائل: وهل تضاعف بقية الأعمال الصالحة هذا التضعيف؟

فالجواب: أن تضعيف الأعمال بعدد معين توقيفي، يحتاج إلى دليل خاص ولا مجال للقياس فيه، فإن قام دليل صحيح في تضعيف بقية الأعمال أخذ به، ولكن لا ريب أن للمكان الفاضل والزمان أثراً في تضعيف الثواب، كما قال العلماء -رحمهم الله-: إن الحسنات تضاعف في الزمان والمكان الفاضل، لكن تخصيص التضعيف بقدر معين يحتاج إلى دليل خاص"^(٢).

وحري بكل مسلم وطئت قدمه البلد الحرام أن يغتنم هذا الفضل العظيم بكل عمل صالح، ولا سيما الأعمال الصالحة المتعدية النفع للآخرين، فكم هو جميل أن ينتشر خلق التعاون على الخير، والتراحم، والتناصح، وتعليم الجاهل وإرشاد الضال، والسماحة، والاحترام، والإحسان إلى الآخرين، ولا سيما الوافدين إلى البلد الحرام، كذلك خلق الكرم، والأمانة، والبر. وأبواب الخير لا تحصى، ومن عزم على الخير في البلد الحرام، فلن تعجزه فكرة أو عمل.

(١) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ١٧/١٩٨، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ٦/٥١٤، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة أسام، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الرياض.

المطلب السادس:

الآيات البيّنات التي اختص الله ﷻ بها البيت الحرام

توطئة:

أراد الله ﷻ أن يجمع الفضل من أطرافه لهذا البلد الحرام، فجعل فيه آيات بيّنات، لتكون شاهداً للعيان، على مر الأزمان، ودليلاً على عظمة هذا البلد، الذي اختاره الله ﷻ، وأحبه، وجعل هذه الآيات البيّنات؛ آيات حسيّة، وآيات معنوية، فالناس ليسوا سواء في الإدراك والتفكير، فمنهم من يقف عند المحسوس لا المعقول، ومنهم من لا يقتنع بالمحسوس، وينقاد للمعنوي المعقول، فاقتضت حكمة الله ﷻ أن تكون الآيات البيّنات، بعضها حسي، وبعضها معنوي.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مُمَرَّاتٍ بِهِمْ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾^(١).

- معنى الآيات البيّنات:

الآيات البيّنات: جمع آية بيّنة، والآية، هي العلامة على الشيء التي تدل عليه وتبينه.

والمراد بالبيّنة: أي الواضحة في ذاتها، ودلالاتها.

والمعنى الاصطلاحي للآيات البيّنات: العلامات والدلائل الظاهرة، الواضحة في ذاتها أو دلالتها، على حرمة البلد الحرام، ومزيد فضله، التي لا تخفى، عقلية كانت أو محسوسة^(٢)، قال

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

(٢) انظر: مفردات ألفاظ القرآن، ص(٦٨)، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط١،

١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دمشق. تفسير القرآن الكريم، ٣/٢٣٨، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١،

١٤٢٣، الدمام.

السعدي-رحمه الله-: " قوله: ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ ﴾ أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيدِهِ ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما مَنَّْ بِهِ عَلَى أَوْلِيَاءِهِ وَأَنْبِيَاءِهِ" (١).

- الآيات البيّنات في البلد الحرام:

اختلف المفسرون-رحمهم الله- في المراد بالآيات البيّنات، في البلد الحرام، واختلافهم من باب اختلاف التنوع، لا التضاد، ولعل أقرب قول يجمعها، أن هذه الآيات البيّنات هي ما يشرع في البلد الحرام، من المناسك، والمواضع لهذه المناسك، فهي آيات بيّنة قائمة، من عهد إبراهيم عليه السلام، إلى يومنا هذا، كلها آيات وعلامات. فعرفة هي عرفة، ومزدلفة هي مزدلفة، ومنى هي منى، والكعبة هي الكعبة، وليست هذه الآيات خفية، لا يعلم الناس بها، بل هي ظاهرة، بيّنة، الحسية منها والمعنوية. (٢)

واختلف العلماء-رحمهم الله-، في عدد هذه الآيات، حتى جاوزوا الأربعين آية (٣)، ولعلي أكتفي بذكر بعض من الآيات الحسية والمعنوية للبلد الحرام، التي ذكرها الله تعالى في كتابه في قوله: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا بُرَّهِنَ اللَّهُ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص(١٣٨). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، بيروت.

(٢) انظر: تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، ٥٤٨/١، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦، الدمام.

(٣) انظر: بدائع الفوائد، ٦٧/٣، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، ط المجمع.

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦-٩٧).

الآيات البيئات الحسية للبلد الحرام:

١. أول بيت وضع للناس: فالكعبة المشرفة، أول البيوت التي وضعت في الأرض لعبادة الله ﷻ، وطاعته، والتقرب إليه بما يرضيه، ولم يختلف أهل التفسير في ذلك^(١)، فالناس لا بد لهم من بيت يجتمعون عليه، ليعبدوا ربه، فجعل الله ﷻ لهم الكعبة المشرفة، ليكون لهم علماً مشهوداً بالحس، على توحيد الله ﷻ.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: " قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: أَرْبَعُونَ ثُمَّ قَالَ: حَيْثُمَا أَدْرَكْتَنكَ الصَّلَاةُ فَصَلِّ وَالْأَرْضُ لَكَ مَسْجِدٌ"^(٢)، وأول من بناه هو خليل الله إبراهيم عليه السلام، وساعده في ذلك ابنه إسماعيل عليه السلام، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) أما ما روي أن أول من عمره هو آدم عليه السلام فهو قول ضعيف، فالمحفوظ والمعروف عند أهل العلم أن أول من عمره هو خليل الله إبراهيم عليه السلام^(٤)، وهو أشرف البيوت وأعظمها حرمة، وله من الخصائص ما ليس لغيره، وهو قبلة جميع الأنبياء عليهم السلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن الكعبة ومسجدها وحرمتها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق، وقبلة إبراهيم وغيره من الأنبياء، ولم يأمر الله قط أحداً أن يصلي إلى بيت المقدس، لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما"^(٥).

(١) النكت والعيون تفسير الماوردي، ١/٢٤٧، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب - وساق الحديث -، رقم (٣٣٦٦).

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٧).

(٤) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ١٧/١٥٨، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(٥) الفتاوى الكبرى: ٧/٢٨٩، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب

العلمية، ط ١، ١٤٠٨ - ١٩٨٧ .

وهو البيت الموصوف بالعتيق، قال الله ﷻ: ﴿وَلَيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾^(١)، أي: القديم، ثم إن حفظه من الجبابرة، وبقاءه الدهر الطويل، معظماً يؤتي إليه من كل فج عميق^(٢)، آية بينة، ومنارة باقية، تذكر الناس بأن هذا البيت إنما بني لتوحيد الله ﷻ، وعبادته، ونفي الشرك عنه ﷻ، فالباني لهذا البيت هو خليل الله ﷻ، إبراهيم التليق، "أول من حاج الوثنيين بالأدلة وأول من قاوم الوثنية بقوة يده فجعل الأوثان جذاذاً"، ثم أقام لتخليد ذكر الله وتوحيده ذلك الهيكل العظيم ليعلم كل أحد يأتي أن سبب بنائه إبطال عبادة الأوثان، وقد مضت على هذا البيت العصور فصارت رؤيته مذكرة بالله تعالى، ففيه مزية الأولوية، ثم فيه مزية مباشرة إبراهيم عليه السلام ببناءه بيده ويد ابنه إسماعيل التليق، دون معونة أحد-إلا الله ﷻ-، فهو لهذا المعنى أعرق في الدلالة على التوحيد وعلى الرسالة معاً وهما قطبا إيمان المؤمنين وفي هذه الصفة لا يشاركه غيره ثم سن الحج إليه لتجديد هذه الذكرى ولتعميمها في الأمم الأخرى، فلا جرم أن يكون أولى الموجودات بالاستقبال لمن يريد استحضار جلال الربوبية الحققة وما بنيت بيوت الله مثل المسجد الأقصى إلا بعده بقرون طويلة، فكان هو قبلة المسلمين"^(٣)،

وإذا ثبت له شرف الأولوية، ودوام الحرمة على مر العصور، دون غيره كان ذلك دلالة إلهية، وآية بينة، على أنه محل رعاية الله ﷻ، ودلّ على أنّ الدين الذي قارن إقامته، وأبقى شعائره حوله، هو الدين المراد الله ﷻ، وهو الإسلام^(٤)، وأولية الزمان تستلزم الأولوية في الشرف والمكانة

(١) سورة الحج: الآية رقم (٢٩).

(٢) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٥٣/١٣، محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٣) التحرير والتنوير، ٢٩/٢، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس

(٤) انظر: المرجع السابق: ٣/١٦٠

٢- مقام إبراهيم عليه السلام: ومن الآيات البيئات الحسية، مقام إبراهيم عليه السلام، قال الله عز وجل: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١)، فقلوه عز وجل: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، بدل اشتمال^(٢)، من آيات، فمقام إبراهيم عليه السلام، من الآيات البيئات، الموجودة في البلد الحرام. واختلف المفسرون رحمهم الله في المراد بمقام إبراهيم عليه السلام على أقوال:

القول الأول: أن المراد به الحجر الذي قام عليه إبراهيم عليه السلام، عند بنائه الكعبة، الموجود في الجهة الشرقية، من الكعبة المشرفة، قبالة بابها، واستدلوا بما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى وَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَدْخُلُ عَلَيْكَ الْبُرُّ وَالْفَاجِرُ فَلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحِجَابِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْحِجَابِ قَالَ وَبَلَغَنِي مُعَاتَبَةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ نِسَائِهِ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِنَّ قُلْتُ إِنْ أَنْتَهَيْتُنَّ أَوْ كَيْدَلْنَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ خَيْرًا مِنْكُمْ حَتَّى آتَيْتُ إِحْدَى نِسَائِهِ قَالَتْ يَا عُمَرُ أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا يَعْظُ نِسَاءَهُ حَتَّى تَعْظُهُنَّ أَنْتَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُسَلِّمَاتٍ﴾^(٣)، وعند البخاري أيضاً من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: "قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رُكْعَتَيْنِ وَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ"^(٤)، وعند مسلم من حديث جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - في صفة حجه ﷺ قال: "ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام، فَقَرَأَ: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٥)

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

(٢) البدل: تابع يدل على نفس المتبوع أو جزء منه، ومن أنواعه بدل اشتمال: وفيه يكون البدل مما يشتمل عليه المبدل منه. انظر: ملخص قواعد اللغة العربية، ص (٥٦)، فؤاد نعمة.

(٣) سورة التحريم: الآية رقم (٥).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣٠٥/١٢، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القاهرة.

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٢٩/٥، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القاهرة.

(١) فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ" (٢). قال ابن كثير- رحمه الله- معلقاً على الأحاديث السابقة:

"فهذا كله مما يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُومُ عَلَيْهِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ، لما ارتفع الجدار أتاه إسماعيل عليه السلام به ليقومَ فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده لرفع الجدار، كُلَّمَا كَمَّلَ نَاحِيَةَ انْتَقَلَ إِلَى النَاحِيَةِ الْآخَرَى، يطوف حول الكعبة وهو واقف عليه، كلما فرغ من جدار نقله إلى الناحية التي تليها هكذا، حتى تم جدارات الكعبة" (٣)، ورجح هذا القول ابن جرير الطبري، وابن كثير، والبغوي، والقرطبي، وابن حجر، وهو قول الجمهور- رحمهم الله (٤)-، قال القرطبي- رحمه الله-: "واختلف في تعيين المقام على أقوال، أصحها أنه الحجر الذي تعرفه الناس اليوم الذي يصلون عنده ركعتي طواف القدوم" (٥).

والآيات البينات، في هذا الحجر : هي أثر القدم في الصخرة الصماء فإنها آية، وغوصه فيها إلى الكعبين آية، وإلانة بعض الصخرة دون بعض آية، لأنه لان من الصخرة ما تحت قدميه فقط، وإبقاؤه دون سائر آيات الأنبياء عليهم السلام، آية خاصة لإبراهيم عليه السلام، وحفظه مع كثرة أعدائه من اليهود والنصارى والمشركين والملحدن ألوف سنين آية، وصرف أهل الجاهلية عن عبادته، مع كونهم عباد أحجار وأصنام آية، والله في هذا الحكمة البالغة، لئلا

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٤/٣١٢، الريان، مصر.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١/٤١٦، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٤) انظر: التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور، ١/٢٣١، أ.د. حكمت بن بشير بن ياسين. دار المآثر، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المدينة النبوية.. وانظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، القاهرة ١١١/٢، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٢/١١٢، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، المملكة العربية السعودية.

يقال: إن الإسلام أقر تعظيم بعض ما كانت الجاهلية تعظمه من الأحجار، والأصنام فثبت أن مقام إبراهيم عليه السلام آيات بينات كثيرة^(١).

ولقد بقيت آثار قدمي إبراهيم عليه السلام، ظاهرة فيه، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب في جاهليتها، كما قال أبو طالب في لاميته المشهورة مقسماً بمقام إبراهيم عليه السلام:^(٢)

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبةً
على قدميه حافياً غير ناعلٍ

فقدمه الكريمة غاصت في الصخرة، فصارت على قدر قدمه، حافية لا منتعلة، ولقد أدركت أوائل هذه الأمة الإسلامية هذا الأثر، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: "رأيت المقام فيه أثر أصابعه عليه السلام، وإمخص قدميه، غير أنه أذهب مسح الناس بأيديهم"^(٣).

ولقد أدرك ما بقي من الأثر ابن العربي -رحمه الله-، فقال: "وقد رأيت بمكة صندوقاً فيه حجر، عليه أثر قدم قد انمحي واخلولق، فقالوا كلهم: هذا أثر قدم إبراهيم عليه السلام، وهو موضوع بإزاء الكعبة"^(٤).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثر عقبه وأصابعه، فما زالت هذه الأمم يمسخونه حتى اخلولق وانمحي"^(٥).

(١) انظر: تفسير مفاتيح الغيب، ٣١٣/٤، الإمام محمد الرازي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بيروت، لبنان.

(٢) يقسم بأثر قدم إبراهيم عليه السلام على الصخرة، وهو قسم بغير الله تعالى، كان منتشرًا في الجاهلية ثم حرمه الإسلام.

(٣) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥/٢، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة

الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت، وانظر: البداية والنهاية، ١ / ١٨٩، الإمام الحافظ أبي الفداء

إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وانظر: تفسير

القرآن العظيم، ٤١٧/١، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢،

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٤) أحكام القرآن، ٥٩/١، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار

الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥/٢، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

وقال شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: " لا شك أن مقام إبراهيم ثابت وأن هذا الذي بني عليه الزجاج هو مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكن الحفر الذي فيه، لا يظهر أنه أثر القدمين؛ لأن المعروف من الناحية التاريخية أن أثر القدمين قد زال منذ أزمنة متطاولة، ولكن حفرت هذه، أو صنعت للعلامة فقط، ولا يمكن أن نحزم بأن هذا الحفر هو موضع قدمي إبراهيم عليه الصلاة والسلام"^(١).

ولقد ورد فضل المقام في السنة النبوية: فعن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ الرُّكْنَ وَالْمَقَامَ يَأْفُوتَتَانِ مِنْ يَأْفُوتِ الْجَنَّةِ، طَمَسَ اللَّهُ نُورَهُمَا، وَلَوْ لَمْ يَطْمَسْ نُورَهُمَا، لَأَضَاءَتَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ"^(٢).

وكان مقام إبراهيم ﷺ، ملصقاً بجدار الكعبة المشرفة، ثم أخره إلى مكانه الآن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لئلا يشغل المصلين عنده، الطائفين بالبيت، ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أجمعين^(٣).

القول الثاني: أن المراد بمقام إبراهيم ﷺ: جميع ما قام به من المناسك وأعمال الحج، فكلمة (مقام)، مصدر مفرد مضاف إلى معرفة فيعم جميع مقامات إبراهيم ﷺ، فالحرم كله مقام إبراهيم ﷺ، لأنه تعبد فيه، والمشاعر؛ عرفات والمزدلفة ومنى، والحجر الذي كان يقوم عليه وقت البناء، والطواف، والسعي، وزمزم، والحطيم، ورمي الجمار، كل ذلك من مقام

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٤١١/٢٢، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة - ١٤١٣ هـ. الرياض.

(٢) رواه الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله ﷺ، باب: ماجاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام، رقم (٨٧٨)، وصححه الألباني في المشكاة رقم (٢٥٧٩).

(٣) انظر: البداية والنهاية، ١/١٨٩، الإمام الحافظ أبي الغداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: علي شبري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

إبراهيم عليه السلام، التي تذكر به وما بذله من الجهود والأعمال الجليلة في سبيل توحيد الله والإخلاص له ، ودعوة قومه إلى توحيد الله وعز وجل، واتباع شريعته^(١).

وهو قول ابن عباس - رضي الله عنهما - ، وقتادة، ومجاهد، وعطاء -رحمهم الله^(٢)-. ورجح هذا القول ابن باز، و ابن عثيمين -رحمهما الله-.

قال شيخنا ابن عثيمين -رحمه الله-: "القول الراجح أنه ليس المراد بمقامه الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء الكعبة فحسب بل كل مقاماته في مكة وما حولها من المناسك"^(٣). والله أعلم.

٣- حج بيت الله الحرام: وهو آية ثالثة من الآيات البيئات، في البلد الحرام^(٤) ، المذكورة في قول الله وعز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٥). قال الشنقيطي -رحمه الله-: "ذكر هنا سبع خصال ليست لغيره من المساجد من أنه أول بيت وضع للناس ومبارك وهدى للعالمين ، وفيه آيات بينات ومقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ، والحج والعمرة إليه ، وآيات أخر"^(٦) وقال ابن الجوزي -رحمه الله- في تفسيره: "قال أبو رجاء : كان الحسن -البصري- يعدّهن ، وأنا أنظر إلى أصابعه :

(١) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ١٦٤/١٦، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

(٢) انظر: المرجع السابق ٣/٣٨٣. وانظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣٥/٢. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٣) تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، ٥٥٧/١، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٦، الدمام.

(٤) انظر: تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم: تفسير المنار، ٧/٤، السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، ط٢، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م، القاهرة.

(٥) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٤٥٠/٨، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة.

مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والله على الناس حج البيت^(١).

وقال السعدي -رحمه الله-: "ويحتمل أن المراد بمقام إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات، كالطواف والسعي ومواضعها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إليها وتحمل كل مشقة لأجلها، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها"^(٢).

ولقد ذكر الله ﷻ، الحج بصيغة الإيجاب والفرضية بعد ذكر محاسنه، مزاياه، ودلائل كونه أول بيوت العبادة، وذلك تشويقاً وإغراءً وتمجيداً وتشريفاً له، فأقبل إليه المسلمون من كل فج عميق، وتحملوا في سبيل الوصول إليه، وعثاء السفر، كما قال الله ﷻ: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٣) والحج، مظهر من مظاهر الإسلام العظيمة، وعيداً من أعيادها الخالدة، ومؤتمراً إسلامياً يجمع ملايين المسلمين على اختلاف بلدانهم وألوانهم ولغاتهم، في أماكن متفرقة من مكة والمشاعر المقدسة، يتوحدون في لباسهم، وتلبيتهم، وعبادتهم لربهم، ويقفون على مقامات خليل الله إبراهيم ﷺ، وإرثه، ويتبعون ملته، التي أمروا باتباعها، فإن من أعظم شعار ملة إبراهيم ﷺ الحج، قال الله ﷻ: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٤).

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٣٨٤/١، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (١٣٨). عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، بيروت.

(٣) سورة الحج: الآية رقم (٢٧).

(٤) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٥).

ويجتمع المسلمون في الحج ليشهدون منافع لهم، وهذا الاجتماع يحمل في طياته وحدة في الشعور، والمشاعر، بين المسلمين في كل مكان، فقلوب مليار من المسلمين تهفوا إليهم في أيام الحج، وتشاركهم في أدعيتهم، وعواطفهم وهو بمثابة العيد لأمة الإسلام، وآية من آيات البلد الحرام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة، جعلها الله عيداً، مثابة للناس، يجتمعون فيها، ويتنابونها، للدعاء والذكر والنسك، وكان للمشركين أمكنة يتنابونها للاجتماع عندها . فلما جاء الإسلام محاً الله ذلك كله"^(١).

- الآيات المعنوية للبلد الحرام:

١. أنه مبارك: فمن الآيات البينات المعنوية بالبلد الحرام بركته كما قال الله **وَعَلَىٰ**: ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ "والبركة كثرة الخير ودوامه وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أديم ولا أنفع للخلائق"^(٢) منه، إذ لا تخفى كثرة خيراته وبركاته، ومنافعه الدينية والدينيوية، إذ هو بصحراء جرداء، وتجي إليه ثمرات كل شيء، فترى الأقوات والثمار فيه، أكثر وأجود وأقل ثمناً منها في بلدان أخرى، وتحمل إليه بضائع الدنيا، وهو أيضاً كثير البركة في الثواب والأجر. قال أبوحيان -رحمه الله- في تفسيره: "أمّا بركته فلما يحصل فيه من الثواب وتكفير السيئات لمن حجه واعتمره وطاف به وعكف عنده، وقال القفال: يجوز أن تكون بركته ما ذكر في قوله: ﴿يُجَيِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾"^(٣) وقيل: بركته دوام العبادة فيه ولزومها، لأن البركة لها معنيان: أحدهما: النمو، والآخر: الثبوت، ومنه البركة لثبوت الماء فيها. والبرك الصدر لثبوت الحفظ فيه، والبركاء الثبوت في القتال، وتبارك الله: ثبت ولم يزل. وقيل: بركته تضعيف الثواب فيه . روى ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ أنه قال: "مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمًا وَلَمْ يَضَعْ

(١) اقتضاء السراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٦٦٥/٢، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، ت: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار المسلم، ط ٥، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الرياض.

(٢) بدائع الفوائد، ٦٧/٣، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، ط المجمع.

(٣) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

أُخْرَى إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ بِهَا لَهُ حَسَنَةً، وَرَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً"^(١)، وقال الفراء-رحمه الله- : سمي مباركاً لأنه مغفرة للذنوب وقال ابن جرير -رحمه الله-: بركته تطهيره من الذنوب، وقيل : بركته أن من دخله أمن حتى الوحش ، فيجتمع فيه الظبي والكلب "^(٢). وكل هذه الأقوال في بركة البلد الحرام، لا تعارض بينها، فهو مبارك من كل وجه من وجوه.

قال ابن العربي-رحمه الله- في بركة البلد الحرام: " قيل: ثواب الأعمال وقيل: ثواب القاصد إليه. وقيل: أمن الوحش فيه. وقيل: عزوف النفس عن الدنيا عند رؤيته. والصحيح أنه مبارك من كل وجه من وجوه الدنيا والآخرة ، وذلك بجميعه موجود فيه "^(٣).

٢. أنه هدى للعالمين: من الآيات البيّنات المعنوية للبلد الحرام، أن الله ﷻ جعله مصدر هداية دلالة وإرشاد للعالمين، كما قال الله ﷻ: ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، ووصفه بالمصدر مبالغة له، لأنه سبب هدى، وجعل هدى للعالمين كلهم: لأن شهرته وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك^(٤). وليس في الدنيا مكان جعله الله هدى إلا هذا المكان، فزاده الله ﷻ تشريفاً ورفعاً، وثناءً عليه بهذا الفضل، فهو معلم هداية في أمور الدين والدنيا.

(١) رواه ابن خزيمة، كتاب المناسك، باب: فضل الطواف بالبيت، ولفظه: "مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمًا وَمَلَمْ يَضَعْ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ حَسَنَةً، وَيُحِطُّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ، وَكَتَبَ لَهُ دَرَجَةً" رقم (٢٧٥٣). وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: "صحيح لغيره" رقم (١١٣٩).

(٢) تفسير البحر المحيط، ٧/٣، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) أحكام القرآن، ٣٧١/١، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، بيروت، لبنان.

(٤) الهداية نوعان: ١- هداية توفيق وهي لا تكون إلا من الله ﷻ ٢- هداية دلالة وإرشاد وقد جعلها الله ﷻ في كتابه ورسله وفي البلد الحرام.

قال ابن عاشور -رحمه الله-: "كان أوّل معهدٍ للهُدى، فكان كل هُدًى مقتبساً منه، فلا محيص لكل قومٍ كانوا على هُدًى من الاعتراف به، وبفضله"^(١). ولا ريب أن البلد الحرام فيه هداية للناس، من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، والهدى له مقاصد متعددة، وغايات متنوعة، فأسمى الهدى ما يهديك الطريق إلى خالقك ومولاك، ثم إلى رضاه ومحبته، إلى أن تصل لجنته ورحمته، فكان البلد الحرام كذلك، فأياته البيّنات كانت هدى يدل إلى الله ﷻ، والبيت الحرام كان قبلة للمسلمين يهتدون به إلى صلاتهم وعباداتهم، وكان سبباً لوصولهم إلى الجنة، لأن من أقام الصلاة إليه استوجب الجنة.

قال الخازن -رحمه الله- في تفسيره في معنى هدى للعالمين: "يعني أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم . وقيل لأن فيه دلائل على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره . وقيل هو هدي للعالمين إلى الجنة لأن من قصده بأن صلّى إليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته"^(٢) .

ثم إن هدى البيت الحرام، هو للعالمين كافة، مسلمهم وكافرهم، وهذا يتناسب مع الهدى إلى معرفة الله ﷻ حقاً دون شائبة. فالمسلم يزيد هدى إلى هداة، والكافر يدعو إلى الهدى الحق وتصديق رسول الهدى ﷺ، وإن لم يقبل الهداية أقيمت عليه الحجة، وهذا من مقاصد الهدى لغير المسلمين.

بهذا المعنى تبقى الآية على عمومها وشمولها لكافة أمم الأرض^(٣)، قال ابن سعدي-رحمه الله-:

(١) التحرير والتنوير، ٢٧٦/٣. محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

(٢) لباب التأويل في معاني التنزيل، ٢٧٢/١. علاء الدين علي بن محمد الشيعي، المعروف بالخازن، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ، بيروت.

(٣) انظر: خصائص تعظيم البلد الحرام، موقع مشروع تعظيم البلد الحرام، على الرابط:

<http://makkah.org.sa/site/index.php/٢٠١٢-٠١-٣١-٠٨-٥٦-٣٦/hda١.html>

"والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل. فالهدى في العمل ظاهر، وهو: ما جعل الله فيه من أنواع التعبادات المختصة به. وأما هدى العلم: فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي أدلة واضحة وبراهين قاطعات على أنواع من العلوم الإلهية، والمطالب العالية كالأدلة على توحيده ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده وما من به على أوليائه وأنبيائه"^(١).

نقل ابن الجوزي-رحمه الله- عن حامد الأسود صاحب إبراهيم الخواص-رحمهم الله- قال: "كان إبراهيم إذا أراد سفرا، لم يحدث به أحدا ولم يذكره، وإنما يأخذ ركوته ويمشي، فبينما نحن معه في مسجده تناول ركوته ومشى فأتبعته، فلم يكلمني حتى وافينا الكوفة، فأقام بها يومه وليلته، ثم خرج نحو القادسية، فلما وافاها، قال لي: يا حامد إلى أين؟ فقلت: يا سيدي خرجت بخروجك فقال: أنا أريد مكة إن شاء الله. قلت: وأنا إن شاء الله أريد مكة. فمشينا يومنا وليلتنا، فلما كان بعد أيام، إذا شاب قد انضم إلينا في بعض الطريق، فمشى معي يوما وليلة لا يسجد لله رَبِّكَ سجدة، فعرفت إبراهيم. وقلت: إن هذا الغلام لا يصلي. فجلس وقال له: يا غلام ما لك لا تصلي والصلاة أوجب عليك من الحج؟ فقال: يا شيخ ما علي من صلاة.

قال: ألسنت مسلما؟ قال: لا. قال: فأي شيء أنت؟ قال: نصراني، ولكنني أسارني في النصرانية إلى التوكل، وادعت نفسي أنها قد أحكمت حال التوكل، فلم أصدقها فيما ادعت، حتى خرجت إلى هذه الفلاة التي ليس فيها موجود، غير المعبود، أثير ساكني، وأمتحن خاطري. فقام إبراهيم ومشى. وقال: دعه يكون معك. فلم يزل يسايرنا إلى أن وافينا بطن مر، فقام إبراهيم ونزع خلقاته، وطهرها بالماء، ثم جلس، وقال له: ما اسمك؟ قال: عبد المسيح. فقال: يا عبد المسيح! هذا دهليز مكة، وقد حرم الله على أمثالك الدخول إليه، وقرأ: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (١٣٨). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ٢،

نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ﴿١﴾ ، والذي أردت أن تستكشف من نفسك فقد بان لك، فاحذر أن تدخل مكة، فإن رأيناك بمكة، أنكرنا عليك. قال حامد: فتركناه، ودخلنا مكة، وخرجنا إلى الموقف، فبينما نحن جلوس بعرفات، إذا هو قد أقبل وعليه ثوبان، وهو محرم يتصفح الوجوه حتى وقف علينا، فأكب على إبراهيم يقبل رأسه، فقال له: ما وراءك يا عبد المسيح؟ فقال: هيهات، أنا اليوم عبده، والمسيح عبده، فقال له إبراهيم: حدثني حديثك.

قال: جلست مكاني حتى أقبلت قافلة الحاج، فقامت وتكرت في زي المسلمين كأني محرم، فساعة وقعت عيني على الكعبة، اضمحل عندي كل دين سوى الإسلام، فأسلمت، واغتسلت وأحرمت، وها أنا أطلبك يومي. فالتفت إلينا إبراهيم وقال: يا حامد! انظر إلى بركة الصدق في النصرانية كيف هداه إلى الإسلام؟ وصحبنا حتى مات بين الفقراء" (٢).

إن للبلد الحرام تأثير عظيم في النفوس، يوم يستسلم المرء لداعي الفطرة في قلبه، وينزع عنه هوى نفسه، ونزغات الشيطان، فالأفئدة تهوي إليه، وقوة الدافع تدفع إليه، والقلوب عطشى للهداية، وقبل ذلك وبعده توفيق الله ﷻ، العبد لهديته، كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

فالبلد الحرام مركز الهدى، ومعلم الآيات البيّنات، كان سبباً في هداية من لم يدخله من الأمم الكافرة، فهذا نصراني، وذاك شيعوي، وغيره، فكيف لا يكون هدى لأهله، والمقيمين فيه، والوافدين إليه !!.

وحال الناس اليوم بالنسبة لهداية البيت الحرام، بين مقل ومستكثر، ومعرض مستكبر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٤).

(١) سورة التوبة: الآية رقم (٢٨).

(٢) مشير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ١٨٢/٢، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الرياض.

(٣) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٩).

(٤) سورة يونس: الآية رقم (٩٦-٩٧).

٣. أمن الداخل إليه: ومن الآيات البيّنات المعنوية، أمن الداخل للبلد الحرام، كما

قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾،

قال قتادة -رحمه الله- في هذه الآية: ذلك أيضا من آيات الحرم.

وقال النحاس -رحمه الله-: وهو قول حسن، لأن الناس كانوا يتخطفون من حواليه، ولا

يصل إليه جبار، وقد وصل إلى بيت المقدس وخرب، ولم يوصل إلى الحرم^(١).

قال ابن كثير -رحمه الله- في معنى هذه الآية: "حرم مكة إذا دخله الخائف يأمن من كل

سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية، كما قال الحسن البصري -رحمه الله- وغيره: كان

الرجل يقتل فيضع في عنقه صوفة، ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج"^(٢).

فأمن البلد الحرام "آية ثانية بينة لا يمتري فيها أحد، وهي اتفاق قبائل العرب كلها على

احترام هذا البيت وتعظيمه لنسبته إلى الله، حتى إن من دخله يأمن على نفسه لا من الاعتداء

عليه وإيذائه فقط بل يأمن أن يثار منه من سفك هو دمائم واستباح حرماهم ما دام فيه.

مضى على هذا عمل الجاهلية على اختلافها في المنازع والأهواء والمعبودات، وكثرة ما بينهما

من الأحقاد والأضغان، وأقره الإسلام"^(٣) ولقد تكرر ذكر أمن البلد الحرام، في عدة مواطن في

القرآن الكريم، وهو دليل واضح على ما تميز به هذا البلد من نعمة الأمن، التي تشمل كل ما

يخاف منه سواء كان المخوف منه من الناس، أو من المصائب العامة كالزلازل والأمراض الفتاكة

وغيرها، فالساكن للبلد الحرام، والوافد إليه، أمن من أعدائهم أن يحاربوهم أو يغزوهم، فالآية

البيّنة أن البلد الحرام يحمي ويؤمن كل من دخله، رغم أن كل البلدان يحميها أهلها، وكذلك

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٤/١٤٠، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري،

دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ١/٣٨٥. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار

طيبة، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم: تفسير المنار، ٤/٨، السيد محمد رشيد رضا، دار المنار، ط٢، ١٣٦٦ هـ -

١٩٤٧ م، القاهرة.

معالم الدين الكعبة قبله المسلمين ومقام إبراهيم، والصفاء والمرورة، وزمزم، وغير ذلك من شعائر الله، فكلها آمنة بتأمين الله ﷻ شرعاً وقدرًا. والله أعلم.

● مضامين الآيات البيئات :

إن الواجب على الدعوة إلى الله ﷻ، والمثقفين وغيرهم ممن حملوا على عاتقهم أمانة التربية والتعليم، أن ينقلوا هذه المضامين إلى المسلمين ولا سيما النشء منهم، ليعم النفع، ويزداد التواصل والتواصي بالحق، فلقد تضمنت الآيات البيئات في البلد الحرام، مضامين عظيمة، لكل ذي بصيرة، يقف عندها متأملًا، ومتفكرًا، فمن تلك المضامين:

١. شكر نعم الله ﷻ على هذه الآيات البيئات: فهي أدلة وبراهين على عظمة

الله ﷻ ووحدانيته، وعلى صدق هذا الدين، وهي آيات شاهدات على صدق ما جاءنا من أخبار في كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، تحمل المسلم على الإيمان بالله ﷻ، ونجاته وكرامته أن هداه للحق ودله إليه وجعل له آيات تثبته عليه، فيشكر الله ﷻ على هذه النعمة ويحافظ على هذا الدين ويجذر كل الحذر من أسباب كفر النعم، كما قال الله ﷻ: ﴿سَلِّبَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١).

٢. أن هذه الآيات بينات: فلم تدع شكاً ولا لبساً بل هي دالة لما أتت عليه،

فهي تزيل عمى العيون، وتفتح مغاليق القلوب، وتنقل المسلم عبر التاريخ، ليقف على آثار القوم، يسير معهم حيث ساروا، وينزل معهم حيث نزلوا، يترسم عباداتهم، ويستمع إلى دعائهم ومناجاتهم، ويقف على الحنيفية السمحة ويبصر ملة إبراهيم ﷺ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢).

٣. الدعوة إلى مراجعة المسلمين شعائر دينهم: ولا سيما ساكن البلد الحرام

والوافد إليه، وتعظيم هذا المكان الذي خصه الله ﷻ، بالآيات البيئات، ومراجعة اعتقادهم وعباداتهم وسلوكهم فيه، فالبلد الحرام تجتمع فيه أصول هداية الدلالة والإرشاد؛ وهي القرآن

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٢١١).

(٢) سورة النحل: الآية رقم (١٢٣).

الكريم، ومحمد ﷺ، والبيت الحرام، فالقرآن الكريم هدى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١) ونزل بالبلد الحرام، ومحمد ﷺ هدى ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) وولد ونشأ وترعرع وصدع بالدين في البلد الحرام، والبيت الحرام ﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾، فحري بمن سكن ووفد إلى البلد الحرام، أن يكون أول من وقف على هذه الآيات البيئات، بعين بصره وبصيرته، فشكر ربه أن أوقفه على آياته فازداد إيمانه وحسن عمله، وعظم حرمة هذا البلد الحرام، فالآيات البيئات شاهدة له أو عليه.

فلا بد أن يصحح المسلم عقيدته في ربه ﷻ، وهو يفد إلى البلد الحرام، ويشاهد معالم التوحيد ومقامات أبي الأنبياء، وإمام الحنفاء، ويحذر من الشرك كله، فلا يدعو ولا يستغيث إلا بالله ﷻ ولا يصرف عبادة إلا لله ﷻ، ولا يعيد معالم الوثنية وشعاراتها في حرم الله ﷻ، الذي طهره من الشرك وأهله.

وكم وقف المسلم على أخطاء وانحرافات في عقيدة بعض الحجاج والوافدين والساكين في البلد الحرام، وأخطاء في عباداتهم، وسلوكهم وأخلاقهم، تشعرك بأنهم لم يبصروا بعد الآيات البيئات، ولم يقفوا على هداياتها.

أفيكون عجز وكسل، وتقصير في الطاعات، ناهيك عن اقتراف المحرمات، وارتكاب الكبائر، حول هذه المقامات، والآيات البيئات. !!

أيعقل أن يروّع من أتى إلى البلد الحرام ملييا، ولا يأمن على نفسه وماله وهو بين المسلمين وقد آمن القاتل في الجاهلية من أن يثار منه أحد وهو في البلد الحرام حتى يخرج !!؟

أيعقل أن يتيه في الضلال، وبين يديه بيت هو هدى للعالمين، وبين عينيه آيات بينات !!

إن هذا البيت الحرام شاهد على وحدانية الله ﷻ، فقد بنته أيدي الأنبياء عليهم السلام.

وهذا مقام إبراهيم ﷺ شاهد على إخلاصه لربه في قوله وعمله.

(١) سورة الإسراء: الآية رقم (٩).

(٢) سورة الشورى: الآية رقم (٥٢).

وهذا حجر إسماعيل عليه السلام شاهد على تورع المشركين في أن يدخلوا مالا حراماً في بيت الله وَعَلَيْكُمْ أفيعقل أن يتعامل المسلمون بالربا حول البيت الحرام، أو أن يفتدوا إليه بمال حرام؟! فهذه مقامات إبراهيم عليه السلام شاهدة في البلد الحرام والمشاعر المقدسة، فهي آيات بينات واضحات على توحيدِه وتعبده لربه وَعَلَيْكُمْ، وعلى حرصه على الأعمال الصالحات، وامتنال أمر ربه وَعَلَيْكُمْ، حتى بذبح ابنه، كأنما لها لسان ناطق، تحدث أخبارها، وتنشر أسرارها، لو لقيت أذن تسمع، وقلب يعقل. والله المستعان.

وإن الواجب على الدعاة والمثقفين، أن يقوموا بدورهم في التربية والتوجيه، وتعليم الناس أمور دينهم، وتبصيرهم بالأخطاء ليحذرونها، فالعالم كله يبعث وفوده كل عام إلى البلد الحرام، ليجددوا دينهم، ويقفوا على مشاعرهم، ويؤدوا شعائرهم، ومن حقهم قبل إطعامهم، تعليمهم دينهم، بكل أسلوب حكيم يتناسب مع ما وصل إليه العالم من تقدم في وسائل الإعلام والاتصال.

المطلب السابع: البيت الحرام قيام للناس

توطئة:

ورد ذكر الكعبة المشرفة في القرآن الكريم مرتين:

قال الله ﷻ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا﴾^(١).

وقال ﷻ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةَ﴾^(٢).

وهي البيت المسقف في وسط المسجد الحرام، وهي أشهر من أن تعرف.

وقد ذكر أهل اللغة أقوالاً لسبب تسميتها بالكعبة فمن ذلك:

١. لتربيعه:

قال ابن منظور-رحمه الله:- "والكعبة البيت المربع وجمعه كعاب والكعبة البيت الحرام منه لتكعبها أي: تربيعها"^(٣)، وكل بيت مربع فهو عند العرب كعبة، ونقل الطبري-رحمه الله- هذا القول عن مجاهد وعكرمة رحمهما الله^(٤).

٢. لارتفاعها عن الأرض:

وكل شيء علا وارتفع فهو كعب، ومنه كعبت الجارية، إذا نهد ثديها^(٥).

(١) سورة المائدة: الآية رقم (٩٧).

(٢) سورة المائدة: الآية رقم (٩٥).

(٣) لسان العرب، ٧١٧/١، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، ١١٤/٥، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٥) لسان العرب، ٧١٧/١، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

٣. الغرفة:

وتطلق الكعبة على: العُرْفَةُ، وكلُّ بَيْتٍ مُرَبَّعٍ^(١)، وذلك لأن فيها معنى الارتفاع والعلو قال صاحب القاموس المحيط: "والعُرْفَةُ، بالضم: العُلْيَةُ، والجمع: عُرْفَاتٌ"^(٢). ولا يمنع سبب تسميتها بالكعبة كل ما سبق ذكره، إذ كل سبب منها تدل عليه الكعبة المشرفة.

ولقد عظم الله ﷻ، هذا البلد الحرام، وشرفه وأكرمه، وجعله مثابة للناس وأمنا، وجعل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس، فارتبطوا بالبيت ارتباطاً دائماً، وقويت وشائجهم به، فلم تنقطع عنه، حيثما كانت أماكنهم، وبعدت ديارهم، وأضحى البلد الحرام، الوجهة الدائمة لكل مسلم في الكرة الأرضية، حيا وميتا، في كل وقت وزمان، ليس مقصورا به على أشهر معلومات، أو محرمات، ولا على أيام معدودات، فهو مدار لقيام أمر دينهم ودنياهم، قال الله ﷻ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْتِدَّ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ﴾^(٣)، فبعد أن حرم الله ﷻ الصيد على المحرم وصيد الحرم في الآية التي قبلها "بين أن الحرم كما أنه سبب لأمن الوحش والطيور، فكذلك هو سبب لأمن الناس عن الآفات والمخافات، وسبب لحصول الخيرات والسعادات في الدنيا والآخرة"^(٤).

وذلك بأن الله ﷻ جعل الكعبة البيت الحرام، والأشهر الحرم؛ ذي القعدة، وذي الحجة، والمحرم، ورجب، وما يهدى للبلد الحرام، من الهدي، وذوات القلائد من بهيمة الأنعام قياماً للناس.

(١) القاموس المحيط، ص (١٣١). محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص (٨٤١).

(٣) سورة المائدة: الآية رقم (٩٧).

(٤) تفسير مفاتيح الغيب، ٩٦/٧، الإمام محمد الرازي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بيروت، لبنان.

فالكعبة (البيت الحرام): جعله الله ﷻ قياماً للناس لأن مدار قيام أمر دينهم بالحج إليه، وديناهم بأمن داخله، وعدم التعرض له وجي ثمرات كل شيء إليه.
والأشهر الحرم: جعلها الله ﷻ قياماً للناس، وذلك بأمنهم من القتال فيها؛ لأنه حرم القتال فيها ليحصل التآلف فيها بين الناس.

وجعل الله ﷻ الهدى والقلائد قياماً للناس: فالهدى المقصود به: ما يهدى إلى البلد الحرام، والقلائد: جمع قلادة، والقلادة: هي ما يجعل في عنق البدن التي تهدى، وليس المقصود القلائد نفسها، لكن المقصود ذوات القلائد، وهي البدن؛ لأن البدن تعلق فيها القلائد كي يعلم أنها مهداة إلى البلد الحرام، وخصت بالذكر لعظيم ثوابها، ولأنهم كانوا يأمنون بسوق الهدى إلى البلد الحرام على أنفسهم، حيث يعلم من يراهم أنهم يقصدون بيت الله الحرام، وفيه قوام لمعيشة فقراء البلد الحرام حين يساق هذا الهدى، فإنه رزق يرسله الله ﷻ إليهم، فيكون فيه قيام لأمرهم، وكذلك كانوا يأمنون إذا قلدوها أو قلدوا أنفسهم عند الإحرام من لحاء شجر الحرم، فلا يتعرض لهم أحد، وجعل الله ﷻ ذلك كله لجلب المصالح لكم ودفع المضار عنكم قبل وقوعها، وهذا دليل ظاهر على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن^(١).

وقد لخص ابن الجوزي -رحمه الله- أقوال المفسرين -رحمهم الله- في المراد بقول ﷻ: ﴿ قِيَمًا لِلنَّاسِ ﴾ فقال: " وفي معنى الكلام ستة أقوال:

أحدها: قياما للدين، ومعالم للحج، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - .

والثاني: قياما لأمر من توجه إليها ، رواه العوفي عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - .

قال قتادة-رحمه الله-: كان الرجل لو جر كل جريرة ، ثم لجأ إليها ، لم يتناول ، ولم يقرب . وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام ، لم يعرض له ولم يقربه ، وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر ، فأحتمه ومنعته من الناس ، وكان إذا نفر تقلد قلادة من

(١) انظر: محاسن التأويل، ٦/٣٧٧، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.

الإذخر أو من لحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله . حواجز ألقاها الله بين الناس في الجاهلية .

والثالث: قياما لبقاء الدين ، فلا يزال في الأرض دين ما حجت واستقبلت ، قاله الحسن-رحمه الله- .

والرابع: قوام دنيا وقوام دين.

والخامس: قياما للناس ، أي : مما أمروا أن يقوموا بالفرض فيه ، ذكره الزجاج-رحمه الله- .
والسادس: قياما لمعايشهم ومكاسبهم بما يحصل لهم من التجارة عندها ، ذكره بعض المفسرين^(١) . وهذه الأقوال لا تضاد بينها فنحمل الآية على جميع هذه المعاني،

ويتضح مما سبق معنى عام لقيام البيت الحرام بأنه:

"كل ما فيه صلاح للناس في أمر دينهم ودنياهم".

ولعل من المناسب ذكر أنواع قيام البيت الحرام للناس:

١ . قيام الدين:

فقد قام البيت الحرام على الملة الحنيفية، التي قومت النفوس وزكّتها، وطهرتها من الشرك والوثنية، وكانت الكعبة قياماً للناس، "إذ كانت سبب اهتدائهم إلى التوحيد واتباع الحنيفية ، واستبقت لهم بقية من تلك الحنيفية في مدة، جاهليتهم كلّها لم يعدوا عوائد نفعها"^(٢) ، وبالبيت الحرام قامت الصلاة والحج والمناسك العظام، وبه يجتمع المسلمون من كل فج عميق ليتعارفوا بينهم، ويتبادلوا المودة الإسلامية، ويقوموا معالم دينهم. ويؤدوا عباداتهم المتنوعة، مؤملين مغفرة الذنوب والآثام، والحسنات العظام، ولا يزال هذا الدين قائماً ما بقي البيت الحرام.

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢٦٧/٢، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

(٢) التحرير والتنوير، ٣٠٧/٤، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

٢ . قيام الأبدان:

فالأمن الذي جعله الله ﷻ في البلد الحرام، وما ارتبط به من أمن الزمان في الأشهر الحرم، جعل الناس يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، في جاهليتهم الأولى، قال ابن شهاب-رحمه الله-: "جعل الله البيت الحرام، والشهر الحرام قياماً للناس يأمنون به في الجاهلية الأولى، لا يخاف بعضهم بعضاً حين يلقونهم عند البيت أو في الحرم أو في الشهر الحرام"^(١)، وهذه الحواجز التي جعلها الله ﷻ في الجاهلية، أمنت حياة أهل البلد الحرام فازدهرت تجارتهم، ونمت أموالهم، وانتقلوا تجاراً في رحلة الشتاء والصيف لا يخافون أحداً، بل محترمون ومعظمون بين الناس، قال ابن عاشور-رحمه الله-: "وكان أهل مكة وحرمة يسيرون في بلاد العرب آمنين، لا يتعرض لهم أحد بسوء، فكانوا يتجرون ويدخلون بلاد قبائل العرب، فيأتونهم بما يحتاجونه، ويأخذون منهم ما لا يحتاجونه ليلغوه إلى من يحتاجونه، ولولاهم لما أمكن لتاجر من قبيلة أن يسير في البلاد، فلتعطلت التجارة والمنافع. ولذلك كانت قريش يوصفون بين العرب بالتجار، ولأجل ذلك جعلوا رحلتي الشتاء والصيف اللتين قال الله تعالى فيهما: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيْلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾"^{(٢)(٣)}.

وقد زادها الله ﷻ، تعظيماً وحرمة، بالإسلام، فدام أمنها على كل من قصدتها، أو نزل فيها، وستبقى حياة الناس ما بقي البيت الحرام، فهو كقلب الإنسان إذا توقف يموت الإنسان، وكذلك حال البيت الحرام فهو القلب النابض لأهل الأرض، فمتى توقفت الصلاة إليه، والطواف به، توقفت هذه الحياة وقامت القيامة، قال ﷺ: " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحْجَّ

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ٥ / ٥٤١، جلال الدين السيوطي، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

(٢) سورة قريش: الآية رقم (١-٢).

(٣) التحرير والتنوير، ٧/٥٨، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

الْبَيْتُ" (١) وقال ﷺ " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ" (٢)، وقال ﷺ: " يُخْرَبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّؤْيَقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ" (٣).

- (قيام البيت الحرام):

إن كثيراً من مضامين البلد الحرام، غابت عن حياة كثير من المسلمين، فأصبح البلد الحرام، أو القدوم إليه، عادة عند البعض، لم يستشعر عظمة هذا البلد وحرمته، والحكم والأسرار التي ربطها الله ﷻ به، ومن ذلك معاني كون البيت الحرام قياماً للناس أجمعين، ولو تأمل المسلم هاتين الآيتين حق التأمل لعلم أهمية قيام البيت الحرام للناس، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ (٤)، وقال الله ﷻ: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾ (٥). فالمال عصب الحياة، لا تقوم الدنيا إلا به، ولا تسير الحياة إلا معه، والكل يعلم ذلك ولا يماري فيه، كذلك لا بد لكل بصير أن يقارن بين المال والبيت الحرام، فقيام الناس بالبيت الحرام أشد من قيام الناس بالمال، إذ به قيام دينهم وديانهم.

قال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - : "قال العلماء-رحمهم الله-: والحكمة في جعل الله تعالى هذه الأشياء قياماً للناس، أن الله سبحانه خلق الخلق على سليقة الأدمية من التحاسد والتنافس والتقاطع والتدابير، والسلب والغارة والقتل والثأر، فلم يكن بد في الحكمة الإلهية، والمشية الأولية من كاف يدوم معه الحال ووازع يحمد معه المال، فقال الله ﷻ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

(١) رواه الحاكم في المستدرک عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رقم (٨٣٩٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٤١٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، رقم (١٤٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ...﴾ سورة المائدة: الآية رقم (٩٧). ورواه مسلم، كتاب الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...، رقم (٢٩٠٩).

(٤) سورة النساء: الآية رقم (٥).

(٥) سورة المائدة: الآية رقم (٩٧).

خَلِيفَةً ﴿١﴾، فأمرهم الله سبحانه بالخلافة، وجعل أمورهم إلى واحد يزعمهم عن التنازع، ويحملهم على التآلف من التقاطع، ويرد الظالم عن المظلوم، ويقرر كل يد على ما تستولي عليه، وروي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقول: " ما يزع الامام أكثر مما يزع القرآن " ^(٢)، وجور السلطان عاما واحدا أقل إذاية من كون الناس فوضى لحظة واحدة ^(٣)، فأنشأ الله سبحانه الخليفة لهذه الفائدة، لتجري على رأيه الأمور، ويكف الله عز وجل به عادية الجمهور. فعظم الله سبحانه في قلوبهم البيت الحرام، وأوقع في نفوسهم هيئته، وعظم بينهم حرمة، فكان من لجأ إليه معصوما به، وكان من اضطهد محميا بالكون فيه، كما قال الله تعالى: ﴿أَوْلَم يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مِّنَّا وَمَنِ خَطِفُ الْنَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ ^(٤)، وقال العلماء-رحمهم الله-: فلما كان موضعا مخصوصا لا يدركه كل مظلوم، ولا يناله كل خائف جعله الله الشهر الحرام ملجأ آخر ^(٥).

وعلى العلماء والدعاة إلى الله عز وجل والمثقفين أن ينقلوا هذه المضامين للعالم أجمع حتى يكف الظالمون المعتدون عن التقول على الإسلام والمسلمين بغير حق، ويتهمونهم بتصدير الإرهاب بين الخلق، وإظهار رسالة الإسلام الحقيقية، التي يصدر بها الأمن والأمان والسلام والأخوة والمحبة والوئام للعالم أجمع، والسكينة والهدوء، والحياة الطيبة، لكل من آمن به، وانقاد لشعره.

وكم كان البيت الحرام قياماً للناس في حياتهم، يأتي إليه المسلم محملاً بالذنوب والخطايا تائباً منيباً، فيدخل بيت الله عز وجل معتمراً أو حاجاً، فما يبرح منه إلا وقد غفر الله عز وجل ذنوبه وخطايه، ورجع كيوم ولدته أمه، ويأتي إليه المهموم والمكروب والسقيم وذا العاهة، ومن ضاقت

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٣٠).

(٢) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ١/١١٨، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة.

(٣) وواقعا المعاصر شاهد على ذلك، أصلح الله أحوال أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(٤) سورة العنكبوت: الآية رقم (٦٧).

(٥) الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٣٢٥، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

عليه الأرض بما رحبت، فيدخل في بلد الله الحرام، ويدخل بيته فما ينصرف منه إلا وقد عادت له الحياة، وأشرق الأمل في وجهه، وطابت نفسه بربه، فينطلق عبداً لله في عقيدته وعبادته وأخلاقه.

إن الواجب على الدعاة والمثقفين أن يبينوا للناس أن البلد الحرام، ليس بلداً تاريخياً فحسب، وليست الكعبة نصباً تذكاريّاً، يعامل معاملة الآثار، تلتقط بمعيتها الصور، وتنسج فيها الأشعار والقصص، إنها دين وعقيدة وعبادة وأخلاق، لا تقوم للمسلمين قائمة من دون هذا البيت الحرام، ولن يكون ذلك حتى يعطوا البيت الحرام حقه من التعظيم والحرمة، والتقديس والتطهير، والحرص على آداب الحوار فيه، والسلوك العملي الذي يدل على هذا التعظيم، لأن السلوك الحسن في البلد الحرام، دليل على تعظيم البلد الحرام، كما أن العلم بثقافة البلد الحرام، طريق ودليل للسلوك الحسن.

المطلب الثامن :

البلد الحرام مولد خير الخلق ومبعثه ﷺ

وانزال القرآن الكريم

لقد اختار الله ﷻ مكة المكرمة، من بين بقاع العالم، وجعلها أحب البلاد إليه، وجعلها بلداً حراماً، وأرضاً مقدسة، ووطناً للأمن والأمان، محاطاً بعناية الله ﷻ، فكف أيدي كل من أراد بالبلد الحرام سوءاً.

• البلد الحرام مولد النبي ﷺ وموطنه :

اختار الله ﷻ، البلد الحرام، ليكون مولد خير خلقه محمد ﷺ حيث بقايا آثار الحنيفية السمحة، شاهدة على التوحيد المغيب، وعلى الشمس التي لم تشرق بعد، فولد بأبي هو وأمي ﷺ، يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل^(١)، وولد بالبلد الحرام، التي نزل بها أنبياء الله عليهم السلام، وبنّا بها أبوه إبراهيم ﷺ بيت الله ﷻ، فكان البلد الحرام، مسقط رأسه، وموضع ميلاده، ومجمع أوطار فؤاده، ومقطع سُرته، ومجمع أسرته، وأول هواء حرك رئتيه، وأول تراب مس راحتيه، ومجرى صباه وملعبه، وعرس شبابه وموكبه، ومراد رزقه ومطلبه، وفيه درج، ودخل وخرج، وطلع وولج، فكان أحب البلاد إلى قلبه ﷺ^(٢)، قال عبد الله بن عدي ﷺ: رأيت الرسول الله ﷺ واقفاً على الحُزُورَةِ^(٣) فقال: "وَاللَّهِ إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضِ اللَّهِ

(١) وهو قول جمهور العلماء، واختلف في تاريخ ولادته ﷺ، على أقوال كثيرة. انظر صحيح السيرة النبوية للألباني ص ١٣. وانظر سيرة ابن هشام ١/١٥٨ .

(٢) انظر: أسواق الذهب، ص (١٠). أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٣) الحزورة: بالفتح ثم السكون، وفتح الواو، وراء، وهاء؛ قال الدار قطني رحمه الله: "كذا صوابه، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو، وهو تصحيف" والحزورة في اللغة: الراية الصغيرة. انظر معجم البلدان للحموي: ٢/٢٥٥. وقال الأزرقى: "الحزورة كانت سوق مكة، ثم دخلت في المسجد الحرام" انظر أخبار مكة للأزرقى ٢/٢٩٦،

وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ وَلَوْلَا أَبِي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ" (١). وعن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ لمكة: "مَا أَطْيَبِكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ" (٢).

قال الشوكاني - رحمه الله -: " فيه دليل على أن مكة خير أرض الله على الإطلاق وأحبها إلى رسول الله ﷺ" (٣).

فمن البلد الحرام انطلقت هداية العالمين، وانتشر شعاع الحق المبين، ومنها تبدد الظلام واستيقظ النيام، وأحيا الله موتى الكفر بالإسلام، وارتفعت فيه راية السلام.

ها هي بطاح البلد الحرام، تشنف أذن كل من له قلب حي، وألقى السمع وهو شهيد، تروي له عقب التاريخ، ومسيرة العدل والحق، وميلاد الأخلاق والقيم، وتفصيل الرسالة، وقصة الحضارة، التي انتشرت في العالم كله، على يد رجل ولد هنا في البلد الحرام، ووطئ بأقدامه رمال مكة المكرمة، وصعد جبالها، وولج شعابها، ينادي بلا إله إلا الله، فردد صداه العالم وأجابه المسلمون، بلييك اللهم لبيك.

• نزول الوحي في البلد الحرام:

لم تكن مكة المكرمة بيئة علم وحضارة، تقارع وتنافس الحضارات المعاصرة، كفارس والروم واليمن، ولم تتأثر بثقافات الأمم حولها، فتفقد هويتها، وتنساق في تبعيتها، بل كانت بيئة أمية اختارها الله ﷻ لنزول وحيه على خير خلقه ﷺ، فعلمه الله ﷻ ما لم يعلم، كرمياً منه وتفضلاً، فلم يكن علمه ﷻ، عصارة ثقافة مجتمع، أو نتاج تعلّم ومدارسة بشرية، ولكنه رحمة

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، رقم (٣٩٢٥)، صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٨٩).

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل مكة، رقم (٣٩٢٦)، صححه الألباني في المشكاة، رقم (٢٧٢٤).

(٣) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، ٣١/٥. محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

وكرم من الله ﷺ فقال له: ﴿أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(١)، فنزل الوحي، وفاض الكرم، وعظم الفضل: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾^(٢).

إن من أعظم صور التكريم التي امتن الله ﷺ به على البشرية، نزول الوحي، وهي لحظة فارقة وعجيبة في تاريخ البشرية، إذ كانت الظلمات قد عمت الأرض بكاملها، والبشرية تسير إلى هاوية سحيقة، هبوط وانحدار، وانحطاط في القيم، والأخلاق، والشرائع، كما قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ"^(٣)، فأنزل الله ﷺ، القرآن الكريم، على نبيه ﷺ، وهو في غار حراء في ليلة القدر من رمضان بالبلد الحرام قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَأَبْتَعَتْهُ بِرِسَالَتِهِ"^(٤)، فشع نور الرسالة، واستبان طريق الهدى والسلام، من طريق الضلالة، قال الله ﷺ: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٥)، فتشرفت البلد الحرام بنزول وحي السماء على جبالها، لتعلو بهذا الفضل علواً فوق علوها، وليبدأ النبي ﷺ، رحلة النبوة والتبليغ والتبشير والإنذار، التي بدأت بإرهاصاتها معه منذ أربعين سنة، حتى نزل عليه قول الله ﷺ وهو متدثر في ثيابه: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثَّرُ ﴿١﴾ قُوفًا نَذِيرًا﴾^(٦)،

(١) سورة العلق: الآية رقم (٣).

(٢) سورة النساء: الآية رقم (١١٣).

(٣) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٢٨٦٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، مسانيد المكثرين، مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، رقم (٣٦٠٠). وحسنه الألباني في شرح العقيدة الطحاوية. رقم (٥٣٠).

(٥) سورة المائدة: الآية رقم (١٦).

(٦) سورة المدثر: الآية رقم (٢).

فقام ﷺ ثلاث وعشرين سنة، يدعو إلى الله ﷻ ولم يضطجع إلا عند خروج روحه الطاهرة، لتلحق بالرفيق الأعلى، بأبي هو وأمي ﷺ.

فمن البلد الحرام شعت أنوار الرسالة المحمدية الخالدة، وأضاءت مشارق الأرض ومغاربها، ومنه أعلنت مبادئ الإسلام الجلييلة.

• المضامين الثقافية لمولد ومبعث النبي ﷺ ونزول الوحي في البلد الحرام:

البلد الحرام دار الهدى، والرحاب الآمنة، والبقعة المباركة، اختارها الله ﷻ، لمولد النبي ﷺ، ومنطلق مبعثه ودعوته، ومتنزل وحيه، وهي منة من الله ﷻ على عباده كما قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١) وذلك ليتشبت المسلمون فيها بأهداب الرسالة، وجذور الديانة، ويتلقوا دروس التربية، والصبر على التمسك بالدين، والدعوة إلى الله ﷻ، ويستلهموا من حياته ﷺ، في البلد الحرام دروساً عظيمة فمن تلك الدروس:

١. التمسك بالدين، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه: فلقد تقلبت

برسول الله ﷺ صروف الحياة، في البلد الحرام، من قوة وضعف، وغنى وفقر، وكثرة وقلة، ونصرة وهزيمة، وظعن وإقامة، وجوع وعطش، وحزن وسرور، فما تغير في ذلك كله، بل كان عبداً مطيعاً لربه، ومبلغاً لرسالته، طيلة ثلاثة عشر سنة قضاها في البلد الحرام، فما تدمر فيها وماتضجر، وخرج منها مهاجراً وهي أحب البلاد إليه.

وهكذا يجب أن يكون كل وافد وساكن في البلد الحرام، متمسكاً بدينه، مستشعراً حياة نبيه ﷺ في البلد الحرام، ويدعو إلى الله ﷻ بين الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعظم هذا البلد الذي حوى في جنباته تاريخ خير المرسلين ﷺ

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (١٦٤).

٢. اليقين بنصر الله ﷺ: فكان يعيش عليه ويمشي به ويشير به أصحابه إن هم تمسكوا وصبروا، وكان يحلف على نصر الله ﷺ، لهذا الدين وإتمام أمره، فعن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: "شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ ببردته له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (١)

إنه درس للأمة الإسلامية، أنها متى اتقت الله ﷺ وصبرت فإن النصر والتمكين قادم لا محالة، فلتفتاءل في زمن الشدائد، ولتستشرف فجرها من غسق الليل.

٣. الصفح والعفو: فرغم شدة ما لاقاه رضي الله عنه من قومه في البلد الحرام، إلا أنه رد إساءتهم بالإحسان إليهم، فاستل العداوات، ومحا بعفوه السخائم، وألف القلوب، وأعاد اللحمة، فعلم عدوه قبل صديقه، أنها النبوة، فزاده العفو رفعة، ودخل الناس في دين الله ﷺ أفواجا، قال الله ﷻ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ﴾ ﴿٢﴾ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً (٢).

وعن عطاء بن يسار -رحمه الله- قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- ، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال: "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٣) ، وحزرًا للأُميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٦١٢).

(٢) سورة النصر: الآية رقم (١-٣).

(٣) سورة الأحزاب: الآية رقم (٤٥).

بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِيًّا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا" (١) ﷺ .

ألا ليت من سكن البلد الحرام ووفد إليه، يتأمل عفو النبي ﷺ وصفحه في البلد الحرام، وينظر لحال الناس اليوم، كيف اكتظت المحاكم والشرط، وبالشكاوى، وكيف تبارز الناس في البلد الحرام بالعداوة، وغالبها بين الأهل والأقارب إلا من رحم الله ﷻ.

ولو عملوا بالصفح لكانوا أقرب للتقوى، وأكرم في العقبى، وأحسن في الذكرى، قال ﷺ: "مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ" (٢)

وإن الصبر عن الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، مرتبة عالية، وخصلة شريفة، لا يقدر عليها إلا الصابرون الموفقون للحظ العظيم: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣﴾ .

٤. اتباع لا ابتداع: فالدين الذي أنزل على النبي ﷺ بالبلد الحرام دين اتباع، فلا سعادة ولا فوز لمن لم يتبع الهدى الذي أنزل في البلد الحرام: ﴿فَأَمَّا يَا نِينَكَمْ مَنِ هَدَى فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٤)، وقال النبي ﷺ: " مَنْ أَحَدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ " (٥)، و(الرد) هنا بمعنى المردود، فهو باطل غير معتد به .

(١) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب: كراهية السخب في السوق، رقم (٢١٢٥).

(٢) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، رقم (٢٥٨٨).

(٣) سورة فصلت: الآية رقم (٣٥).

(٤) سورة طه: الآية رقم (١٢٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم (٢٦٩٧)، ورواه مسلم،

كتاب الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم (١٧١٨).

وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به^(١) فكل ما ليس من دين الله ﷻ، فهو مردود، في الاعتقاد، أو العبادات.

لذا على المسلم أن يحرص على تعلم شرائع دينه، ويعلم ما يجب عليه فيها، ويحذر كل الحذر من كل ما يناقض معالم هذا الدين في البلد الحرام، فيحذر من الشرك كبيره وصغيره، فما بني البيت الحرام إلا لهدم معالم الوثنية والقضاء عليها، ونشرى الهدى والنور.

وينبغي عليه أن يحذر من بدع العبادات المنتشرة بين الناس ولا سيما تعظيم الأماكن في البلد الحرام، فلا يعبد الله ﷻ عند الأماكن التي خصها النبي ﷺ بالعبادة، إلا بما شرعه رسول الله ﷺ، ناهيك عن يتبعده الله ﷻ، في أماكن غير مشروعة، وغير مثبتة تاريخياً^(٢).

وعلى المسلم إن يحافظ في تعبده لربه، على أصل هذه العبادة، وعلى صفتها الواردة، "فهذه الأمكنة المعظمة لا بد فيها من المتابعة وعدم الابتداع عندها بعبادات لم يأذن بها الله تعالى، والمتابعة الصادقة هي التي يكون العمل فيها على وفق السنة، في القصد وفي صورة الفعل"^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولم يشرع الله تعالى للمسلمين مكانا يقصد للصلاة إلا المسجد . ولا مكانا يقصد للعبادة إلا المشاعر . فمشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة بخلاف المساجد فإنها هي التي تقصد للصلاة وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر وفيها الصلاة والنسك قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

(١) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، الريان، مصر. ١٥٠/٦

(٢) مثل ما يعتقد بعض الناس في مكان مولد الرسول ﷺ، وقد رئي من يسجد إليه ويطوف به، والله المستعان.

(٣) تعظيم الأماكن في مكة المكرمة بين المشروع والممنوع، ص(٣٥) د. سعد الشهراني، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦ هـ. على الرابط التالي:

<http://ia600708.us.archive.org/٦/items/wrtammmm/tammmm.pdf>

وَكُنُكِي وَحَيَايَ وَمَمَاقِبِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿١﴾ ، وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك وإن كان مسكنا لنبي أو منزلا أو ممرا . فإن الدين أصله متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه . فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ولا أمرنا به ولا فعله فعلا سن لنا أن نتأسى به فيه فهذا ليس من العبادات والقرب فاتخاذ هذا قرينة مخالفة له ﷺ" (٢) .

وإن الواجب على الدعاة والمثقفين، أن يبذلوا وسعهم، ويجهدوا أنفسهم في سبيل بيان قضية اتباع النبي ﷺ، والتحذير من الابتداع، بشتى الوسائل والأساليب، فالمسلم يقتدي ويقتفي ولا يبتدي، ويتبع ولا يبتدع، فقد بُلِّغَتِ الرسالة، وأدَّتِ الأمانة واكتملت الشريعة.

٥. خصوصية وتميز: إن اختيار البلد الحرام مهذاً ونشأةً وبعثةً لرسول الله ﷺ ومنتزلاً للقرآن الكريم، رغم بعدها عن الحضارتين المؤثرتين في العالم في ذلك الوقت؛ الحضارة الفارسية والرومانية، يدل على خصوصية هذا الدين واستقلاله، وعدم تأثر نشأته وصياغته بما يدور حوله، وهذه الخصوصية والاستقلالية كما اتسم بها الإسلام، اتصف بها المسلمون في كل زمان ومكان، فالمسلم ثابت المعالم، متميز في شخصيته، متميز في عقيدته، متميز في أخلاقه.

(١) سورة الأنعام: الآية رقم (١٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى، ٥٠٣/٢٧، لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

المطلب التاسع: المسجد الحرام قبلة المسلمين

توطئة:

نال البيت الحرام أكرم تشریف، وأوفى تعظيم، فجعله الله ﷻ، الوجهة الدائمة، والقبلة اللازمة، للعبد المؤمن طيلة حياته، وبعد مماته، فأمر بقصده والتوجه إليه في كل صلاة، لحكم عظيمة، وآثار بالغة على الأمة الإسلامية التي أضحت تتجه جميعها للبلد الحرام من كل مكان فالعبادات اليومية والموسمية التي شرعها الله ﷻ، لنا وغيرها من العبادات والأحكام تكشف لنا اهتمام الشريعة الإسلامية ببناء مجتمع متحد متعاون متكافل كالجسد الواحد وكالبنیان المرصوص، فعندما يصلي المسلمون جميعاً متجهين إلى القبلة يشعرون في أنفسهم الاتحاد والانسجام وقطع جميع الخلافات من جذورها التي يمكن أن تحدث عند عدم تعيين قبلة لهم، فالإسلام دين الوحدة، دين الالفة و المودة، دين الاجتماع و التكاتف.

لقد حقق الله ﷻ لنبیه ﷺ ما كان يتمناه من تحول القبلة، من بيت المقدس إلى الكعبة، فقد كان يقلب وجهه في السماء متجهاً إلى ربه ﷻ، دون أن ينطق لسانه بشيء، تأدبا مع الله ﷻ. فعن البراء ﷺ قال: "لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾^(١)، فَوُجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ، وَصَلَّى مَعَهُ رَجُلٌ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَّهُ قَدْ وُجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ. فَانْحَرَفُوا وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ"^(٢)

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب أخبار الآحاد، باب: ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم

والفرائض والأحكام، رقم (٧٢٥٢).

وقد كرر الله ﷻ، الأمر بالتوجه للمسجد الحرام، فأمر النبي ﷺ، ثلاث مرات، وأمر المسلمون مرتين، قال الله ﷻ: ﴿قَدْ زَرَى نَقَلْبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَإِلَّيَّمِ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣)

وما ذلك كله إلا لتأكيد عظم هذا التوجه، والتحذير من التساهل فيه، "والأمر باستقبالها في أي موضع استقر فيه، وهو تعالى لم يقيد الخروج بغاية، بل أطلق غايته، كما عم مبدأه، فمن حيث خرج إلى أي مخرج كان، من صلاة، أو غزوة، أو حج، أو غير ذلك، فهو مأمور باستقبال المسجد الحرام، هو والأمة، وفي أي بقعة كانوا من الأرض"^(٤). ولا يوجد مسجد في الأرض التوجه إليه في الصلاة من أركان الإسلام، إلا المسجد الحرام.

وهو قبله جميع الأنبياء عليهم السلام، قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾^(٥)، "يعني الكعبة"^(٦)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فإن الكعبة ومسجدها وحرمتها أفضل بكثير من بيت المقدس وهي البيت العتيق،

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٤).

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٤٩).

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٥٠).

(٤) بدائع الفوائد، ٤/١٦٩، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، ط المجمع.

(٥) سورة يونس: الآية رقم (٨٧).

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/٤٨٧، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت.

وقبله إبراهيم وغيره من الأنبياء، ولم يأمر الله قط أحداً أن يصلي إلى بيت المقدس، لا موسى ولا عيسى ولا غيرهما" (١)

وقد اختار الله ﷺ، مكاناً غير ذي زرع، ليكون بلده الحرام، وجعل له تاريخاً دينياً مجيداً، على أيدي صفوة من أنبيائه ورسله عليهم السلام، فلقد عهد الله ﷻ إلى إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، بإقامة قواعد البيت الحرام، والأمة المسلمة هي الوارثة لعهد الله ﷻ، فلا غرابة أن ترث قبله نبي الله ﷻ إبراهيم ﷺ، فيكتمل لها سعدها، ومجدها، ويزداد تعظيم المسلمين للبيت الحرام، بالتوجه لها.

● المضامين الثقافية للتوجه للمسجد الحرام:

ليس المقصود من التوجه للمسجد الحرام إقامة الصلاة فحسب، بل حمل في طياته، أبعاداً ومضامين عظيمة، ينبغي على المسلمين استشعارها، ومراعاتها، ولا سيما ساكن البلد الحرام والوافد إليه، ومن ذلك:

١. القبلة إتمام النعمة وكمال الهداية: كما قال الله ﷻ، بعد الأمر بالتوجه للقبلة: ﴿وَلَا تِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٢)، قال ابن كثير رحمه الله: "أي: ولأتم نعمتي عليكم فيما شرعت لكم من استقبال الكعبة، لتكمل لكم الشريعة من جميع وجوهها، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: إلى ما ضلت عنه الأمم هديناكم إليه، وخصصناكم به، ولهذا كانت هذه الأمة أشرف الأمم وأفضلها" (٣)، ولدوام هذه النعمة وكمال الهداية للمسلم لا بد من شكر الله ﷻ، على ذلك والعمل بطاعته، وتعظيم هذه القبلة، واحترام البلد التي فيه، هذا هو طريق الهداية إلى السراط المستقيم، قال ابن القيم رحمه الله: "وأخبر أن الذي يهتدي من يشاء إلى صراط مستقيم هو الذي هداهم إلى هذه القبلة، وأنها هي القبلة التي تليق بهم، وهم

(١) مجموع الفتاوى، ٧/ ٢٨٩، لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم .

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٥٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٤٦٤. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار

طيبة، ط ٢٠، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

أهلها، لأنها أوسط القبل وأفضلها، وهم أوسط الأمم وخيارهم، فاختار أفضل القبل لأفضل الأمم، كما اختار لهم أفضل الرسل، وأفضل الكتب، وأخرجهم في خير القرون، وخصهم بأفضل الشرائع، ومنحهم خير الأخلاق، وأسكنهم خير الأرض، وجعل منازلهم في الجنة خير المنازل، وموقفهم في القيامة خير المواقع، فهم على تل عال، والناس تحتهم، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(١).

٢. تاريخ هذا البيت الحرام: فإذا توجه إليه تذكر أول بيت في الأرض وضع

لعادة الله وتذكر ملة إبراهيم والحنيفية السمحة، والتوحيد الخالص لرب هذا البيت، وتذكر أحب البقاع إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ، وما لقيه ﷺ، هو وأصحابه ﷺ من صنوف البلاء، وأنواع الآلام، في جنبات البلد الحرام.

٣. تقوية معاني الولاء والبراء: فهو ينصرف عن قبة اليهود والنصارى في عبادته،

وكذلك ينبغي أن يكون في كل شيء متبرئاً منهم، وموالياً لكل من توجه معه للقبلة، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَيْحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ"^(٢). فهو يوالي ملايين المسلمين الذين يجتمعون معه في القبلة، سواء كانوا من الأجيال السابقة، أو القادمة، يجبه ويدعو لهم فهم جسد واحد، كما قال الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣)

٤. التمييز والاختصاص: لا بد أن يستشعر المسلم وهو يتوجه للبيت الحرام، أن

هذه القبلة، رمز للتمييز والوحدة والتوحيد، فهي تميزه بدينه الحق وعبادته، واخلاقه، عن سائر الأديان الأخرى، وهي تجمع المسلمين على عمود واحد، عمود الإسلام، وهو الصلاة التي

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٨/٣. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: فضل استقبال القبلة يستقبل بأطراف رجله، (٣٩١)

(٣) سورة لحشر: الآية رقم (١٠).

تجمعهم بقلوبهم حول الكعبة المشرفة في مشارق الأرض ومغاربها، وتجمعهم بأبدانهم في مساجدهم، وتنتهي بهم إلى تجمع أعظم وهو يوم الحج الأكبر.



المبحث الثاني

تعظيم أنبياء الله ﷺ للبلد الحرام

وفيه مطلبان على النحو التالي :

المطلب الأول: تعظيم الأنبياء - عليهم السلام - السابقين للبلد الحرام.

المطلب الثاني: تعظيم نبينا محمد ﷺ للبلد الحرام.

المطلب الأول:

تعظيم الأنبياء والمرسلين – عليهم الصلاة والسلام –
السابقين للبلد الحرام

توطئة:

لقد آثرت أن أبين مكانة البلد الحرام عند أنبياء الله ورسله -عليهم السلام- لأنهم الذين بلغوا عن الله ﷻ رسالاته إلى الناس، وهم المصطفون، وهم القدوة، وهم أئمة الهدى، قال الله ﷻ فيهم: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(١)، وقال ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفْتَدِهِ﴾^(٢).

● مكانة البلد الحرام في القلوب:

جعل الله ﷻ البيت الحرام رمزاً لأصلين عظيمين هما: التوحيد والأمة الواحدة. وقد كان الناس عليها حيناً من الدهر قبل أن تجتاهم الشياطين فخرجوا عن هذين الأصلين، إلا من رحم الله ﷻ.

فالأصل الأول: توحيد الله رب العالمين كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، وقال ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(٤)، وغرس فيهم الفطرة السليمة المتهيئة لقبول الحق، قال الله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ

(١) سورة النساء: الآية رقم (١٦٥).

(٢) سورة الأنعام: الآية رقم (٩٠).

(٣) سورة الذاريات: الآية رقم (٥٦).

(٤) سورة الأعراف: الآية رقم (١٧٢).

النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ .
 وقال النبي ﷺ ذات يوم في خطبته: "أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُم مَّا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلُّهُ عَبْدًا حَلَالًا، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي خُنْفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَاثَتْهُمُ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا" (٢) .

وأما الأصل الثاني: الأمة الواحدة، فقد أخبر الله ﷻ، أن الناس كانوا أمة واحدة، وبسبب الشرك تفرقوا واختلفوا، قال الله ﷻ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ﴾ (٣) ، وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤) .

وقد دعا خليل الله إبراهيم عليه السلام، ربه بهذين الأصلين العظيمين، في البلد الحرام، فقال الله ﷻ عن الأصل الأول: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٥) ، وقال ﷻ: عن الأصل الثاني: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (٦) .

(١) سورة الروم: الآية رقم (٣٠) .

(٢) رواه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم (٢٨٦٥) .

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (٢١٣) .

(٤) سورة يونس: الآية رقم (١٩) .

(٥) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٥) .

(٦) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧) .

ولما كان البيت الحرام جامعاً لهذين الأصلين العظيمين، انجذبت القلوب إليه، وتاقت لما جبلت وفطرت عليه، فهم يميلون إليه بضرورة الفطرة، وأوامر الشريعة المطهرة، فنزع الناس إليه من كل حدب، ومن كل فج عميق، حباً وشوقاً إليه.

• الروايات التاريخية في تعظيم البلد الحرام عند الأنبياء-عليهم السلام:-

وردت روايات كثيرة تبين مكانة البيت الحرام عند الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم، وغالبها لا تخلو من ضعف في أسانيدھا، حفلت بها المصادر التاريخية القديمة، لحفاظ هذه الأمة-رحمهم الله-، والتي أصبحت جزءاً من تاريخ البلد الحرام، ومادة علمية في كل كتاب صنف فيه، وأصبحت محط أنظار الباحثين والقراء، في كل زمان، ومكان، وهي رصيد تاريخي هائل ينبغي أن نحافظ عليه، وألا يتعامل معه بصرامة حتى لا يتفلت منا الكثير من النصوص التاريخية، ولا سيما وهي لا تخل بعقيدة، ولا أحكام شريعة، قال الدكتور أكرم ضياء العمري- وفقه الله:- "أما اشتراط الصحة الحديثية في قبول الأخبار التاريخية التي لا تمس العقيدة والشريعة ففيه تعسف كثير، و الخطر الناجم عنه كبير، لأن الروايات التاريخية التي دونها أسلافنا المؤرخون لم تُعامل معاملة الأحاديث، بل تم التساهل فيها، وإذا رفضنا منهجهم فإن الحلقات الفارغة في تاريخنا ستمثل هوة سحيقة بيننا، و بين ماضيها مما يولد الحيرة والضياع والتمزق والانقطاع"^(١).

فمنهج المحدثين-رحمهم الله- في نقد الروايات التاريخية لم يكن كنقد روايات العقيدة والأحكام، ولذا قال الإمام أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللهُ - : "إذا روينا عن رسول الله ﷺ في الحلال، والحرام، والسنن، والأحكام، تشدّدنا في الأسانيد. وإذا روينا عن النبي ﷺ، في فضائل الأعمال، وما لا يضع حكماً ولا يرفعه تساهلنا في الأسانيد"^(٢).

(١) دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات، ص(٢٧)، د.أكرم ضياء العمري، الجامعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م المدينة المنورة. وانظر أيضاً للمؤلف: السيرة النبوية الصحيحة، ٢٠/١، د.أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، ط٣، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، الرياض.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة، ٣٠٥/١، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، ت:د.عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م، الرياض.

وبمثله قال عبدالرحمن بن مهدي^(١) -رحمه الله-: "إذا روينا عن النبي ﷺ في الحلال والحرام و الأحكام شددنا في الأسانيد، وانتقدنا الرجال و إذا روينا في فضائل الأعمال والثواب والعقاب والمباحات والدعوات تساهلنا في الأسانيد"^(٢)

ثم إن كثيراً من الحفاظ يذكرون في مصنفاتهم الروايات الضعيفة والواهية مع سكوتهم عنها في الغالب لأنهم يرون أنه متى ما ذكروا الإسناد فقد برئوا من العُهدَة وأسندوا أمر النظر في إسناده لمن جاء بعدهم، ومن أسند فقد أحالك.

• تعظيم الأنبياء عليهم السلام للبلد الحرام وحجهم إليه:

إن أعظم من أقلت الأرض، وركب المطايا، وضرب أكباد الإبل، ومشى للبلد الحرام؛ أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فقد عظموا البلد الحرام حق تعظيمه، وقصدوه كل في زمانه وحينه.

وإن أفضل ما تأمل الناس فيه، من أحوال المعظمين لبلد الله الحرام، هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين اختارهم الله ﷻ، واصطفاهم، ليحملوا رسالاته إلى عباده، وفي أحوالهم عبرة للمؤمنين، وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح قلوبهم، وأعمالهم، وأخلاقهم، قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^(٣). فالحديث عن الأنبياء-عليهم السلام-، حديث حب وعاطفة جياشة، محبب إلى قلوب المسلمين، فبه يتذوقون طعم الإيمان، ومحسون بأثره على سلوكهم، ويقتدون بهم في تعظيمهم للبلد الحرام، كما قال الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ

(١) هو الإمام العلم: عبدالرحمن بن مهدي بن حسان الحافظ أبو سعيد البصري اللؤلؤي، قال علي بن المديني: أعلم الناس بالحديث عبدالرحمن، ص(٦٤٥). وقال: ما رأيت أعلم منه، توفي سنة ١٩٣ هـ، عن ثلاث وستين سنة، -رحمه الله-، انظر: الكاشف للذهبي، وانظر: تقريب التهذيب لابن حجر، رقم (٤٠١٨).

(٢) المستدرک علی الصحیحین، ٢ / ٣٠٧، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، بيروت.

(٣) سورة يوسف: الآية رقم (١١١).

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنَّبُوءَةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَنَهُمْ أَقْتَدَهُ ﴿١﴾ ، ولقد اعتنى أن أنبياء الله - عليهم السلام - بالبلد الحرام، حجاً وتعظيماً، "والمقصود الحج إلى محله وبقعته وإن لم يكن ثم بناء والله أعلم" (٢).

• حج عموم الأنبياء - عليهم السلام - إلى البلد الحرام:

ذكرت كتب التاريخ روايات عدة لأنبياء الله ﷺ، ممن لم يذكروا بأسمائهم - عليهم السلام - جوانب من تعظيمهم للبلد الحرام، وقصدهم إليه لأداء مناسك الحج، وزيارة مشاعره. روى ابن أبي شيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: " كانت الأنبياء إذا أتت على الحرم نزعوا نعالهم" (٣).

وعن عبد الله بن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: "مر بصفاح الروحاء سبعون نبيا حججا عليهم لباس الصوف إبلهم مخظمة بالليف" (٤).

وورد عن مجاهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: "حج خمسة وسبعون نبيا، كلهم قد طاف بالبيت وصلى في مسجد مني، فإن استطعت أن لا تفوتك الصلاة في مسجد مني فافعل" (٥).

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: "لَقَدْ مَرَّ بِالصَّخْرَةِ مِنَ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا، مِنْهُمْ مُوسَى نَبِيُّ اللَّهِ ، حُفَاءً عَلَيْهِمُ الْعَبَاءُ ، يُؤْمُونَ بَيْتَ اللَّهِ الْعَتِيقِ" (٦).

(١) سورة الانعام: الآية رقم (٩٠).

(٢) البداية والنهاية، ٣٦٦/٢، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، ت: أحمد عبد الوهاب فتوح، دار الحديث، ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، القاهرة.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الحج، في الرجل يطوف وعليه نعلاه، رقم (١٣٨٠١).

(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرق، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت ١/١٠٤،

(٥) المرجع السابق: ٩٤/١

(٦) رواه أبو يعلى، مسند أبو موسى الأشعري، رقم (٧٢٣١). وقال الألباني: "حسن لغيره" صحيح الترغيب رقم (١١٢٨).

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: "صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا"^(١).

• نبي الله ﷺ آدَمُ ﷺ :

ذكر الأزرقي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن الملائكة لقيت آدَمَ ﷺ بالمأزمين، وفي رواية بالردم، وفي رواية أخرى في الطواف فقالوا: بَرَّ حَجَّكَ يَا آدَمُ، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: "حج آدَمَ ﷺ ففضى المناسك، فلما حج، قال: يا رب إن لكل عامل أجرا، قال الله تعالى: أما أنت يا آدَمُ فقد غفرت لك، وأما ذريتك فمن جاء منهم هذا البيت، فباء بذنبه غفرت له، فحج آدَمُ ﷺ، فاستقبلته الملائكة بالردم، فقالت: بَرَّ حَجَّكَ يَا آدَمُ، قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، قال: فما كنتم تقولون حوله؟ قالوا: كنا نقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، قال: فكان آدَمُ ﷺ، إذا طاف بالبيت، يقول هؤلاء الكلمات، وكان طواف آدَمَ عليه السلام سبعة أسابيع بالليل، وخمسة أسابيع بالنهار". قال نافع رحمه الله: كان ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يفعل ذلك.

وروي أن أول من طاف بالبيت الملائكة قبل آدَمَ عليهم السلام بألفي عام، وأنه لم يكن يهرب نبي من قومه إلا هرب إلى الكعبة فعبد الله تعالى فيها حتى يموت^(٢)

ويروى أن آدَمَ ﷺ حج على رجله سبعين حجة ماشيا، وأنه أقام بمكة يعبد الله ﷻ وعند البيت فلم تنزل داره حتى قبضه الله ﷻ بها^(٣)

(١) رواه الطبراني في الأوسط، رقم (٥٥٦٥)، وحسنه الألباني في تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، ص (٩٨).

(٢) انظر: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ١٩١/٤، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت. وانظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٢١٠/١، محمد بن يوسف الصالح، ت: د. مصطفى عبد الواحد، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، القاهرة.

(٣) انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٣١/١، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت. وانظر: تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ٥/١، محمد بن أحمد المعروف بابن الضياء، ت: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

• أنبياء الله ﷺ نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام:

عن عروة بن الزبير رحمه الله قال: بلغني أن البيت وضع لآدم يطوف به، وأن نوحا قد حجه وجاءه وعظّمه قبل الغرق^(١).

وروى الأزرقى رحمه الله عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أن هودا وصالحا وشعيبا عليهم السلام حجوا البيت بمن آمن معهم، وأنهم ماتوا بمكة، وأن قبورهم غربي الكعبة بين دار الندوة ودار بني هاشم.

وهذه الآثار التي تثبت حج هود وصالح عليهما السلام أقوى سنداً من حديث: "ما من نبي إلا وقد حج البيت إلا ما كان من هود وصالح"^(٢)، والله أعلم.

(١) انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٧٢/١، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٢) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى، ت: د. مصطفى عبدالواحد، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، القاهرة. ٢١٠/١. وانظر: مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ١٢٦/٢. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الرياض.

تعظيم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام للبلد الحرام:

صاحب المقام، الفاتك بالأصنام، باني البيت الحرام، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء: إبراهيم عليه السلام، صفي الله وخليله، شرفه الله وعزله، ببناء البيت الحرام، فأقام أول بيت في الأرض بإزاء البيت المعمور في السماء، قال الله وعزله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١).

● قصة بناء إبراهيم عليه السلام للبيت الحرام:

إذا ذُكر نبي الله إبراهيم، ذُكر البلد الحرام، وإذا ذكر البلد الحرام، ذكر إبراهيم عليه السلام، فهما قرينان، وتاريخ لا ينمحي، ولا يعتريه النسيان، ففي آخر حياته عليه السلام، وبعد ميلاد إسماعيل عليه السلام، ولد البلد الحرام، وكتب الله وعزله، الهداية للعالمين بهذا البيت الأمين، الذي بناه إبراهيم وساعده في البناء الابن البار إسماعيل عليهم السلام، قصة بداية مَدَنِيَّةِ البلد الحرام وحضارتها، رواها البخاري رحمته الله عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ^(٢) مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتَعْفَى^(٣) أَثَرَهَا عَلَى سَارَةِ ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابِنَهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْبَعُهُ حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ^(٤) فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا فَتَبِعْتَهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ لَهُ أَلَلَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا قَالَ نَعَمْ قَالَتْ إِذَنْ لَا يُضِيْعُنَا ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيَّةِ^(٥) حَيْثُ لَا

(١) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦).

(٢) المنطق: ما يشد به الوسط. المعجم الوسيط ٢ / ٩٣١

(٣) لتعفى: لتخفي. انظر لسان العرب ١٥ / ٧٢

(٤) دَوْحَة: الشجرة العظيمة. غريب الحديث لأبي عبيد ٤ / ٢٦٤

(٥) النَّبِيَّة: وهي بأعلى مكة حيث دخل النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمى (الحجون). فتح الباري لابن حجر ٥ / ٢٢٩

بِرَوْنَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ ثُمَّ دَعَا هَهُؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ.

وَجَعَلْتُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ حَتَّى إِذَا نَفَدَ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا وَجَعَلْتُ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ فَاَنْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ فَوَجَدَتْ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا فَقَامَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِيَّ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِيَّ رَفَعَتْ طَرْفَ دِرْعِهَا ثُمَّ سَعَتْ سَعِيَّ الْإِنْسَانِ الْمَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِيَّ ثُمَّ أَتَتْ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا فَفَعَلْتَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَلِكَ سَعِيَّ النَّاسِ بَيْنَهُمَا فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا فَقَالَتْ صَهٍ ^(١) تُرِيدُ نَفْسَهَا ثُمَّ تَسَمَّعَتْ فَسَمِعَتْ أَيْضًا فَقَالَتْ قَدْ أَسَمِعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ فَبَحَثَ بِعَقْبِهِ أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا وَجَعَلْتُ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يُفُورُ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ قَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكْتَ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَعْرِفِ مِنَ الْمَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا قَالَ: فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ بَيْنِي هَذَا الْعُلَامُ وَأَبُوهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيْعُ أَهْلَهُ وَكَانَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا فَقَالُوا إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّتَيْنِ فَإِذَا هُم بِالْمَاءِ فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ فَأَقْبَلُوا قَالَ وَأُمَّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ فَقَالُوا أَتَأْذِنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكَ فَقَالَتْ نَعَمْ وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فَأَلْفَمِي ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَانَ ^(٢) فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ وَشَبَّ الْعُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ

(١) صَهٍ: كأنها خاطبت نفسها فقالت لها: اسكتي. فتح الباري لابن حجر ١٠ / ١٤٦

(٢) الْإِنْسَانَ: بكسر الهمزة أي: تحب جنسها. وبضم الهمزة: ضد الوحشة. فتح الباري لابن حجر ١٠ / ١٤٦

مِنْهُمْ وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوْجُوهَ امْرَأَةً مِنْهُمْ وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَجَاءَ
 إِبْرَاهِيمُ بَعْدَ مَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرْكَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي
 لَنَا ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ فَقَالَتْ نَحْنُ بِشَرِّ نَحْنُ فِي ضَيْقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْهِ قَالَ: فَإِذَا
 جَاءَ زَوْجُكَ فَافْرِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَقُولِي لَهُ يُعَيِّرُ عَبْتَةَ^(١) بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ أَنْسَ شَيْئًا
 فَقَالَ هَلْ جَاءَكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ: نَعَمْ جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا فَسَأَلْنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ وَسَأَلَنِي
 كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ أَمَرَنِي أَنْ أَفْرَأَ
 عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ: غَيَّرَ عَبْتَةَ بَابِكَ قَالَ ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَفَارِقَكَ الْحَقِي بِأَهْلِكَ،
 فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَى فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ فَدَخَلَ
 عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ فَقَالَتْ خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيْفَ أَنْتُمْ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ
 فَقَالَتْ نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسَعَةٍ وَأَنْتِ عَلَى اللَّهِ فَقَالَ مَا طَعَامُكُمْ قَالَتْ اللَّحْمُ قَالَ فَمَا شَرَابُكُمْ قَالَتْ
 الْمَاءُ قَالَ اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لَهُمْ
 دَعَا لَهُمْ فِيهِ قَالَ فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بَعِيرٍ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُؤَافِقَاهُ^(٢) قَالَ فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ
 فَافْرِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَبْتَةَ بَابِهِ فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ
 نَعَمْ أَنَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَنْتِ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا
 بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَبْتَةَ بَابِكَ قَالَ:
 ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَبْتَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَ ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ
 يَبْرِي تَبَلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْرَمَ فَلَمَّا رَأَهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ
 بِالْوَالِدِ ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ: وَتُعِينَنِي قَالَ:
 وَأُعِينِكَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِي هَا هُنَا بَيْتًا وَأَشَارَ إِلَى الْأَكْمَةِ مُرْتَفِعَةً عَلَى مَا حَوْلَهَا قَالَ:

(١) عَبْتَةُ: كناية عن المرأة، وسمها بذلك لما فيها من الصفات الموافقة لها وهو حفظ الباب وصون ما هو داخله وكونها

محل الوطء. فتح الباري لابن حجر ١٠ / ١٤٦

(٢) نقل القسطلاني عن الكرمانى - رحمهما الله - : أي: لا يعتمدهما أحد ويداوم عليهما بغير مكة إلا لم يوافقاه، لما ينشأ
 عنهما من انحراف المزاج إلا في مكة فإنهما يوافقانه وهذا من جملة بركاتها وأثر دعاء الخليل ﷺ.

إرشاد الساري ٣٥٦/٥

فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١) ، قَالَ فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا نَقْبَلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).

رفع إبراهيم القواعد من البيت وابنه إسماعيل عليهم السلام كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣) وكان هذا الرفع للقواعد بعدما بين له الله ﷻ مكان البيت الحرام، كما قال ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤)، "أي هيأناه له، وعرفناه إياه، لينبئه بأمرنا على قواعد الأصلية المدرسة، حين أمرنا ببنائه، كما يهيا المكان لمن يريد النزول فيه .

والمفسرون يقولون: بواه له، وأراه إياه بسبب ربح تسمى الحجوج كنست ما فوق الأساس، حتى ظهر الأساس الأول الذي كان مندرساً، فبناه إبراهيم وإسماعيل عليه . وقيل: أرسل له مزنة فاستقرت فوقه ، فكان ظلها على قدر مساحة البيت ، فحفروا عن الأساس ، فظهر لهما فبناه عليه. وهم يقولون أيضاً: إنه كان مندرساً من زمن طوفان نوح ، وأن محله كان مريض غنم لرجل من جرهم ، والله تعالى أعلم .

وغاية ما دل عليه القرآن : أن الله بوأ مكانه لإبراهيم ، فهيا له ، وعرفه إياه لينبئه في محله"^(٥).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿يَرْفُونَ﴾ النسلان في المشي، رقم (٣٣٦٤).

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٧).

(٤) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٣٥٩/٤ ، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١ ،

١٤٢٦هـ، مكة المكرمة.

لقد أكرم الله ﷺ إبراهيم الخليل عليه السلام، إذ كان باني الكعبة المشرفة لأهل الأرض، بأن جعل منصبه ومحلّه وموضعه، في منازل السموات ورفيع الدرجات، عند البيت المعمور قال ﷺ في حادثة المعراج: "ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ فَقِيْلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيْلُ قِيْلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيْلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ. فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيْمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرُهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ"^(١). والبيت المعمور في السماء السابعة بجبال الكعبة المشرفة، فهو فوقها تماماً ولو وقع البيت المعمور لوقع على الكعبة المشرفة.

نقل ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال ﷺ: "البيت المعمور في السماء يقال له الضُّرَّاح"^(٢) وهو على مثل البيت الحرام بجباله لو سقط لسقط عليه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يروونه قط فإن له في السماء حرمة على قدر حرمة مكة"^(٣)

وروى ابن جرير رحمه الله من طريق خالد بن عرعة: أن رجلاً قال لعلي عليه السلام: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له الضُّرَّاح، وهو بجبال الكعبة، من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ولا يعودون فيه أبداً"^(٤).

• أذان إبراهيم عليه السلام في الناس بالحج:

لما فرغ خليل الله إبراهيم عليه السلام من شرف البناء، شرفه الله ﷻ بالنداء.

- (١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، رقم (١٦٢).
- (٢) "فيه لغتان: الضُّرَّاح والضَّرِيح". انظر: الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري. ص(٢٦٤).
- (٣) البداية والنهاية، أبوالفداء الحافظ ابن كثير، ٤٣/١، ت: أحمد عبدالوهاب فتوح، دار الحديث، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، القاهرة.
- (٤) الجامع لأحكام القرآن، ٩/٤١٠، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣م، الرياض، المملكة العربية السعودية. قال الألباني رحمه الله: "رجاله ثقات غير خالد بن عرعة وهو مستور.. وجملة القول أن هذه الزيادة (جبال الكعبة) ثابتة بمجموع طرقها وأصل الحديث أصح والله أعلم" السلسلة الصحيحة ٧٧٨/١

عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له: أذن في الناس بالحج، قال: ربّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليّ البلاغ فنادى إبراهيم: أيها الناس كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فحجوا، قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون^(١).

وعنه قال: لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه، أن أذن في الناس بالحجّ، قال: فقال إبراهيم: ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا، وأمركم أن تحجوه، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء: لبيك اللهم لبيك.

وعنه قال: قام إبراهيم خليل الله على الحجر، فنادى: يا أيها الناس كُتب عليكم الحجّ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن من سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك.^(٢)

• دعوات إبراهيم عليه السلام للبلد الحرام :

لقد تضمنت دعوات خليل الله إبراهيم عليه السلام، مطالب عدة، خص بها البلد الحرام، وأهله، فمن تلك المطالب:

١. أن يكون الوادي غير ذي زرع بلداً آمناً:

جاء إبراهيم عليه السلام إلى مكة بزوجه وابنه إسماعيل، ووضعهم بهذا الوادي، الذي ليس فيه أنيس، ولا داع ولا مجيب، امثالاً لأمر ربه، ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاًء فيه ماء، ثم انصرف راجعاً من حيث أتى، فثارت غريزة البقاء في هاجر، ونادت زوجها المسافر، أين تذهب وتترك زوجة تملكها الفزع، وطفلاً يرضع، بواد بلقع، والشيخ يمعن في المسير، لا يلتفت إليها ولا لكلامها، إذ كيف تظنين بالزوج الحميم، والأب الرحيم، وصاحب القلب السليم،

(١) قَوَى سنده ابن حجر في فتح الباري ١٩٦/٥

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ٣٤٠/٨، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

الذي فوض أمر مخالفه من العصاة إلى ربه، ولم يدع عليهم: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، أن يكون سبباً في هلاك زوجته، وفلذة كبده!

ثم قالت: هل الله أمرك بذلك؟ قال: نعم، فقالت قوله بليغة مدوية، تردد صداها في قلوب المؤمنين، لا تصدر إلا من مؤمنة صادقة محتسبة متوكلة على خالقها قالت: "إذن لا يضيعنا"، وفي رواية: "رضيت بالله" وفي رواية أخرى قالت: "حسي". فصبرت على ما أصابها من الضر والشدة، ورضيت بما قدره الله لها.

ومضى إبراهيم عليه السلام، فلما توارى، وختفت هاجر وابنها، عن عينيه التي طالما حرستهما، وقف عند الثنية من أعلى مكة، واستقبل بوجهه البيت، ورفع يديه، يناجى ربه، ويث إليه هممه، بقلب خاشع ذليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّانَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٣٧).

إن شدة وجد إبراهيم عليه السلام على زوجته وابنه، وقوة تأثره، وقربه من ربه، ترك أثراً عظيماً في دعائه، امتد امتداد الأيام والسنين، وبقي غضاً طرياً، فلا يسمع هذه المناجاة، قلب مؤمن حاضر، إلا اضطرب قلبه، واقشعر بدنه، وفاض دمه، واستشعر هول هذا الموقف، فلا يدري مم يعجب، أمن هاجر!، أم من إبراهيم عليه السلام!، ثم لا يملك إلا أن يستسلم، ويرضى بما قدره عليه، العليم الحكيم، ويتبع خليل الله عليه السلام إبراهيم عليه السلام، في عبادته: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾، مستقاً بسنته، وعامل بمثل عمله، ويسير على خطا أبيه، في ملته: ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣٨).

لقد دعا إبراهيم عليه السلام ربه، أن يكون هذا الوادي، الذي لا حياة فيه، بلداً آمناً، وكرر طلبه ذلك، في موطن آخر فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٦).

(٢) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٣) سورة الحج: الآية رقم (٧٨).

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴿١﴾ فأكد طلبه، وبالغ فيه، أن يجعل هذا البلد بلداً آمناً كاملاً في أمنه، معلوم الاتصاف بالأمن، مشهوراً به^(٢)، "وقدّم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده، لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا"^(٣)

فاستجاب الله ﷻ دعاءه، وجعل هذا الوادي بلداً آمناً، فتغير وجه الحياة بهذا الدعاء،

فتفجر ماء زمزم عند قدم إسماعيل عليه السلام كي تقرّ عين أمه، وهزت قبائل جرهم ركائبها تقصده وتؤمه، فاستأنست بهم هاجر، وكانت تقول: "لا أنيس"، فاستأذنت جرهم في البقاء واستوطنت، وحفظت حق الضعيفين في الماء فما اعتدت ولا بغت، وبدأت مسيرة الحياة، في البلد الحرام، تزدهر بالسكان والعمران، تحت ظلال الأمن والأمان، فأمنه من أن تناله عقوبة الله ﷻ، كما تنال سائر البلدان، وأمنه من كل جبار ومتسلط، حتى إنه لم يرده ظالم بسوء إلا قصمه الله ﷻ،^(٤).

٢. أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام:

وهذا مطلب آخر من مطالب إبراهيم عليه السلام، التي تضرع بها إلى ربه، فقد "سأل إبراهيم ربه، أن يرزقه اجتناب عبادة الطاغوت، في قوله تعالى: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٥)، والأصنام تدخل في الطاغوت دخولاً أولياً"^(٦)، فسأله أن يكون منها بعيداً هو وبنيه الذين من

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٢) انظر: محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، ط٢، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. ٢٥٤/٢،

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت. ١١٢/٣،

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٥/٢، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٥) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٥).

(٦) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٢٦٠/٥، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة.

صلبه، ولن كان مؤمناً من ذريته^(١)، ويبقى على إسلامه، ومن معه من بنيه، فاستجاب الله ﷻ، دعاءه، وحفظه وبنيه على الإسلام، كما قال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئِ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٣)، فبقية الحنيفية، وملة إبراهيم ﷺ، في ذريته: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٤)، وجعل الأنبياء عليهم السلام من ذريته: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥)، ونالت ذريته المؤمنة بركة دعائه لها ملكاً عظيماً، وفضلاً كبيراً، قال الله ﷻ: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٦) وقامت معالم التوحيد في البلد الحرام، وخرجت راياته تجوب العالم رافعة شعار الأنبياء: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٧).

لقد دعا إبراهيم ﷺ، بهذا الدعاء، لشدة خوفه على نفسه وبنيه، من عبادة غير الله ﷻ، وهو نوع من أنواع الأمن، الذي سأله للبلد الحرام، إذ سأل الأمن في الإيمان، بثباته ودوامه، وعدم التحول عنه، وهو الذي آتاه الله رشده من قبل النبوة، وأراه ملكوت السماوات والأرض، وبلغ من اليقين بالله مبلغاً عظيماً، وحطم الأصنام بيده تحطيماً، ثم هو يخشى على نفسه من عبادتها، قال إبراهيم التيمي رحمه الله: " من يأمن من البلاء بعد خليل الله إبراهيم ﷺ " ^(٧).

(١) انظر: تفسير البغوي المسمى؛ معالم التنزيل، ٤/٣٥٤، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٣٢).

(٣) سورة الزخرف: الآية رقم (٢٨).

(٤) سورة العنكبوت: الآية رقم (٢٧).

(٥) سورة النساء: الآية رقم (٥٤).

(٦) سورة النحل: الآية رقم (٣٦).

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٧/٤٤٧، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

و"ينبغي لكل داع، أن يدعو لنفسه، ولوالديه ولذريته"^(١)، بهذا الدعاء العظيم.

٣. أن يرزق أهله من الثمرات:

فبعد أن سأل الله ﷻ ، البلدية والأمن والأمان للبلد الحرام، وسلامته وبنيه من عبادة الأصنام، وتعظيم حوار البلد الحرام، بتوحيد الله ﷻ، وطاعته، سأل إبراهيم عليه السلام، رغد العيش، ورفاهيته، وجباية الثمرات للبلد الحرام، إذ هو وادٍ غير ذي زرع مثمر، وهو عرضة للقحط والجذب، فقال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُسَّرُ الْمَصِيرُ﴾^(٢) ، وقال في موطن آخر: ﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(٣)، سأل الله ﷻ ذلك لكي تتوفر أسباب الإقامة الإقامة في البلد الحرام، فلا تضطرهم الحاجة إلى سكنى بلد آخر؛ رجاء أن يكونوا دعاة لما بُنِيَتْ الكعبة لأجله من إقامة التوحيد، وخصال الحنيفية، وهي خصال الكمال^(٤) .

فاستجاب الله دعاءه، وجعل البلد الحرام: ﴿يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتٍ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقًا مِنْ لَدُنَّا﴾^(٥)

فأقبلت الأرزاق والثمار، تجي وتجمع للبلد الحرام، من كل الأمصار، سواء من قرى الجوار، أو من شاسع الأقطار، فشرّفه، "في وجود أصناف الثمار فيه، على كل ريف، وعلى أخصب البلاد، وأكثرها ثماراً ، وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب، ترى الأعجوبة التي يريها الله بواد غير ذي زرع ، وهي اجتماع البواكير، والفواكه المختلفة الأزمان، من الربيعية، والصيفية، والخريفية، في يوم واحد"^(٦)،

(١) تفسير القرآن العظيم، ٥١٣/٤، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٣) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٤) التحرير والتنوير، ٧١٦/١، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧ م، تونس.

(٥) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٦) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٢٨٨/٣، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ، بيروت.

ثم حتم إبراهيم عليه السلام، دعاءه بقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١)، أي: هذه النعم التي أحضرت لهم من كل مكان، فتكون عوناً لهم على طاعة الله وعليكم، وفي هذا "تنبيه العباد إلى أن تحصيل منافع الدنيا إنما هو ليستعان به على أداء العبادات وتحصيل الطاعات"^(٢).

٤. محبة المسلمين لذرية إبراهيم عليه السلام ساكني البلد الحرام:

لقد جاء إبراهيم عليه السلام بزوجه هاجر، وابنه الرضيع إسماعيل، إلى مكان ليس فيه سكن ولا أنيس، لذا سأل إبراهيم عليه السلام ربه، في دعائه أن يقصد الناس، من كل مكان، أهل هذا البلد الحرام، فتهفوا القلوب إليهم محبة وشوقاً، فقال الله وعليكم: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾^(٣)، فاستجاب الله وعليكم دعاءه، فقصدهم الناس بحبات قلوبهم، تسرع في القдом إليهم، كسرعة شيء هوى، وسقط على الأرض، فهي تنحط إليهم وتنحدر انحداراً، تنزع قلوب بعض خلقه إلى مساكن ذريته الذين أسكنهم بواد غير ذي زرع عند بيته المحرم، فهم يحبونهم ويحبون الموضع الذي هم ساكنون فيه، كما قال الله وعليكم: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾^(٤)، فهم يعودون إليه لا يقضون منه وطراً^(٥)، نقل ابن جرير - رحمه الله - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد وسعيد بن جبير، وغيرهم - رحمهم الله -: لو قال: أفئدة الناس لا زدحم عليه فارس والروم، واليهود والنصارى، والناس كلهم، ولكن قال: من الناس، فاخُتصَّ به المسلمون^(٦)، فما من مسلم مؤمن في مشارق الأرض ومغاربها يتوجه إلى البلد الحرام، كل يوم ببدنه في صلاته، إلا وتجد قلبه

(١) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ٩٤/٢، عبدالعزيز محمد السلطان، ط٦، ١٤١٨-١٩٩٧م.

(٣) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٥) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٩٥/١، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤٥٩/٧، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

يهفو إليه، وقد امتلأ بحبه، وتمنى زيارته إما لحجه وإما لسكناه فيه، وهو أمر صيره الله رَبِّكَ، في قلوب العباد ليس لأحد فيه صنوع، ببركة دعاء خليله الطيب، قال السعدي -رحمه الله-: "جعل فيه سرا عجيبا جاذبا للقلوب، فهي تحجه، ولا تقضي منه وطرا على الدوام، بل كلما أكثر العبد التردد إليه ازداد شوقه، وعظم ولعه وتوقه، وهذا سر إضافته تعالى إلى نفسه المقدسة"^(١)

وصدق القائل:

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حتى يعود إليها الطرف مشتاقا

٥. أن يبعث فيهم رسولا منهم:

اشترك خليل الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بعد أن فرغا من رفع القواعد من البيت بدعاء الله رَبِّكَ والتضرع إليه بأن يبعث لأهل هذا البلد الحرام رسولا، عددا صفاته فقالا: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢)، أي: يا ربنا ابعث في ذريتنا رسولا منهم يعرفوه حق المعرفة يتلوا عليهم آياتك لفظا وحفظا وتحفيظا، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الرديئة، التي لا تزكى النفوس معها، إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء، الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك، ابعث فيهم هذا الرسول^(٣).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص(٣٨١). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، بيروت.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٩).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص(٤٨) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، بيروت.

فاستجاب الله لهما، وقد أجاب الله دعاءها في بعث الرسول المذكور صفاته ببعثة نبينا محمد ﷺ قال الله ﷻ، ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١) فبعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون خلقه ونسبه، يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى صراط العزيز الحميد، بإذن الله ﷻ، قال ﷻ: "أنا دعوة إبراهيم، وكان آخر من بشر بي عيسى ابن مريم"^(٢).

٦. دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل البلد الحرام بالبركة:

فعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "أَنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَدَعَا لَهَا وَحَرَّمَتُ الْمَدِينَةَ كَمَا حَرَّمَ إِبْرَاهِيمُ مَكَّةَ وَدَعَوْتُ لَهَا فِي مُدَّهَا وَصَاعِهَا مِثْلَ مَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَكَّةَ"^(٣).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى إذ كنا بحجرة السقيا التي كانت لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال رسول الله ﷺ: "أَتَتُونِي بِوَضُوءٍ فَتَوَضَّأْتُ ثُمَّ قَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَبْدَكَ وَخَلِيلَكَ وَدَعَا لِأَهْلِ مَكَّةَ بِالْبَرَكَةِ وَأَنَا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ أَدْعُوكَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي مُدَّهِمْ وَصَاعِهِمْ مِثْلِي مَا بَارَكْتَ لِأَهْلِ مَكَّةَ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ"^(٤). ومعنى البركة في الكتاب والسنة: ثبوت الخير ودوامه، وكثرته، وزيادته^(٥).

وقد استجاب الله ﷻ لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام فبارك لأهل البلد الحرام، في أرزاقهم

(١) سورة الجمعة: الآية رقم (٢).

(٢) صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، بيروت. رقم (١٤٦٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب البيوع، باب بركة صاع النبي ﷺ ومده، رقم (٢١٢٩)، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: فضل المدينة ودعاء النبي ﷺ فيها بالبركة، رقم (١٣٦٠).

(٤) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في فضل المدينة، رقم (٣٩١٤)، وصححه الألباني.

(٥) انظر: التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر بن عبدالرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض. ص (٣٩).

كما قال ﷺ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١)

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللهُ: "الرطب والتمر من طيب ما خلق الله وأباحه لعباده فهو جل طعام أهل الحجاز وعمدة أقواتهم، وقد دعا إبراهيم عليه السلام لتمر مكة بالبركة، ودعا النبي ﷺ لتمر المدينة بمثل ما دعا به إبراهيم لمكة ومثله معه، فلا تزال البركة في تمرهم وثمارهم إلى قيام الساعة"^(٢).

ونقل النووي رَحِمَهُ اللهُ عن القاضي عياض رَحِمَهُ اللهُ في المراد بالبركة، فقال: "البركة هنا بمعنى النمو والزيادة، وتكون بمعنى الثبات واللزوم، قال: فقيل: يحتمل أن تكون هذه البركة دينية، وهي ما تتعلق بهذه المقادير من حقوق الله تعالى في الزكاة والكفارات، فتكون بمعنى الثبات والبقاء لها، كبقاء الحكم ببقاء الشريعة وثباتها، ويحتمل أن تكون دنيوية من تكثير الكيل والقدر بهذه الأكيال حتى يكفي معه ما لا يكفي من غيره في غير المدينة، أو ترجع البركة إلى التصرف بها في التجارة وأرباحها، وإلى كثرة ما يكال بها من غلاتها وثمارها، أو تكون الزيادة فيما يكال بها لاتساع عيشهم وكثرتهم بعد ضيقه لما فتح الله عليهم ووسع من فضله لهم، وملكهم من بلاد الخصب والريف بالشام والعراق ومصر وغيرها، حتى كثر الحمل إلى المدينة، واتسع عيشهم حتى صارت هذه البركة في الكيل نفسه، فزاد مدهم وصار هاشميا مثل مد النبي ﷺ مرتين أو مرة ونصفا، وفي هذا كله ظهور إجابة دعوته ﷺ وقبولها، هذا آخر كلام القاضي - قال النووي- والظاهر من هذا كله: أن البركة في نفس المكيال في المدينة، بحيث يكفي المد فيها لمن لا يكفي في غيرها، والله أعلم"^(٣).

والذي يظهر أن البركة التي دعا بها إبراهيم عليه السلام تشمل كل شيء، سواء كان موزوناً أو مكيلاً، لحديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال النبي ﷺ: "الْوَزْنُ وَزْنُ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمِكْيَالُ مِكْيَالُ

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٦).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٤٩٩/٩، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط١٤٢٣، ١٤٢، ٢٠٠٣م، الرياض، السعودية.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣٢/٥، الريان، مصر.

أهل المدينة^(١)، إذ أن مكة ليست بلداً للزراعة، بل هي وادٌ غير ذي زرع، وأهلها يعملون في التجارة منذ القدم في رحلة الشتاء والصيف، ويفد إليها الحجاج والزوار في كل عام، ومن كل مكان فتعاملها التجاري بالأوزان والأثمان، بخلاف المدينة فهي بلاد النخل والزرع.

قال أبو جعفر الطحاوي رحمته الله: "فتأملنا هذا الحديث - حديث عبدالله بن عمر - فوجدنا مكة لم يكن بها ثمرة ولا زرع حينئذ، وكذلك كانت قبل ذلك الزمان، ألا ترى إلى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾^(٢)، وإنما كانت بلد متجر يوافي الحاج إليه بالتجارات فيبيعونها هناك بالأثمان التي تباع بها التجارات، وكانت المدينة بخلاف ذلك؛ لأنها دار النخل ومن ثمارها حياتهم، وكانت الصدقات تدخلها فيكون الواجب فيها من الصدقة يؤخذ كيلاً، فجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأمصار كلها لهذين المصرين أتباعاً"^(٣) وقال رحمته الله: "وكانت المدينة دار الثمار لا ما سواها، فقصد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدعاء لأهل تلك الثمار بالبركة فيما يعتبرون ثمارهم، وفيما يبيعونها به، وفيما يقضون دينهم منها به، وفيما يعولون به من يعولونه، ولم تكن دار ما يستعمل فيه سوى المكاييل من الموازين، فيحتاجوا إلى الدعاء لهم بالبركة في موازينهم كما احتاج إلى الدعاء لهم بالبركة في مكاييلهم والله صلى الله عليه وآله وسلم نسأله التوفيق بمنه وكرمه"^(٤).

(١) رواه أبو داود، كتاب البيوع، باب: في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "المكيال مكيال المدينة". رقم (٣٣٤٠). وصححه الألباني.

(٢) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٣) مشكل الآثار، ٦٩/٢، أبو جعفر الطحاوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بيروت، لبنان.

(٤) المرجع السابق، نفس الصفحة: ٦٩/٢.

• حج موسى ويونس عليهما السلام

وبمضي ركب الأنبياء عليهم السلام، يؤم البلد الحرام، فوجًا إثر فوج، يسلكون الطرق الفجاج، ويقطعون الصحاري والغفار، رافعين أصواتهم بالتلبية لله عز وجل ومعظمين البلد الحرام، بأداء المناسك فيه فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَرَّ بِوَادِي الْأَزْرَقِ (١) فَقَالَ أَيُّ وَادٍ هَذَا فَقَالُوا هَذَا وَادِي الْأَزْرَقِ قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَابِطًا مِنَ الثَّنِيَّةِ وَلَهُ جُؤَارٌ (٢) إِلَى اللَّهِ بِالتَّلْبِيَةِ ثُمَّ أَتَى عَلَى ثَنِيَّةٍ هَرَشَى (٣) فَقَالَ أَيُّ ثَنِيَّةٍ هَذِهِ قَالُوا ثَنِيَّةُ هَرَشَى قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ جَعْدَةَ (٤) عَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ خِطَامٌ نَاقَتِهِ حُلْبَةٌ (٥) وَهُوَ يُلَيِّ (٦)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي هَذَا الْوَادِي مُحْرَمًا بَيْنَ قَطَاوَيْتَيْنِ (٧) (٨)".

(١) واد بالحجاز. معجم البلدان (١/١٦٨)، ويعرف الآن بالنغر جنوب الدف، وهو بين الدف وعسفان. انظر معجم معالم الحجاز (١/٩٠).

(٢) رفع الصوت والاستغاثة، جأر يجأر. النهاية مادة (جأر).

(٣) هرشي: بالفتح ثم السكون وشين معجمة بعدها ألف مقصورة، وهي ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة يُرى منها البحر. انظر: معجم البلدان (٥/٣٩٧). وهي على (١٨) كيلا من رابغ. انظر: معجم معالم الحجاز (٥/١٦٩-١٧١).

(٤) مجتمعة الخلق شديدة. النهاية مادة (جعد).

(٥) هو: الليف بضم الخاء المعجمة وبسكون اللام وضمها. انظر لسان العرب مادة (خلب).

(٦) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (١٦٦).

(٧) ثنية: قطاوية، وهي عباءة بيضاء قصيرة. انظر سبل الهدى والرشاد ١/٢٤٤.

(٨) رواه أبو يعلى، مسند عبد الله بن مسعود، رقم (٥٠٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١١٣٠)، وقال في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٢٣): "وجملة القول أن الحديث بهذا الشاهد - حديث ابن عباس القادم - يرتقي لدرجة الحسن والله أعلم".

وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: "صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ، مِنْهُمْ مُوسَى ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ عِبَاءُ تَانِ قَطْرَانِيَّتَانِ ، وَهُوَ مُحْرِمٌ عَلَى بَعِيرٍ مِنْ إِبِلِ شَنْوَةَ ، مَخْطُومٌ بِحِطَامٍ لَيْفٍ لَهُ ضِفِيرَتَانِ"^(١)

وعن مجاهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: "حج موسى ﷺ على جبل أحمر فمر بالروحاء عليه عباءتان قطوانيتان مؤتزرا بإحدهما مرتديا بالأخرى، فطاف بالبيت ثم طاف بين الصفا والمروة إذ سمع صوتا من السماء وهو يقول: لبيك عبدي وأنا معك، فخر موسى ساجدا"^(٢).

وعنه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: "حج البيت سبعون نبيا فيهم موسى ﷺ عليه عباءتان قطوانيتان، وفيهم يونس يقول: لبيك كاشف الكرب"^(٣).

• حج نبي الله عيسى بن مريم ﷺ، للبلد الحرام:

ينزل عيسى بن مريم ﷺ في آخر الزمان، قبل قيام الساعة كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، قال ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجُزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا"^(٤).

"وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ﷺ قبل يوم

القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا"^(٥).

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم (٥٥٦٥). وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم (٢٠٢٣).

(٢) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٩٣/١، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٣) رواه الإمام أحمد في كتاب الزهد رقم (١٨٢).

(٤) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، رقم (٣٤٤٨).

(٥) تفسير القرآن العظيم، ٢٣٦/٧، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

وأول عمل يعمل به بعد نزوله ﷺ، الصلاة نحو المسجد الحرام، قبلة الأنبياء عليهم السلام.

فقد نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي أُسَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَسْنَدِهِ: عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " يَنْزِلُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ : تَعَالَ صَلِّ بِنَا ، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَهُمْ أَمِيرٌ بَعْضٍ ، تَكْرِمَةً لِلَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةِ " (١)

فيصلي مع المسلمين، ويجاهد في سبيل الله ﷻ ويحج البيت الحرام.

قال النبي ﷺ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَهْلَنَ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيُنَيِّنُهُمَا" (٢) ، فيهل ﷺ، بحج أو عمرة أو بالحج والعمرة إما قارناً، أو متمتعاً.



(١) المنار المنيف في الصحيح والضعيف، الإمام ابن القيم الجوزية، ت: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار العاصمة، ط١،

١٤١٦هـ-١٩٩٦م. ص (٩٤). قال ابن القيم: "وهذا إسناد جيد".

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج: باب إهلال النبي ﷺ وهدية، رقم (١٢٥٢).

المطلب الثاني:

تعظيم نبينا محمد ﷺ للبلد الحرام

توطئة:

هنا يضع القارئ عصا تنقلاته وترحاله، حيث يجد بلغته، ويدرك حاجته، فاستيفاء حق تعظيم البلد الحرام وقف عنده، وانتهى إليه، وهو القدوة في التعظيم وأساسه، فهو إمام المعظمين، وخير من أدى حقوق البلد الحرام، قلب وجهه في السماء، فولاه الله ﷻ القبلة التي كان يحبها ويرضاها، وأخرج من أحب البلاد إلى قلبه، فحادثها حديث المحبين، ومنع يوم الحديبية وقد لبي مع الملبيين، فجاءته البشرية بالفتح المبين، فاستنقذ البلد الحرام من أيدي المشركين، وأضحى منارة هدى للعالمين، وسار أمر تعظيمه للبلد الحرام شائع في الناس، وخبره مشتهر ومنتشر، ﷺ.

ويمكننا أن نجمل صور تعظيم النبي ﷺ، للبلد الحرام في عدة نقاط:

• النقطة الأولى: إخباره بأنها أحب البلاد إلى الله ﷻ وإليه، ورغبته في البقاء بها:

ذكر أهل السير أحاديثاً وأخباراً، كثيرة في حب النبي ﷺ وشوقه للبلد الحرام، لا تخلوا من ضعف ومقال، وقد اكتفيت بما صح منها، فبها يقوم المقصد، ويغني عن الجمع والسر.

ولقد مرَّ بنا أن البلد الحرام أحب البلاد إلى الله ﷻ، كما في حديث عبدالله بن عدي بن حمراء الزهري ﷺ، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ^(١) فَقَالَ: "وَاللَّهِ إِنَّكَ لَحَيْرٌ أَرْضِ اللَّهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكَ مَا خَرَجْتُ"^(٢)، وهي كذلك أحب البلاد، إلى نبينا محمد ﷺ فهو يحب ما يحبه ربه، وقد خاطب رسول الله ﷺ البلد

(١) الحزورة: بالفتح ثم السكون، وفتح الواو، وراء، وهاء؛ وهو في اللغة الراية الصغيرة. معجم البلدان للحموي (٢/٢٥٥).

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: فضل مكة، رقم (٣٩٢٥)، وصححه الألباني.

الحرام، خطاب مودّع فقال: "ما أطيبك من بلدٍ وأحبك إليّ ولولا أنّ قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك" (١).

فما أروعه من خطاب محب، يخاطب به بلده، التي أحبها، بخطاب الأحياء، كأنها كائن حي يعي ويسمع كلامه، ويلمس شوقه، ويتألم لحزن بعده، ووجدته، بسبب قومه، فخروجه منها ليس خروج زهد وإعراض عنها، بل خروج مكره يقسم بربه، لولا إخراجهم له ما خرج منها.

قال ملا قاري - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في مخاطبة النبي ﷺ لمكة: "يدل على فهمها وسماعها" (٢).

فكانت نفسه تشناق لمسقط رأسه، وبلدة ميلاده، وحببية فؤاده، فبشره الله ﷻ بالرجوع إليها، فازداد يقينه، وعظم حنينه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (٣)، قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - "إلى مكة" (٤).

وحبه للبلد الحرام باقٍ لم يتغير حتى بعد هجرته ﷺ فعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: قدمنا المدينة وهي وبيئة^(٥) فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: "اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدَّهَا وَحَوِّلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ" (٦).

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: فضل مكة، رقم (٣٩٢٦)، وصححه الألباني.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٨٦٧/٥. أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، بيروت، لبنان. رقم (٢٧٢٤).

(٣) سورة القصص: الآية رقم (٨٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة القصص، باب: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾، رقم (٤٧٧٣).

(٥) قال محمد فؤاد عبد الباقي معلقاً على الحديث: "يعني ذات وباء وهو الموت الذريع هذا أصله ويطلق أيضاً على الأرض الوخمة التي تكثر بها الأمراض لا سيما للغرباء الذين ليسوا مستوطنينها (وَحَوِّلْ حُمَاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ) قال الخطابي وغيره: كان ساكنوا الجحفة في ذلك الوقت يهودا قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث علم من أعلام نبوة نبينا ﷺ فإن الجحفة من يومئذ مجتنبه ولا يشرب أحد من مائها إلا حم" صحيح مسلم ١٠٠٢/٢.

(٦) رواه مسلم، كتاب الحج، باب: الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها، رقم (١٣٧٥).

● النقطة الثانية: إجابة المشركين على أمر يعظّمون به حرمة البلد الحرام:

لقد عظم النبي ﷺ البلد الحرام، يوم طلب المشركون شروطاً في صلح الحديبية، يعظّمون فيها حرمة البلد الحرام، فوافقهم على ذلك.

ذكر أهل الحديث والسير، مسير النبي ﷺ، زمن الحديبية، إلى البلد الحرام، ملياً بالعمرة، هو وأصحابه ﷺ، سائقين الهدى المقلّدة، ويسوقهم الشوق إلى الكعبة المشرفة، تحت السير رواكبهم، وتهز بإسراعها مناكبهم، وتموج في الوديان والغفار مواكبهم، فمقصدهم البيت الأمين ودليلهم خير الخلق أجمعين، مع عباد الله الصالحين والمحسنين، فهم أظهر نفوس أحرمت، وأزكى قلوب لبّت، وأعذب شفاه كبرت وهلّلت، "حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّيْبَةِ الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهَا مِنْهَا بَرَكَةٌ بِهِ رَاحَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ: حَلَّ حَلٌّ^(١)، فَأَلْحَتْ^(٢) فَقَالُوا: خَلَّاتُ^(٣) الْقَصَوَاءُ، خَلَّاتُ الْقَصَوَاءُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا خَلَّاتُ الْقَصَوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أُعْطِيَتْهُمْ إِيَّاهَا، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ قَالَ: فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ"^(٤). فياله من موقف تجلّى فيه تعظيم النبي ﷺ لهذا البلد الحرام.

وفزعت قريش من مقدمه، وتواثبت على سلاحها، وأخذتهم الحمية الجاهلية، فأرسل رسول الله ﷺ، عثمان بن عفان ﷺ، لقريش ليخبرهم بأنه لم يأت لقتال، وإنما جاء معتمراً قاصداً البيت، ومعظماً له، فانطلق ﷺ، حيث أمره رسول الله ﷺ. وتذاكر المسلمون قدوم عثمان ﷺ، على البيت الحرام، وقضاء وطره، ونهمه منه، واشتفاء قلبه بالطواف به، وكأثم به وهو يطوف حول البيت، يقبل الحجر، ويستلم الركن، وهم قد حصروا عنه، وهم أحق به وأهله، ولم يبق بينهم وبين البيت، إلا أن يأذن غاصبوه، فقال المسلمون وهم بالحديبية قبل أن

(١) كلمة تقال للناقة إذا تركت السير. فتح الباري لابن حجر ٨ / ٢٨٣

(٢) من الإلحاح والتمادي على عدم الانقياد. فتح الباري لابن حجر ٨ / ٢٨٣

(٣) حرنت وبركت. انظر فتح الباري لابن حجر ١ / ١١٠

(٤) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١).

يرجع عثمان بن عفان رضي الله عنه: "خَلَصَ عُثْمَانُ مِنْ بَيْنِنَا إِلَى الْبَيْتِ فَطَافَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "مَا أَظْنُهُ طَافَ بِالْبَيْتِ وَخَنُ مَحْضُورُونَ" قَالُوا: وَمَا يَمْنَعُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ خَلَصَ، قَالَ: "ذَلِكَ ظَنِّي بِهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ حَتَّى يَطُوفَ مَعَنَا". فَرَجَعَ إِلَيْهِمْ عُثْمَانُ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: اشْتَقَيْتَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ؟ فَقَالَ عُثْمَانُ: بئسَ مَا ظَنَنْتُمْ بِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ مَكَثْتُ بِهَا مُقِيمًا سَنَةً، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُقِيمٌ بِالْحُدَيْبِيَّةِ مَا طُفْتُ بِهَا حَتَّى يَطُوفَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَقَدْ دَعَنِي قُرَيْشٌ إِلَى الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ فَأَبَيْتُ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ أَعْلَمَنَا بِاللَّهِ وَأَحْسَنَنَا ظَنًّا"^(١)، و عند ابن أبي شيبة: "فقال الناس: هنيئا لأبي عبد الله يطوف بالبيت آمنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْ مَكَثَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً مَا طَافَ حَتَّى أَطُوفَ"^(٢).

وجاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءِ الْخَزَاعِيِّ، فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خِزَاعَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْحُدَيْبِيَّةِ وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحٍ^(٣) لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ فَقَالَ: "إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَّةِ وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مُقَاتِلُونَكَ وَصَادُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّنَا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ"^(٤)، وأبلغ بديل ومن معه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش فقالوا: "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّكُمْ تَعَجَلُونَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ وَإِنَّ مُحَمَّدًا لَمْ يَأْتِ لِقِتَالِ إِمَّا جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ مُعْظَمًا لِحَقِّهِ فَاتَّهَمُوهُمْ"^(٥)، وأصروا، على منعه، وأخذتهم حمية الجاهلية، واستكبروا استكبارا.

ولم يترك نبينا صلى الله عليه وسلم، سبيلاً للوصول إلى البلد الحرام، يكون فيه تعظيماً للحرمات، إلا سلكه، ومن ذلك بعث الهدي، قائمة على أقدامها، مدوية برغائها، وهديرها وحينها، مشعرة

(١) دلائل النبوة للبيهقي، باب: إرسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى مكة حين نزل بالحديبية، ودعائه أصحابه إلى البيعة. ١٣٣/٤.

(٢) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الفضائل، ما ذكر في فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم (٣٢٠٣٧).

(٣) عيبة نصح: ما توضع فيه الثياب لحفظها، أي أنهم موضع النصح له والأمانة على سره.

(٤) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند الكوفيين، حديث المسور بن مخزوم الزهري ومروان بن الحكم، رقم (١٩١٣٦).

بدمائها، ومزينة بقلائدها، المعظمة في كل زمان ومكان، وهي أشرف أنواع الهدايا للبلد الحرام، وهي دين ورثوه عن آبائهم، وبقية من إرث أبيهم إبراهيم ﷺ، لعلها تُلين هذه القلوب القاسية، وتزحج هذه الجبال الراسية، فتأذن للمعظمين للبلد الحرام، أصحاب القلوب العطشى، والأكباد الحرى، أن تقضي نهمها، من بيت ربها، ولعل أصوات الملبين من حناجر المحرّمين، توقظ قريشاً من نومها، وتعود إلى رشدها، فتأذن للجموع الموقوفة، أصحاب الهدى المعكوفة، أن تشفي غليلها بأداء نسكها وتعظيمها.

لما قَدِمَ "الحِلسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الْكِنَانِيَّ وَهُوَ يَوْمئِذٍ سَيِّدُ الْأَحَابِشِ فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَهُونَ فَابْعَثُوا الْهُدْيَ فِي وَجْهِهِ فَبَعَثُوا الْهُدْيَ فَلَمَّا رَأَى الْهُدْيَ يَسِيلُ عَلَيْهِ مِنْ عَرْضِ الْوَادِي فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحَلِّهِ رَجَعَ وَمَ يَصِلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِعْظَامًا لِمَا رَأَى فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قَدْ رَأَيْتُمْ مَا لَا يَحِلُّ صَدُّهُ، الْهُدْيَ فِي قَلَائِدِهِ قَدْ أَكَلَ أَوْتَارَهُ مِنْ طُولِ الْحَبْسِ عَنْ مَحَلِّهِ! فَقَالُوا اجْلِسْ إِنَّمَا أَنْتَ أَعْرَابِيٌّ لَا عِلْمَ لَكَ" (١).

وعند البخاري - رَحِمَهُ اللهُ - فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ دَعُونِي آتِيهِ فَقَالُوا آتِيهِ فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذَا فُلَانٌ وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظَمُونَ الْبُذْنَ فَابْعَثُوهَا لَهُ فَبَعَثَتْ لَهُ وَاسْتَقْبَلَهُ النَّاسُ يُلْبُونَ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ مَا يَنْبَغِي لَهُؤُلَاءِ أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ قَالَ رَأَيْتُمْ الْبُذْنَ قَدْ قُلِدَتْ وَأَشْعِرَتْ فَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنْ الْبَيْتِ" (٢).

وعن أياس بن سلمة عن أبيه ﷺ قال : بعثت قريش سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى النبي ﷺ ليصالحوه ، فلما رأهم رسول الله ﷺ فيهم سهيل، قال: "قَدْ سَهَّلَ مِنْ أَمْرِكُمْ ، الْقَوْمُ يَأْتُونَ إِلَيْكُمْ بِأَرْحَامِهِمْ وَسَائِلُوكُمْ الصُّلْحَ ، فَابْعَثُوا الْهُدْيَ وَأَظْهِرُوا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند الكوفيين، حديث المسور بن مخزومة الزهري ومروان بن الحكم، رقم (١٩١١٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١).

بِالتَّلْبِيَةِ ، لَعَلَّ ذَلِكَ يُدَلِّئُ قُلُوبَهُمْ " ، فَلَبَّوْا مِنْ نَوَاحِي الْعَسْكَرِ حَتَّى ارْتَبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالتَّلْبِيَةِ ، قَالَ: فَجَاءُوهُ فَسَأَلُوا الصُّلْحَ"^(١).

ولقد قست قلوب المشركين، فما رعوا حرمة الأشهر الحرم، إذ كان صلح الحديبية في شهر ذي القعدة، ولا أقاموا حقاً لقاصدي البيت الحرام من المؤمنين الملبين، وامتنع النبي ﷺ عن قتالهم تعظيماً للبيت الحرام، وتعظيماً للأشهر الحرم، ولو شاء الله ﷻ، لسلط رسوله ﷺ، وعباده المؤمنين عليهم، فقتلوهم وأبادوا حضراءهم، ولكن لحكمة الله ﷻ، في تأخير ذلك، إذ كان لا يزال بين أظهر المشركين في البلد الحرام، من المؤمنين ممن يكتم إيمانه ويخفيه، خيفة على أنفسه من قومه، فرموا قتلهم المسلمون، فيصيبهم معرة الإثم، بقتلهم إياهم، فأخر الله ﷻ، عقوبة المشركين، حتى يخلص المؤمنون من بين أظهرهم، ويرجع كثير منهم إلى الإسلام بعد كفرهم^(٢). قال الله ﷻ: ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُضَيِّبُكُم مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بغيرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٣)، فيأله من تعبير للمشركين "بالمذمة التي أتوا بها، وهي صد المسلمين عن المسجد الحرام، وصد الهدى أن يبلغ به إلى أهله، فإنها سببة لهم بين العرب، وهم أولى الناس بالحفاوة بمن يعتمرون، وهم يزعمون أنهم أهل حرم الله، زواره ومعظميه، وقد كان من عادتهم، قبول كل زائر للكعبة، من جميع أهل الأديان، فلا عذر لهم، في منع المسلمين، ولكنهم حملتهم عليه الحمية"^(٤). ولم يلبثوا، حتى أحاق الله ﷻ، المكر السيء بأهله، والله الأمر من قبل ومن بعد.

ثم إن نبينا ﷺ، جلس مجلس الصلح مع المشركين لكتابة العقد، والصحابة رضي الله عنهم حولته بين قائم على رأس رسول الله ﷺ حافظاً له بسيفه، وبين جالسٍ مصغٍ بإذنه لقوله. فأمر ﷺ

(١) مصنف ابن أبي شيبة، كتاب المغازي، غزوة الحديبية، رقم (٣٦٨٤٠).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ٤٣٣/٧، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) سورة الفتح: الآية رقم (٢٥).

(٤) التحرير والتنوير، ٤٨٢/١٣، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

الكاتب أن يكتب: "عَلَى أَنْ تُخْلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَتَطُوفَ بِهِ، فَقَالَ: سُهَيْلٌ وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أُخِذْنَا ضِعْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ"^(١).

فصالحهم النبي ﷺ، قال البراء بن عازب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - "صَالَحَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى أَنْ مَنْ أَتَاهُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَتَاهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَرُدُّوهُ، وَعَلَى أَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ قَابِلٍ وَيُقِيمَ بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَلَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِالْجُبَّانِ^(٢) السَّلَاحِ؛ السَّيْفِ وَالْقَوْسِ وَخَوْدِهِ، فَجَاءَ أَبُو جَنْدَلٍ يَحْجُلُ^(٣) فِي قُبُودِهِ فَرَدَّهُ إِلَيْهِمْ"^(٤) تعظيماً منه ﷺ لحرمة البيت الحرام، وبراً بقسمه يوم قال: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعْظَمُونَ فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا"^(٥).

قال ابن بطال - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : "فكان مما سألوه أن يعظم به أهل الحرم؛ أن يرد إليهم من خرج عنهم ومن حرمهم مسلماً أو غيره، وألا يردوا ولا يخرجوا من الحرم من فر إليه من المسلمين، وكان هذا من إجلال حرمة الحرم، فلهذا عاقدتهم على ذلك مع يقين ما وعده الله تعالى أنه ستفتح عليه مكة ويدخلها"^(٦).

فلما فرغ نبينا ﷺ من كتابة عقد الصلح، ووفى به، تعظيماً لحرمة الله، والبلد الحرام، فقال ﷺ لأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : " فُؤِمُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ اخْلِفُوا قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمَّا لَمْ يُقَمِّ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَيَّ أُمَّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَّ مِنَ النَّاسِ فَقَالَتْ أُمَّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَتُحِبُّ ذَلِكَ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمَ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ

(١) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣٢).

(٢) الجلبان: يشبه الجراب من الأدم يضع فيه الراكب سيفه مغموداً ويضع فيه سوطه وأدائه ويعلقها في آخرة الرجل أو واسطته اهـ. وإنما اشتروا ذلك ليكون أمانة للسلم لئلا يظن أنهم دخلوها قهراً.

(٣) أي يمشي مثل الحَجَلَة - الطير المعروف - يرفع رجلا ويضع أخرى، وقيل: هو كناية عن تقارب الخطأ.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلح، باب: الصلح مع المشركين، رقم (٢٧٠٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١).

(٦) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٨ / ٩٣، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط٢٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الرياض، السعودية.

وَتَدْعُو حَالِقَكَ فَيَحْلِقُكَ فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ نَحْرَ بُدْنَةَ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَخْلِقُ بَعْضًا حَتَّىٰ كَادَ بَعْضُهُمْ يَمْتُلُ بَعْضًا غَمًّا^(١).

إن الفجيعة التي فجعوا بها، أرسلت جيش الغم، ليأسر الأبدان، ويصم الآذان، فهول الأمر جعل القوى مهدودة، وطرق الوصول للبلد الحرام مسدودة، فلا تسل عن قلوب تصدعت، وأدمع جرت، فذهول الموقف، وصدمت القرار، وانقطاع الأمل بعد قرب وصوله، وعود الأمنية في بدايات تحققها، أوقعهم في السعي في التأخير، وهو "من السعي المغفور لا المشكور وقد رضي الله عنهم وغفر لهم وأوجب لهم الجنة"^(٢)

قال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(٣)، ثم إن في هذا الموقف السابقة، درساً للأمة المعظمة لحرمات الله ﷻ، "أن المشركين، وأهل البدع والفجور، والبغاة والظلمة، إذا طلبوا أمراً، يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى، أجيوا إليه وأعطوه، وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى، لا على كفرهم وبغيهم، ويمنعون مما سوى ذلك، فكل من التمس المعاونة، على محبوب لله تعالى مرض له، أوجب إلى ذلك، كائناً من كان، ما لم يترتب على إعانته، على ذلك المحبوب مبعوض لله أعظم منه، وهذا من أدق المواضع، وأصعبها، وأشقها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق، وقال عمر رضي الله عنه ما قال، حتى عمل له أعمالاً بعده، والصديق تلقاه بالرضى والتسليم، حتى كان قلبه فيه، على قلب رسول الله ﷺ، وأجاب عمر عما سأل عنه من ذلك، بعين جواب رسول الله ﷺ"^(٤)،

(١) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣ / ٣٠٧، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م بيروت.

(٣) سورة الفتح: الآية رقم (١٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣ / ٣٠٣، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م بيروت.

فرضي النبي ﷺ، بشروط صلح الحديبية، التي ظاهرها الوهن على المسلمين؛ لسبب حبس الله ﷻ ناقه رسول الله ﷺ عن البلد الحرام حين توجه إليه فبركت به، وكانت إذا حُوِّلت عن البلد الحرام، قامت ومشت، وإذا حرفت إليه بركت، وكذلك كان حال الفيل، ففهمها رسول الله ﷺ من ربه، ولم يتعرض لدخوله البلد الحرام، وقبل مصالحة المشركين، وحبس جيشه عن انتهاك حرمت الحرم وأهله^(١).

• النقطة الثالثة: صلاة النبي ﷺ في الحرم زمن صلح الحديبية:

فقد جاء عند أحمد رحمه الله من حديث المسور بن مخرمة ومروان ﷺ قالوا: "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي الْحَرَمِ وَهُوَ مُضْطَرِبٌ فِي الْحِلِّ"^(٢).

وذلك أن النبي ﷺ بعدما حُجست ناقته، عدل ذات اليمين إلى الحديبية، وهي من الحل بالاتفاق وقد قال الشافعي رحمه الله: بعضها من الحل وبعضها من الحرم، قال ابن القيم رحمه الله: ومراده أن أطرافها من الحرم وإلا فهي من الحل باتفاقهم^(٣).

وفي هذا دلالة على أن مضاعفة الصلاة بالبلد الحرام تتعلق بجميع الحرم لا يخص بها المسجد الذي هو مكان الطواف، وهو قول جمهور العلماء كما تقدم^(٤) وأن من نزل قريباً، من البلد الحرام، فإنه ينبغي له أن ينزل في الحل، ويصلي في الحرم^(٥).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩٢/٨، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الرياض، السعودية.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند الكوفيين، حديث المسور بن مخرمة الزهري ومروان بن الحكم، رقم (١٩١١٧).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٣٨٠، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

(٤) انظر المطلب الخامس من المبحث الأول من الفصل الأول

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٣٠٣، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

قال مجاهد رحمه الله: رأيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بعرفة، ومنزله في الحل، ومصلاه في الحرم، فقيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: "لأن العمل فيه أفضل، والخطيئة أعظم فيه"^(١).

● النقطة الرابعة: دخول النبي ﷺ البلد الحرام بسلاح الراكب في عمرة القضية :

كان من شرط المشركين على النبي ﷺ، في صلح الحديبية أن يرجع من عامه، ويعتمر العام القادم، قال سهيل بن عمرو: "وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أُخِذْنَا ضِعْطَةً، وَلَكِنْ ذَلِكَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ"^(٢)، "وَأَنَّكَ تَرْجِعُ عَنَّا عَامَنَا هَذَا فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكَّةَ وَأَنْتَ إِذَا كَانَ عَامٌ قَابِلٍ خَرَجْنَا عَنْكَ فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحَابِكَ وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ لَا تَدْخُلُهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ فِي الْقُرْبِ"^(٣).

فخرج رسول الله ﷺ من العام المقبل معتمراً في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام، وسار رسول الله ﷺ ملبياً، والمسلمون يلبون، ومضى محمد بن مسلمة بالخييل إلى مر الظهران، فوجد بها نفراً من قريش فسألوا محمد بن مسلمة فقال هذا رسول الله ﷺ يصبح هذا المنزل غدا إن شاء الله . فرأوا سلاحاً كثيراً مع بشير بن سعد فخرجوا سراعاً حتى أتوا قريشاً فأخبروهم بالذي رأوا من الخييل والسلاح، ففزعت قريش فقالوا : والله ما أحدثنا حدثاً، ونحن على كتابنا ومدتنا، فميم يغزوننا محمد في أصحابه؟ ونزل رسول الله ﷺ مر الظهران ، وقدم رسول الله ﷺ السلاح إلى بطن يَأْجُج^(٤) حيث ينظر إلى أنصاب الحرم. وبعثت قريش مكرز بن حفص بن الأحنف في نفر من قريش حتى لقوه ببطن يَأْجُج ، ورسول الله ﷺ في أصحابه، والهدي والسلاح قد تلاحقوا ، فقالوا : يا محمد والله ما عُرِفْتَ صغيراً ولا كبيراً بالغدر، تدخل بالسلاح الحرم على قومك؟، وقد شرطت ألا تدخل إلا

(١) مصنف عبدالرزاق ٥ / ٢٨

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند الكوفيين، حديث المسور بن مخزومة الزهري ومروان بن الحكم، رقم (١٩١١٧).

(٤) من بطون الأودية التي حول الحرم. مرقاة المفاتيح ٦ / ٢٥٥٧

بسلاح المسافر السيوف في القرب. فقال رسول الله ﷺ: لا ندخلها إلا كذلك، ثم رجع مكرز سريعا بأصحابه إلى مكة فقال: إن محمداً لا يدخل بسلاح، وهو على الشرط الذي شرط لكم. فلما جاء مكرز بخبر النبي ﷺ خرجت قريش من مكة إلى رءوس الجبال وخلوا مكة، وقالوا: لا ننظر إليه ولا إلى أصحابه. وأمر رسول الله ﷺ بالهدي أمامه حتى حُبس بذي طوى. وخرج رسول الله ﷺ على راحلته القصواء، وأصحابه محدقون به متوشحوا السيوف يلبون، فلما انتهى إلى ذي طوى، وقف رسول الله ﷺ على راحلته القصواء والمسلمون حوله ثم دخل من الثنية التي تطلعه على الحجون على راحلته القصواء ودخل المسجد الحرام وقضى نسكه، وحلق ونحر، ولم يدخل رسول الله ﷺ الكعبة، قد أرسل إليهم يطلب دخول الكعبة فأبوا وقالوا: لم يكن في شرطك.!

فلما كان عند الظهر يوم الرابع أتى سهيل بن عمرو، وحويطب بن عبد العزى، ورسول الله ﷺ في مجلس من مجالس الأنصار يتحدث معه سعد بن عبادة فقال: قد انقضى أجلك، فآخرج عنا. فقال النبي ﷺ وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم، فصنعت لكم طعاما؟ فقالوا: لا حاجة لنا في طعامك، آخرج عنا ننشدك الله يا محمد، والعهد الذي بيننا وبينك، إلا خرجت من أرضنا، فهذه الثلاث قد مضت، فغضب سعد بن عبادة ﷺ لما رأى من غلظة كلامهم للنبي ﷺ فقال لسهيل: كذبت لا أم لك، ليست بأرضك، ولا أرض أبيك، والله لا يبرح منها إلا طائعا راضيا، فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: يا سعد لا تؤذ قوما زارونا في رحالنا.

قال وأسكت الرجلان عن سعد. ثم أمر رسول الله ﷺ أبا رافع بالرحيل وقال لا يمسين بها أحد من المسلمين وركب رسول الله ﷺ حتى نزل سرف، فبنى بميمونة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ثم أَدْلَج وسار حتى قدم المدينة^(١)

(١) انظر: المغازي، ٢ / ٧٣٩، محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله، الواقدي، ت: مارسدن جونس، دار

الأعلمي، ط٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، بيروت.

لقد وفي النبي ﷺ، لقريش عهدهم، وأتم لهم شروطهم، تحقيقاً منه لتعظيم حرمان الله ﷻ، فلم يمنعه بغضه لهم، وعدد أصحابه، وعدتهم، من أن يفى بشروط ما قبل بها إلا لتعظيم الحرمات، فحري بكل مسلم أن يفى بالعهود والعقود، مع الناس مسلمهم وكافرهم، ولا سيما بعهد أخذ بين جنبات البلد الحرام، لحقن دماء المسلمين، ورأب صدع وحدتهم، في مشارق الأرض ومغاربها.

● النقطة الخامسة: دخول النبي ﷺ البلد الحرام متواضعاً عام الفتح :

في يوم النصر العظيم، والفتح المبين، يدخل البلد الحرام، محفوفاً بالصحابة، ومجلاً بالمهابة، فقد ذاع صيته بين الأمم، ونصر بالرعب، فتسابقت الفتوح على يده، وتزاحمت الوفود لقصده، دخل رسول الله ﷺ، وعليه عمامة سوداء بغير إحرام^(١)، وهو واضع رأسه تواضعاً وانكساراً لله ﷻ، حين رأى ما أكرمه به من الفتح، حتى إن ذقنه ليكاد يمس واسطة الرحل، دخلها خاشعاً متواضعاً، لا فاتحاً متكبراً، دخل وهو يقرأ سورة الفتح يُرَجِّعُ بِهَا^(٢)، مستشعراً بنعمة الفتح وغفران الذنوب، وكان ذلك صباح يوم الجمعة لعشرين ليلة خلت من رمضان، سنة ثمانٍ من الهجرة^(٣)، ولبس في دخوله ثوب التواضع لله ﷻ، المتفضل بالنصر والتمكين، الذي أحل له البلد الحرام ساعة من نهار، فدخلها في وقت حله، بتواضعه لا بسيفه، ودخلها ﷻ دخول العبيد الشاكرين، لله رب العالمين، ولم يدخلها دخول الملوك الجبارين فهو يعلم أنها حرم الله وبها بيت الله، وهو أخشى وأتقى خلق الله.

● النقطة السادسة: يوم الفتح يوم التعظيم للكعبة المشرفة:

لما كان يوم الفتح المبين، وتحركت جيوش المؤمنين، قاصدة البلد الحرام، قال النبي ﷺ للعباس رضي الله عنه : " أَحْسِنْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْحَيْلِ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ " فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام، رقم (١٣٥٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، رقم (٤٢٨١). والترجيح ترديد القارئ الحرف في الحلق

(٣) انظر: السيرة النبوية، ص ٤٥٢. أبو الحسن علي الحسن الندي دار ابن كثير، ١٤٢٥ هـ، دمشق.

فَجَعَلَتْ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ تَمُرُّ كَتَيْبَةً كَتَيْبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ فَمَرَّتْ كَتَيْبَةً قَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: هَذِهِ غِفَارُ قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارٍ، ثُمَّ مَرَّتْ جُهَيْنَةُ، قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ مَرَّتْ سَعْدُ بْنُ هُدَيْمٍ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمَرَّتْ سُلَيْمٌ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتَيْبَةً لَمْ يَرَ مِثْلَهَا قَالَ: مَنْ هَذِهِ قَالَ: هَؤُلَاءِ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ: يَا أَبَا سُفْيَانَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَا عَبَّاسُ: حَبِّدَا يَوْمَ الدِّمَارِ (١) ثُمَّ جَاءَتْ كَتَيْبَةً وَهِيَ أَقْلُ الْكَتَائِبِ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ وَرَايَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَبِي سُفْيَانَ قَالَ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ، قَالَ: مَا قَالَ. قَالَ: كَذَا وَكَذَا فَقَالَ: كَذَبَ سَعْدُ وَلَكِنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظَّمُ اللَّهُ فِيهِ الْكَعْبَةُ وَيَوْمٌ تُكْسَى فِيهِ الْكَعْبَةُ" فَقَالَ: عُثْمَانُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا نَأْمُنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَلِ الْيَوْمَ يَوْمٌ تُعَظَّمُ فِيهِ الْكَعْبَةُ الْيَوْمَ يَوْمَ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ قُرَيْشًا ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَعْدٍ فَنَزَعَ مِنْهُ اللَّوَاءَ وَدَفَعَهُ إِلَى قَيْسِ ابْنِهِ وَرَأَى أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ يُخْرَجَ عَنْ سَعْدٍ إِذْ صَارَ إِلَى ابْنِهِ" (٢)

فيوم الفتح يوم تعظّم فيه حرمة هذه الدار، لا لسفك الدماء ولا لأخذ الثأر، فهو يوم التعظيم، ويوم التكريم للبيت العتيق، يوم السلم والسلام، عن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض" (٣)

(١) أشرت كلمات سعد بن عبادة رضي الله عنه في نفس أبي سفيان رضي الله عنه، وهيجت مشاعره، وأثارت فيه الحمية لبلده وقومه، والحرص على الدفاع عنهم، والذود عن كرامتهم، فتمنى أن يكون له يد فيحمي قومه ويدفع عنهم، فهو يوم الغضب للحریم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه، وقيل المراد: هذا يوم يلزمك فيه حفظي وحماتي من أن ينالني مكروه. انظر فتح الباري لابن حجر ١ / ١٧٣

(٢) المغازي، ٨٢١/٢، محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله، الواقدي، ت: مارسدن جونز، دار الأعلمي، ط ٣، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، بيروت.

(٣) رواه النسائي، كتاب مناسك الحج، باب: دخول مكة باللواء، رقم (٢٨٦٦). وصححه الألباني.

● النقطة السابعة: تطهير النبي ﷺ البيت الحرام:

لما أكرم الله ﷻ، نبيه بالفتح العظيم، نفض ﷺ، والمهاجرون والأنصار بين يديه، وخلفه وحوله، حتى دخل المسجد، ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى الكعبة فرآها، ومعه المسلمون، تقدم على راحلته فاستلم الركن بمحجنه، وكبر فكبر المسلمون لتكبيره، فرجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا حتى جعل رسول الله ﷺ يشير إليهم: اسكتوا! والمشركون فوق الجبال ينظرون. فأقبل إلى الحجر الأسود فاستلمه، ثم طاف بالبيت وفي يده قوس، وحول البيت وعليه، ثلاثمائة وستون صنما، فجعل يطعنهما بالقوس، ويقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾^(٢) والأصنام تتساقط على وجوهها، وكان طوافه على راحلته، ولم يكن محرما يومئذ، فاقتصر على الطواف^(٣)، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاث مئة نصب فجعل يطعنهما بعود في يده، ويقول: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾^(٤) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾^(٥)^(٦). فلما أكمل طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، فأمر بها ففتحت، فلما "رَأَى الصُّورَ فِي الْبَيْتِ لَمْ يَدْخُلْ حَتَّى أَمَرَ بِهَا فَمُحِيتَ وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ بِأَيْدِيهِمَا الْأَزْلَامُ فَقَالَ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ وَاللَّهِ إِنَّ اسْتَفْسَمَا بِالْأَزْلَامِ قَطُّ"^(٧)، ثم دخل ﷺ البيت كما أخبر بذلك أسامة بن زيد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: أنه دخل هو ورسول

(١) سورة الإسراء: الآية رقم (٨١).

(٢) سورة سبأ: الآية رقم (٤٩).

(٣) انظر: المغازي، ٢ / ٨٣٢، محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله، الواقدي، ت: مارسدن جونز، دار الأعلمي، ط ٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، بيروت

(٤) سورة الإسراء: الآية رقم (٨١).

(٥) سورة سبأ: الآية رقم (٤٩).

(٦) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟، رقم (٤٢٨٧)، ورواه مسلم، كتاب الجهاد، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١).

(٧) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، رقم (٣١٠٣).

الله ﷺ البيت فأمر بلالا فأجاف الباب، والبيت إذ ذاك على ستة أعمدة، فمضى حتى إذا كان بين الأسطوانتين اللتين تليان باب الكعبة، جلس فحمد الله وأثنى عليه وسأله واستغفره، ثم قام حتى أتى ما استقبل من دبر الكعبة، فوضع وجهه وخده عليه، وحمد الله وأثنى عليه، وسأله واستغفره، ثم انصرف إلى كل ركن من أركان الكعبة، فاستقبله بالتكبير، والتهليل، والتسبيح، والثناء على الله، والمسألة والاستغفار، ثم خرج فصلى ركعتين مستقبل وجه الكعبة، ثم انصرف فقال: "هَذِهِ الْقِبْلَةُ هَذِهِ الْقِبْلَةُ"^(١).

● النقطة الثامنة: منع النبي ﷺ دخول المشركين للبلد الحرام وطواف العرارة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذّن في الناس: ألا يحجّ بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان^(٢).

ولقد كانت العرب تطوف بالبيت عرارة إلا الحُمس^(٣) فمنعوا من ذلك تعظيماً للبلد الحرام الحرام وهي من الفواحش التي كانوا عليها في الجاهلية.

● النقطة التاسعة: اغتسال النبي ﷺ عند دخوله البلد الحرام:

عن نافع - رضي الله عنه - قال: "كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ثم يبيت بذي طوى ثم يصلي به الصبح ويغتسل ويحدث أن نبي الله ﷺ كان يفعل ذلك"^(١).

(١) رواه النسائي، كتاب مناسك الحج، باب: وضع الصدر والوجه على ما استقبل من دبر الكعبة، رقم (٢٩١٥). وصحح إسناده الألباني.

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: لا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج مشرك، رقم (١٦٢٢)، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، رقم (١٣٤٧).

(٣) جمع أحمس من الحماسة بمعنى الشجاعة والشدة وبه لقب قريش وكنانة ومن قبلهم في الجاهلية، لتحمسهم في دينهم أو لالتجائهم إلى الحمساء وهي الكعبة لأن أحجارها أبيض إلى السواد وهو يكون شديداً. انظر: عون المعبود ٣٠٠/٤

و"كان لا يقدم مكة إلا بات بذي طوى حتى يصبح ويغتسل ثم يدخل مكة نهاراً ويذكر عن النبي ﷺ أنه فعله^(٢).

● النقطة العاشرة: تأكيد النبي ﷺ لحرمه البلد الحرام:

فعن أبي شريح العدوي رضي الله عنه أنه قال لعمر بن سعيد، وهو يبعث البعوث إلى مكة: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ للغد من يوم الفتح، فسمعتُه أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به، وإنه حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَمَنْ يُحَرِّمِهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَمَنْ يَأْذُنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَقِيلَ لِأَبِي شَرِيحٍ مَا قَالَ عَمْرُو قَالَ أَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ يَا أَبَا شَرِيحٍ لَا يُعِيدُ عَاصِيًا وَلَا فَارًّا بِدَمٍ وَلَا فَارًّا بِحَزْبَةٍ"^(٣). فأكد ﷺ تحريم البلد الحرام بتحريم الله ﷻ لها في القدر وفي الشرع المطهر وعلى لسانه ﷺ.

ولقد قرر النبي ﷺ هذه الحرمات، وأمنها من أن تمس بأذى، بأروع أسلوب مؤثر، وأوجز عبارة، ولك أن تتأمل معي ما قاله ﷺ فعن أبي بكره رضي الله عنه قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: "أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا: بَلَى قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ

﴿﴾ =

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: الاغتسال عند دخول مكة، رقم (١٥٧٣). ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة والاعتسال لدخولها ودخولها نهاراً، رقم (١٢٥٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب الحج، باب: استحباب المبيت بذي طوى عند إرادة دخول مكة والاعتسال لدخولها ودخولها نهاراً، رقم (١٢٥٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يعضد شجر الحرم، رقم (١٨٣٢) واللفظ له، ومسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيداتها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٤).

أَعْلَمَ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ" (١). فما أروعها من خطبة خطبها النبي ﷺ ودَّعَ بها أمته بأروع أسلوب تربوي أثار به كل انتباه، وأيقض كل حس غافل، أو منشغل، فتشغفت به الآذان، وتلقته القلوب قبل الاسماع، وتحرك الوجدان، وازداد الشوق لسماع الخطاب، وإدراك المعاني، ثم يسألهم ﷺ وهو عالم بما سأل عنه ليزداد وقع الخطبة في قلوبهم ﷺ، فسالت أودية الهيبة والجلال منهم فقالوا: الله ورسوله أعلم، فياله من أدب، يعلمون أنه يعلم انه لا يخفى عليهم الجواب، ولكن علموا انه أراد أمرًا وحكمة، لا يعلمونها فجاءهم الجواب منه ﷺ، بتغليظ حرمة الدماء، والأعراض، والأموال، كحرمة البلد الحرام، والشهر، واليوم، التي كانت ثابتة في نفوسهم ومقررة عندهم، بخلاف الأنفس والأموال والأعراض فكانوا في الجاهلية يستبيحونها، فأكد الشرع عليهم، بأن تحريم دم المسلم، وماله، وعرضه، أعظم من تحريم البلد الحرام، والشهر الحرام، واليوم الحرام (٢).

● النقطة الحادية عشرة: دعاء النبي للبلد الحرام بالبركة:

فقد دعا ﷺ بالبركة للبلد الحرام كما دعا إبراهيم العليل من قبل فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن نبي الله ﷺ دعا فقال: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَكَّتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّنَا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَفِي عِرَاقِنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَرَدَّدَ هَذَا ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ الرَّجُلُ: وَفِي عِرَاقِنَا فَيُعْرَضُ عَنْهُ، فَقَالَ: بِهَا الزَّلَازِلُ وَالْفِتَنُ وَمِنْهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ" (٣).

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى، رقم (١٧٣٩).

(٢) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٥٩/٤، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القاهرة.

(٣) المعرفة والتاريخ، ٣ / ٧٥. أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٦).

المضامين الثقافية في تعظيم الأنبياء والمرسلين للبلد الحرام:

إن هذه الجولة المتأنيبة في تاريخ مسيرة الأنبياء والمرسلين، وتعظيمهم للبلد الحرام، ما كانت لتسرد وتجرد، دون وقوف على أبعادها، وتلمس مضامينها، واستدكار دروسها، فمن ذلك:

- العبودية الواحدة لله ﷻ:

فجميع الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام- أصل دينهم واحد وهو التوحيد لله رب العالمين، وإن اختلفت فروع الشرائع فيما بينهم، فهم كالأخوة من أب وأمها تم شتى، كما قال النبي ﷺ: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ (١) أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ" (٢). وهذا مما يتميز به المسلم في كل زمان، ومع كل نبي إذ العقيدة واحدة، لا تتغير ولا تتبدل بتغير دعايتها، وحضاراتها ولغاتها، بخلاف ما عليه العقائد الأخرى، التي تزول وتتبدل، على حسب عقول واضعيها.

أما عقيدة السماء التي ارتضاها الله ﷻ لعباده، وأرسل من أجلها الرسل-عليهم السلام- فهي ثابتة صالحة في كل زمان ومكان.

إن الواجب على كل مسلم أن يحافظ على هذه العقيدة الربانية الحقة، التي ليست من صنع البشر، ولا وليدة أفكار وعقول ناقصة، شرعت قوانين وضعيه، جلبت الشقاء والبلاء بأفكارها وأحكامها، وأفسدت الأرض بعد إصلاحها، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ (٣) !!

- قصد البلد الحرام دعوة إلهية:

فجميع أنبياء الله ﷻ قصدوا البلد الحرام، وأموا البيت العتيق، من كل فج عميق، امتثالاً لأمر الله ﷻ، ولتبقى مثلاً ظاهراً على استمرارية تعظيم البلد الحرام من نبي في إثر نبي-عليهم السلام- وتأكيدهم وتكريسهم لمكانة البلد الحرام في نفوس الأمم السابقة واللاحقة، من فجر الخليفة إلى غروب شمسها.

(١) الضرائر، وأصله أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه عل منها، والعلل الشرب بعد الشرب. فتح الباري لابن حجر ٢٤٤ / ١٠

(٢) رواه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْمٍ إِذْ أَنْتَبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ رقم (٣٤٤٣).

(٣) سورة يونس: الآية رقم (٣٢).

- الأصالة والاستمرارية:

إن المسلم يتعلم من خلال هذا المبحث ثقافة الأصالة والاستمرارية على المبدأ، فيحافظ على تاريخه وجذوره، وينطلق في سماء الحياة لعمارة الأرض والانتفاع بكل ما سخره الله ﷻ .



المبحث الثالث

تعظيم الناس للبلد الحرام على مر الزمان

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعظيم أهل الجاهلية لبلد الحرام .

المطلب الثاني: تعظيم السلف الصالح لبلد الحرام .

المطلب الأول: تعظيم أهل الجاهلية للبلد الحرام

توطئة:

لقد تتابعت قلوب البشر على ما فُطرت عليه تعظيمًا وإجلالاً لهذا البيت، ونال مكانة رفيعة، وقدسية عظيمة، ولقد كان أهل البلد الحرام، متمسكين بشيء من دين إبراهيم عليه السلام ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولا يزينه أدب وكانوا يختنون أولادهم ويحجون البيت ويطعمون المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة، وتباعدا في المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت وغيره وبعداً من الجوسية ونزل القرآن الكريم بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلقون ثلاثاً^(١)، والناظر لتاريخ البيت الحرام في الجاهلية، تتزاحم عليه المواقف والأحداث التي تدل على تعظيمهم لبيت الله وَعَلَى، فمن صور تعظيمهم:

١. تعظيم الذنب في البلد الحرام:

وأول ذلك تبديل الحنيفية، وملة إبراهيم عليه السلام، فقد عظم ذلك ممن كان على دين إبراهيم عليه السلام ذكر الأزرقى -رحمه الله- أن رجلاً بمكة من جرهم كان على دين إبراهيم وإسماعيل، وكان شاعراً، فقال لعمرو بن لحي حين غير الحنيفية:

يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام
سائل بعادٍ أين هم وكذلك تختزم الأنام
وبني العماليق الذين لهم بها كان السّوام

(١) معجم البلدان، ١٨٤/٥، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، بيروت.

وقد غير عمرو بن لحي دين إبراهيم عليه السلام وبدّله، وبعث العرب على عبادة التماثيل والأصنام.

ولما أكثر من نصب الأصنام حول الكعبة وغلب على العرب عبادتها، وانمحت الحنيفية منهم إلا لمعاً، قال في ذلك شحنة بن خلف الجرهمي:

يا عمرو إنك قد أحدثت آلهةً شتى بمكة حول البيت أنصابا
وكان للبيت ربٌّ واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتعرفنَّ بأن الله في مهَل سيصطفي دونكم للبيت حجاباً^(١)

وذكر ابن السائب الكلبي - رحمته الله - أن سبب عبادتهم للأوثان شدة تعظيمهم للحرم^(٢) فقال: "وكان الذي سلخ بهم إلى عبادة الأوثان والحجارة أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم تعظيماً للحرم وصبابةً بمكة. فحيثما حلوا وضعوه وطاقوا به، كطوافهم بالكعبة، تيمنا منهم بها وصبابة بالحرم وحبا له، وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتمرون، على إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام"^(٣).

وسواء كانوا تعبدوا الأصنام بحجارة الحرم، أو أصنام مجلوبة، فإنهم ظلوا يعتقدون أن الكعبة بيت الله، وأنها ليست صنماً كباقي الأصنام؛ فاستحقت منهم التعظيم، ولم تعبد ولم يعبد الحجر الأسود ولا مقامات إبراهيم عليه السلام، وكان لها من القدسية الشيء الكثير.

وكان عمرو بن لحي يلي البيت وولده من بعده خمسمائة سنة، وكانوا هم حجاب، وخزانه، والقوام به، وولاية الحكم بمكة، وهو عامر لم يخرب فيه خراب، ولم تبني خزاة فيه شيئاً بعد جرهم، ولم تسرق منه شيئاً، وترافدوا على تعظيم البيت الحرام، والذب عنه.

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣٠/٢، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، ت: أسعد داغر، دار الهجرة،

١٤٠٩ هـ

(٢) وهذا سبب باطل إذ لا مبرر لعبادة الأوثان والشرك بالله عز وجل.

(٣) كتاب الأصنام ص ٩٠٩ لابن السائب الكلبي، ت: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، ط ٣، ١٩٩٥ م.

وقال في ذلك عمرو بن الحارث بن عمرو الغبشاني:

نحن ولينا فلم نغشه وابن مضاض قايم يهشه

يأخذ ما يهدى له يفشه نترك مال الله ما نمشه^(١)

وبلغ من تعظيمهم للبلد الحرام التواصي بالحذر من الظلم فيه، وعدم انتهاك حرماته، فهذه امرأة جاهلية يقال لها: سبيعة بنت الأحب تذكر ابنها خالد بن عبد مناف، وتنهاه عن البغي بمكة وتأمره بتعظيم البلد الحرام فقالت:

أَبِيَّ لَا تَظْلِمَ مِمَّكَ	لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ
وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا بِنَ	يَّ وَلَا يُعْزِنَكَ الْعُرُورَ
أَبِيَّ مَنْ يَظْلِمُ مِمَّكَ	يَلْقَ أَطْرَافَ الشُّرُورِ
أَبِيَّ يُضْرَبُ وَجْهُهُ	وَيُلْحَقُ بِحَدَّيْهِ السَّعِيرَ
أَبِيَّ قَدْ جَرَّتْهَا	فَوَجَدْتُ ظَالِمَهَا يُبُورُ
اللَّهُ أَمَّنَهَا وَمَا	بُنِيَتْ بِعَرْصَتِهَا فُصُورُ
وَاللَّهُ أَمَّنَ طَيْرَهَا	وَالْعُصْمُ تَأْمَنُ فِي ثَبِيرِ
وَالْفِيلُ أَهْلِكَ جَيْشُهُ	يُرْمُونَ فِيهَا بِالصَّخُورِ
وَالْمُلْكُ فِي أَقْصَى الْبِلَا	دِ وَفِي الْأَعْجَامِ الْخَزِيرُ
فَاسْمَعْ إِذَا حُدِّثْتَ وَافْهَمْ	كَيْفَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ^(٢)

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١/١٤٥، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقعي، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت. البداية والنهاية، ٢/٢٠٢، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، ت: أحمد عبد الوهاب فتوح، دار الحديث، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، القاهرة.

(٢) السيرة النبوية ابن هشام، ص ٣٨، أبو محمد عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م،

٢. تعظيم الكعبة المشرفة:

كان لتعظيم الكعبة المشرفة صوراً عدة عند أهل الجاهلية، فمن تلك الصور:

كانوا يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة، ولا يبنونها بشكل هندسي يشابه شكل الكعبة المشرفة، فعن ابن أبي نجیح-رحمه الله-، قال: "إنما سميت الكعبة؛ لأنها مكعبة على خلقة الكعب" قال: "وكان الناس يبنون بيوتهم مدورة تعظيماً للكعبة فأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير، فقالت قريش: رَبَّعَ حُمَيْدُ بْنُ زُهَيْرٍ بَيْتَنَا، إِمَّا حَيَاةً وَإِمَّا مَوْتًا"^(١).

ثم توسعوا بعد ذلك في مضاهات الكعبة ومشابحتها طلباً للتعظيم، فبنوا بيوتاً وسموها بالكعبة وعبدوها من دون الله ﷻ فمن ذلك: الكعبة اليمانية، وكانت تسمى أيضاً كعبة اليمامة^(٢)، أما الكعبة المشرفة فكانت تسمى بالكعبة الشامية^(٣)، تمييزاً وتفريقاً بينها وبين الكعبة اليمانية. عن جرير بن عبد الله ﷺ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْخُلَصَةِ؟. وَكَانَ بَيْتًا فِي خَثْعَمٍ يُسَمَّى: الْكُعْبَةَ الْيَمَانِيَّةَ، فَانْطَلَقْتُ فِي خَمْسِينَ وَمِائَةَ فَارِسٍ مِنْ أَحْمَسَ^(٤) وَكَانُوا أَصْحَابَ خَيْلٍ وَكُنْتُ لَا أَتُبْتُ عَلَى الْخَيْلِ فَضَرَبَ فِي صَدْرِي حَتَّى رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِهِ فِي صَدْرِي وَقَالَ: "اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ وَاجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا". فَانْطَلَقَ إِلَيْهَا فَكَسَرَهَا وَحَرَقَهَا ثُمَّ بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ جَرِيرٍ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا جِئْتِكَ حَتَّى تَرَكْتَهَا كَأَنَّهَا جَمَلٌ أُجْرِبُ. قَالَ "فَبَارَكَ فِي خَيْلِ أَحْمَسَ وَرِجَالِهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ"^(٥). فأراحه الله ﷻ رسوله ﷺ من وجود هذا الموضوع

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١/١٧٩، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، ت: رشدي الصالح ملخص، دار الأندلس، بيروت.

(٢) لسان العرب، ٧/٢٦، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠-١٩٩٠م.

(٣) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ٨/٢٤٠، الريان، مصر.

(٤) أي: من قوم قريش، والأحمس الشجاع، والحمس: هم قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس، سمو حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي: تشددوا والحماسة الشجاعة، والحاصل أنهم كانوا متصلبين في الدين والقتال. انظر: مرقاة المفاتيح ٩/٣٨٠٠

(٥) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: غزوة ذي الخلصة، رقم (٤٣٥٥)، واللفظ له. ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل جرير بن عبد الله ﷺ، رقم (٢٤٧٦).

الذي يسمى بهذه التسمية. ومما بُني أيضاً مضاهات للكعبة المشرفة بيت يقال له: ذو الكعبات، "وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد"^(١). وكذلك بيت يقال له: بُس الغطفان، بناه ظالم بن أسعد، لما رأى قريشا يطوفون بالكعبة، ويسعون بين الصفا والمروة، فذرع البيت، وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة، فرجع إلى قومه، فبنى بيتا على قدر البيت، ووضع الحجرين، فقال هذان الصفا والمروة، فاجتَزَّؤوا به عن الحج، فأغار زهير بن جناب الكلبي، فقتل ظلما، وهدم بناءه"^(٢).

ولم يكن التأثير بالكعبة المشرفة، قائماً على العرب فحسب بل حتى على العجم، فمن أبنية الفرس التي عارضت به الكعبة المشرفة، بيت في مدينة بلخ يقال له: "نوبهار" بناه البرامكة عارضوا به الكعبة، وكانوا يطوفون به، ويحججه أهل مملكتهم، ويلبس الحرير، وكان بيتا عظيماً، "قال عمر بن الأزرق الكرمانى-رحمه الله-: كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف وكان دينهم عبادة الأوثان فوصفت لهم مكة وحال الكعبة بها وما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام ونصبوا حوله الأصنام وزينوه بالدباج والحرير وعلّقوا عليه الجواهر النفيسة، وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن نو الجديد، وكانت سنتهم إذا بنوا بناء حسنا أو عقدوا بابا جديدا أو طاقا شريفا كلّوه بالريحان، وتوخّوا لذلك أول ریحان يطلع في ذلك الوقت، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه أول ما يظهر من الريحان وكان البهار فسمي نوبهار لذلك، وكانت الفرس تعظّمه وتحج إليه وتهدي له وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبتة الأعلام، وكانوا يسمّون قبتة الأستن، وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها، وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة يسكنها خدامه وقوامه وسدنته، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود إلى الخدمة حولا كاملا، ويقال إن الريح

(١) السيرة النبوية ابن هشام، ص (٨١). أبو محمد عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شليبي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

(٢) القاموس المحيط، ٦٩/٢، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥، وانظر: العباب الزاخر للصابغاني ٦٨/١

ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقيه بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا، وكانوا يسمون السادن الأكبر برمك لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه برمكة، فكان كل من ولي منهم السدانة برمكا، وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج إلى هذا البيت، وكانت سنتهم إذا هم وافوه أن يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك، وجعلوا للبرمك ما حول النوبهار من الأرضين سبعة فراسخ في مثلها، وجميع أهل ذلك الرستاق عبيد له يحكم فيهم بما يريد، وصيروا للبيت وقفا كثيرة وضياعا عظيمة سوى ما يحمل إليه من الهدايا التي تتجاوز الحدّ، وكل ذلك يصل إلى برمك الذي يكون عليه"^(١). وقد قضى الله ﷻ على كل بناء، وبقية الكعبة الغراء محفوظة بحفظ الله ﷻ.

ومن صور تعظيمهم للبيت الحرام، القسم برب الكعبة والكعبة، فهم لا يقسمون إلا بمعظم عندهم. قال النابغة الذبياني، في معرض اعتذاره للنعمان بن المنذر، وتوكيده ذلك بالقسم برب الكعبة التي يتمسح بها إجلالاً وتقديساً، وبما يراق من دماء العتائر على الأنصاب، وبالله ﷻ الذي يحمي طير مكة، إنَّ ما بُلِّغ به وشاية غير صحيحة، وإلا فلتُشَلَّ يده إذا كان الأمر خلاف ما يقسم به، وقد جمع في أبياته بين الإيمان بالله ﷻ والكفر به فقال:

فلا لعمُرُ الذي مسَّحتُ كَعْبَتَهُ وما هُرِّيقُ على الأنصابِ من جَسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرِ تَمسُحُها ركباًنُ مَكَّةَ بينَ الفَيْلِ والسَّعَدِ
ما قُلْتُ من سيِّئِ آتَيْتُ بِهِ إذاً فلا رفعتُ سوطي إلى يدي^(٢)

وأقسم زهير بن أبي سلمى في معلقته بالبيت^(٣) الذي يُطاف حوله يمينا مغلظةً على أن الحارث بن عوف وهرم بن سنان، اللذين سعيا في الصلح بين عبس وذبيان، أفضل من وُجدا من السادة الأشراف في السلم والحرب:

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حوله رجالُ بنوه من فُرَيْشٍ وجُرْهمِ

(١) معجم البلدان، ٣٠٨/٥، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، بيروت.

(٢) ديوان النابغة الذبياني، ص (١٥). عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية ط ٣، ١٤١٦، بيروت، لبنان.

(٣) وكانوا في الجاهلية يقسمون بغير الله ﷻ، فلما جاء الإسلام حرم ذلك .

وباللات والعزى التي يعبدونها بمكة والبيت العتيق المكرّم

يميناً لنعم السّيدانِ وُجدتُما على كلّ حالٍ من سحيلٍ ومُبرّمٍ

- وبلغ من تعظيمهم للكعبة المشرفة، إعتاق أي عبد من عبيدهم إذا علا فوق الكعبة، قال الثعالبي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "ومن سنتهم: أن من علا الكعبة من العبيد فهو حر، لا يرون الملك على من علاها، ولا يجمعون بين عز علوها، وذل الرق" (١).

- ومن تعظيمهم لها الامتناع عن دخولها، وظل "بمكة رجال من الصلحاء لم يدخلوها قط إعظاماً لها" (٢)(٣).

- وكانوا يطلقون على الرجل من أهل الحرم "الكعبي" وعلى المرأة "الكعبيّة"، ينسبونهم إلى الكعبة المشرفة، تعظيماً، واعتزازاً بهم.

ذكر أهل الأدب أن أبا جندب بن مرة القِرْدِيّ، وكان ذا شر وبأس، وكان قومه يسمونه المشعوم، مرض وكان قد أجاز رجلاً من أهل مكة من خزاعة اسمه خاطم، فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته، فلما برأ أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة، فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف، فعرف الناس أنه يريد شراً، فقال:

إِنِّي امْرُؤٌ أَبْكِي عَلَى جَارِيهِ أَبْكِي عَلَى الْكُعْبِيِّ وَالْكَعْبِيَّةِ

وَلَوْ هَلَكْتُ بَاكِيًا عَلَيْهِ كَأَنَّا مَكَانَ الثُّؤْبِ مِنْ حَقْوِيهِ

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته، خرج في الخلاء من بكر وخزاعة فاستحاشهم على بني لحيان، فخرجوا معه حتى صبّح بهم بني لحيان في العرج، فقتل فيهم وسي من نسائهم وذرائعهم، وباعهم (٤).

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص (١٨). عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، دار المعارف، القاهرة.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٣) هذا فيه مبالغة وليس من التعظيم في شيء.

(٤) انظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، ١ / ٢٩٢، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام محمد

هارون، مكتبة الخانجي، ط ١٤١٨هـ، ٤٤ - ١٩٩٧م، القاهرة.

٣. سقاية الحاج والرفادة:

ومن صور التعظيم للبلد الحرام في الجاهلية، رعاية الحاج بأمنه، وحفظه، وسقايته وإطعامه، إذ كانوا يمنعون الحجيج والعمار - ما داموا محرمين - أن يأكلوا إلا من طعام قريش، وكانوا يقولون: لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به من الحل إلى الحرم، إذا جاءوا حجاجاً أو عماراً، وهي مفخرة ومكرمة بارزة في الحياة الجاهلية، يرجون بها ثواب الله وَعَلَى، والسمعة الحسنة لأهل البلد الحرام، بين العرب قاطبة.

ذكر أهل السير والتاريخ أن عدي بن نوفل بن عبد مناف، كان يسقي الحاج اللبن والعسل وجعل السقاية بين الصفا والمروة، وقال فيه بعض الشعراء، واصفاً بلوغه الغاية في الجود والكرم:

وما التَّيْلُ يَأْتِي بالسَّغِينِ يَكْفُهُ بأجود سَيِّئاً من عَدِيٍّ بنِ نَوْفَلٍ
وَأُنْبَطَتْ بينِ المِشْعَرَيْنِ سَقَايَةٌ لِحَجَّاجِ بَيْتِ اللهِ أَفْضَلُ مَنْهَلٍ^(١)

وافتحخر مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على قريش كلها بمناقب قومه الحميدة التي لم تقتصر على سقاية الحجيج، وإنما شملت رفاتهم وإطعامهم، وحفظهم منذ القديم لبئر زمزم، مما جعلهم يتبأون المنزلة العالية والمكانة الرفيعة في الفعال الحميدة والمكرّمات المحيطة بخدمتهم للحجيج، فقال:

ورثنا المجد من آبائنا فنمى بنا صُعدا
ألم نَسِقِ الحجِيجَ وننحرُ الدَّلَافَةَ الرُّفدا
ونلقى عند تصريف المنايا شُدَّدا رُفدا
فإن نَهَلِكُ فلم نُملِكُ ومن ذا خالد أبدا
وزمزمُ في أرومتنا ونفقاً عينٌ من حسدا^(٢)

(١) نسب قريش، ص (٣٢). أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، عنى به: إ. ليفي بروفنسال، دار المعارف، ط ٣.

(٢) السيرة النبوية ابن هشام، ص (١٢٣) أبو محمد عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. الأرومة: الأصل.

وكانت قريش تؤدي الرفاة إلى قصي؛ وهو خرج يخرجونه من أموالهم يترافدون فيه، فيصنع طعاما وشرابا للحجاج أيام الموسم. وكان هاشم بن عبد مناف واسمه عمرو أول من أطعم الثريد بمكة كان إذا حضر الحج قام في قريش فقال: يا معشر قريش إنكم حيران الله وأهل بيته وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته. وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فيصنع به للحجاج طعاما حتى يصدروا منها، فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج^(١).

٤. تعظيم سفك الدم في الحرم وانتهاك الأشهر الحرم:

ومن صور تعظيمهم للبلد الحرام عدم معاقبة أحد في الحرم حتى لو كان قاتلاً ومطلوباً بدم، حتى إن أحدهم يجد فيها قاتل أبيه وأخيه فلا يهيجه مع شدة الحمية فيهم والنصرة العربية، وحب الانتقام والتفاخر بأخذ الثأر، وهم أصحاب غارات وحروب، فالله تعالى بقضائه وقدره وضع في نفوس المشركين احترامه وتعظيمه. وكذلك الأشهر الحرم الأربعة: ثلاثة منها سرد، وهي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، وواحد فرد، وهو: رجب، جعلها الله عز وجل حواجز في الجاهلية بين الناس، قال قتادة - رضي الله عنه - "كان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ إليها لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرم لم يعرض له ولم يقربه وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه ومنعته من الناس وكان إذا نفر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء السمر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز ألقاها الله بين الناس في

(١) السيرة النبوية ابن هشام، ص (١١٣). أبو محمد عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الجاهلية" (١).

قدم النعمان بن المنذر على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين، فذكروا من ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، ومما قاله: "وأما دينها وشريعتها، فإنهم متمسكون به، حتى يبلغ أحدهم من نسكه بدينه أن لهم أشهراً حرماً، وبلداً محرماً، وبيتاً محجوجاً، ينسكون فيه مناسكهم، ويذبحون فيه ذبائحهم، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه، وهو قادر على أخذ ثأره وإدراك رغبته منه، فيحجزه كرمه، ويمنعه دينه عن تناوله بأذى" (٢).

وعن خالد بن دينار - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: قلت لأبي رجاء العطاردي - عمران بن تيم - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أدرك الجاهلية والإسلام -: "كنتم تحرمون الشهر الحرام؟ قال: نعم، إذا جاء رجب كنا نشيم الأسل، أسنة رماحنا، وسيوفنا أعكام النساء، فلو مر رجل على قاتل أبيه لم يوقظه، ومن أخذ عوداً من الحرم فتقلده، فمر على رجل قد قتل أباه لم يحرك" (٣). فكانوا على جاهليتهم يأمنون في الأشهر الحرم، وفي الحرم، وكانوا يعظمون أن يأتوا فيها، شيئاً من المحارم أو يعدوا بعضهم على بعض، في الأشهر الحرم، وفي الحرم، وإنما سميت حرب الفجار لما صنع فيه من الفجور، وسفك فيه من الدماء (٤).

٥. تقديم الهدايا والندور للبيت الحرام:

ومن صور تعظيم أهل الجاهلية للبيت الحرام، تقديم الهدايا والأموال والندور، إلى الكعبة المشرفة، وبلغ بهم التعظيم، لإيقاف الذرية على البيت الحرام.

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٢٦٧/٢، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

(٢) العقد الفريد، ٩٥/١، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت: د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

(٣) أسد الغابة، ٧٧٧/٣. أبو الحسن علي بن أبي الكرم عز الدين ابن الأثير، دار الفكر، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، بيروت.

(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢٣٢/١، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.

ذكر الأزرقى أن امرأة من جرهم تزوجها أخزم بن العاص بن عمرو بن مازن بن الأسد، وكانت عاقراً، فنذرت إن ولدت غلاماً أن تصدق به على الكعبة عبداً لها يخدمها ويقوم عليها، فولدت من أخزم الغوث، فتصدقت به عليها، فكان يخدمها في الدهر الأول مع أخواله من جرهم، فولي الإجازة بالناس؛ لمكانه من الكعبة، وقالت أمه حين أتمت نذرهما، وخدم الغوث بن أخزم الكعبة:

إني جعلتُ، ربِّ، من بُنيَّة ربيطاً بمكَّة العليَّة
فباركَن لي بها أليَّة واجعله لي من صالح البريَّة

فولي الغوث بن أخزم الإجازة من عرفة وولده من بعده في زمن جرهم وخزاعة حتى انقرضوا^(١)

ثم إن تلك الهدايا والأموال كانت تمتاز بجرمة خاصة؛ فهي في حماية رب البيت ورعايته، ومن يأخذ منها شيئاً يتعرض لغضب الله ونقمته؛ ومن ذلك ما افتخر به عمرو بن الحارث الخزاعي من ولاية البيت بعد جرهم، والدفاع عنه، وحفظ ما يقدم له من الأموال، وعدم المساس بها، خشية من الله وعقابه:

ونحن ولينا البيت من بعد جرهم لنمنعه من كل باغ وآثم
ونقبل ما يُهدى له، لا نمسه نخاف عقاب الله عند المحارم

فإذا حدث وجرؤ احد على سرقة الأموال المهداة إلى الكعبة فإنه يُجلل بثوب من الخزي والعار طوال عمره، ويجرُّ على قومه مثلبة يُعيرون بها دائماً^(٢).

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر الكعبة المشرفة في الشعر الجاهلي، د. عبدالغني زيتوني. ص (١٤٥).

كما فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقد هجا الحارث بن عامر وقومه بني نوفل؛ لأن الحارث كان فيمن سرق غزلاً ذهبياً، نُذِر للكعبة وأهدي إليها فقال فيه:

يا حارٍ قد كنتَ لولا ما رُميتَ به لله دُرُكٌ في عِزٍّ وفي حَسَبِ
جَلَلتَ قَوْمَكَ مَخْزَاهُ وَمَنْقَصَةً ما إنْ يُجَلَّلُهَا حَيٌّ مِنْ الْعَرَبِ
يا سالب البيتِ ذي الأركانِ حَلِيَّتَهُ أين الغزألُ فلنَ يَخْفَى لمَسْتَلِبِ^(١)

وكانت تهدى الكسوة للبيت الحرام، تعظيماً لها، وكانت تنتقى في الغالب من أفخم البرود اليمنية الثمينة، وكان ممن أهدى للكعبة المشرفة كسوة ثمينة تُبَع أحد ملوك الحميريين، حيث قدم مكة وأقام بها أياماً، ينحر في كل يوم مائة بدنة، لا يرزأ هو ولا أحد ممن في عسكره منها شيئاً، يردها الناس فيأخذون منها حاجتهم، ثم تقع الطير فتأكل، ثم تتناها السباع إذا أمست، لا يصد عنها شيء من الأشياء إنسان ولا طائر ولا سبع، يفعل ذلك كل يوم مقامه أجمع، ثم كسا البيت كسوة كاملة، كساه العصب، وجعل له باباً يغلق ولم يكن يغلق قبل ذلك، قالت سبيعة بنت الأحب:

وَلَقَدْ غَزَاهَا تُبَّعٌ فَكَسَا بَيْتَهَا الْحَبِيرُ
وَأَذَلَّ رَبِّي مُلْكَهُ فِيهَا فَأَوْفَى بِالنَّذُورِ
يَمْشِي إِلَيْهَا حَائِياً يَفْنَائِهَا أَلْفَا بَعِيرُ
وَيَطَّلُ يَطْعِمُ أَهْلَهَا حَمَّ الْمَهَارَى وَالْجَزُورِ
يَسْقِيهِمُ الْعَسَلِ الْمُصَقَّى وَالرَّحِيضَ مِنَ الشَّعِيرِ

وقال تُبَّع في ذلك وفي مسيره شعراً^(٢):

(١) المنمق في أخبار قريش، ص(٦٨). محمد بن حبيب البغدادي، صححه: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، بيروت.

(٢) انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١/١٨٤، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرق، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

وَكَسَوْنَا الْبَيْتَ الَّذِي حَرَّمَ اللَّهُ مَلَاءً مُعَصِّبًا وَبُرُودًا
فَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيدًا
وَجَرَجْنَا مِنْهُ نَوْمَ سَهِيلًا قَدْ رَفَعْنَا لَوَاءَنَا مَعْقُودًا

٦. تجديد قريش بنيان الكعبة بالمال الحلال:

وقصة بنيان الكعبة المشرفة في الجاهلية، ووضع الحجر الأسود خير شاهد على ذلك، فقد أجمعوا على هدم الكعبة وبنائها مرة أخرى، بعدما أثرت فيها الحوادث والسيول، لكنهم كانوا يهيمون بذلك فيهابون هدمها وفرقوا منها، فقال الوليد بن المغيرة: أنا أبؤوكم في هدمها، فأخذ المعول، فقام عليها، ثم قال: اللهم لا ترع، اللهم إنا لا نريد إلا الخير، ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا: ننظر ماذا يصيبه، فإن أصيب لم نخدم منها شيئاً ورددناها كما كانت، وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله عز وجل ما صنعناه، فأصبح غادياً يهدم وهدم الناس معه

ثم بنوا حتى بلغ البناء موضع الركن فاختموا في رفع الركن، كل قبيلة تريد أن ترفعه دون الأخرى، فقالت كل قبيلة نحن نرفعه حتى تحاربوا و تحالفوا، وأعدوا القتال، وبلغ الأمر بهم مبلغاً عظيماً، حتى قربت بنو عبد الدار جفنة فملئوها دماً، ثم تحالفوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت، فأدخلوا أيديهم في تلك الجفنة فغمسوها في الدم، فهو تحالف على الموت دون أن يرفع الحجر الأسود غيرهم، رجاء الرفعة والشرف لهم، واشتد بهم الأمر، فمكثت قريش أربع ليال، أو خمساً، بعضهم من بعض، ثم أنهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا، وتناصفوا، فقال أبو أمية: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم من باب المسجد، فلما توافقوا على ذلك، ورضوا به، دخل رسول الله ﷺ، فلما رأوه قالوا: هذا الأمين قد رضينا بما قضى بيننا، فلما انتهى إليهم أخبروه الخبر، فقال: هلموا ثواباً، فوضع رسول الله ﷺ الركن فيه بيديه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوا جميعاً، فرفعه حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، ثم بنى عليه ﷺ.

وكانت قريش قد اشترطت في بنائها للبيت الحرام ألا يدخلوا في بنائها من كسبهم إلا

طيبا، لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربا، ولا مظلمة من أحد من الناس .

ولما ضاقت النفقة الطيبة بقريش عن إتمام البيت على قواعد إبراهيم، فاضطروا إلى أن اقتطعوا منه قطعة من جهته الشمالية، وبنوا على هذا الجزء الذي احتجزوه جدارا قصيرا للإعلام أنه من البيت وهو ما يُعرف بالحجر^(١).

٧. أداء مناسك الحج والعمرة :

كان العرب في الجاهلية مع شركهم وضلالهم متمسكين بشيء من شعائر ملة إبراهيم عليه السلام، وكان حج بيت الله الحرام وأداء مناسك العمرة من أبرز هذه الشعائر، وكانت العرب على دينين : حلة وحمس^(٢) ، فالحمس قريش و بعض القبائل التي تتبعها، والحلة كل من عدا الحمس.

وكانت الحمس إذا أحرمت لا يأقظوا الأقط، ولا يأكلوا السمن ولا يسئونه، ولا يمخضون اللبن، ولا يأكلون الزبد، ولا يلبسون الوبر ولا الشعر، ولا يستظلون به ما داموا حرما، ولا يغزلون الوبر ولا الشعر ولا ينسجونه، وإنما يستظلون بالأدم، ولا يأكلون شيئا من نبات الحرم وكانوا يعظمون الأشهر الحرم، ولا يخفرون فيها الذمة، ولا يظلمون فيها، ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم، وكانوا إذا أحرمت الرجل منهم في الجاهلية وأول الإسلام، فإن كان من أهل المدر - يعني أهل البيوت والقرى - نقب نقبا في ظهر بيته، فمنه يدخل ومنه يخرج، ولا يدخل من بابه^(٣).

(١) انظر: السيرة النبوية ابن هشام، ص (١٥٥). أبو محمد عبد الملك بن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) "جمع أحمس من الحماسة بمعنى الشجاعة والشدة وبه لقب قريش وكنانة ومن قبلهم في الجاهلية ، لتحمسهم في دينهم أو لالتجائهم إلى الحمساء وهي الكعبة لأن أحجارها أبيض إلى السواد وهو يكون شديدا"، انظر: عون المعبود ٤ / ٣٠٠

(٣) انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١/ ٢٣٢، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

وكانت الحمس تقول: لا تعظموا شيئاً من الحل، ولا تجاوزوا الحرم في الحج، فلا يهاب الناس حرمكم، ويرون ما تعظمون من الحل كالحرم فقصروا عن مناسك الحج والموقف من عرفة وهو من الحل، فلم يكونوا يقفون به ولا يفيضون منه، وجعلوا موقفهم في طرف الحرم من نمرة بمفضى المأزمين، يقفون به عشية عرفة، ويظلون به يوم عرفة في الأراك من نمرة، ويفيضون منه إلى المزدلفة، فإذا عممت الشمس رعوس الجبال دفعوا. وكانوا يقولون: نحن أهل الحرم، لا نخرج من الحرم ونحن الحمس. والأحمسي في لغتهم المشدد في دينه،

وكانت الحمس من دينهم إذا أحرموا أن لا يدخلوا بيتاً من البيوت ولا يستظلوا تحت سقف بيت، ينقب أحدهم نقبا في ظهر بيته، فمنه يدخل إلى حجرته ومنه يخرج، ولا يدخل من بابه، ولا يجوز تحت أسكفة^(١) بابه ولا عارضته، فإذا أرادوا بعض أطعمتهم ومتاعهم، تسوروا من ظهر بيوتهم وأدبارها حتى يظهروا على السطوح، ثم ينزلون في حجرتهم، ويحرمون أن يمرؤا تحت عتبة الباب، وكانوا كذلك حتى بعث الله نبيه محمداً ﷺ.

وكانت قریش قد فرضت على الحلة أن تطوف بالبيت، أول ما يطوف الرجل والمرأة في أول حجة يحجها عراة، وكانت بنو عامر بن صعصعة وعك ممن يفعل ذلك، فكانوا إذا طافت المرأة تطوف في درع مفرج المقاديم والمآخير^(٢)، ومنهم من تطوف عريانة، تضع إحدى يديها على قبلها، والأخرى على دبرها، إلا أنها كانت تلبس رهطاً من سيور، ثم تقول:

اليوم يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

تعنى فرجها أنه يظهر من فُرُوج الرَّهْطِ الذي لبسته^(٣). قال ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : فكانت قبائل من العرب من بني عامر وغيرهم يطوفون بالبيت عراة، الرجال بالنهار والنساء بالليل، فإذا بلغ أحدهم إلى باب المسجد قال للحمس: من يعير مصوناً؟ من يعير معوزاً؟

(١) عتبة الباب . لسان العرب ٩ / ١٥٦

(٢) معجم البلدان، ٤/١٥٠، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، بيروت.

(٣) تهذيب اللغة، ٥/٣٢، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١،

٢٠٠١م، بيروت.

فإن أعاره أحمسي ثوبه طاف به ، وإلا ألقى ثيابه بباب المسجد ، ثم دخل للطواف ، فطاف بالبيت سبعا عريانا، وكانوا يقولون: لا نطوف في الثياب التي قارفنا فيها الذنوب، ثم يرجع إلى ثيابه، فيجدها لم تحرك ، وكان بعض نسائهم تتخذ سيورا فتعلقها في حقوتها وتستر بها، إلا أن يتكرم منهم متكرم فيطوف في ثيابه، فإن طاف فيها لم يحل له أن يلبسها أبدا ولا ينتفع بها ويطرحها لقا . واللّقا؛ هذه الثياب التي يطوفون فيها، يرمون بها باب المسجد ، فلا يمسه أحد من خلق الله ﷻ حتى تلبسها الشمس والأمطار والرياح ووظء الأقدام^(١).

قال ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ - : " وكان حين أراد الله عز وجل كرامة نبيه ﷺ ، ورحمة العباد به واتخاذ الحجّة عليهم، والعرب على أديان مختلفة متفرقة، مع ما يجمعهم من تعظيم الحرمه، وحج البيت، والتمسك بما كان بين أظهرهم من آثار إبراهيم ﷺ، وهم يزعمون أنهم على ملته، وكانوا يحجون البيت على اختلاف من أمرهم فيه. فكانت الحمس: قريش وكنانة، وخزاعة، ومن ولدت قريش من سائر العرب يلهون بحجهم، فمن اختلافهم أن يقولوا: لبيك، لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه، وما ملك. فيوحد فيه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده - يقول الله ﷻ محمد ﷺ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾^(٢) ، ولا يخرجون من الحرم ولا يدفعون من المزدلفة، يقولون: نحن أهل الحرم، فلا نخرج منه، وكانوا يسكنون البيوت إذا كانوا حرماً، وكان أهل نجد من مضر يهلون إلى البيت ويقفون على عرفة"^(٣).

- المضايمين الثقافية في تعظيم أهل الجاهلية للبلد الحرام:

وبعد هذه الجولة السريعة، التي استعرضنا فيها مواقف التعظيم للبلد الحرام، رغم ما كان عليه أهل الجاهلية، يتجلى لنا أمران مهمان:

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢٣٢/١، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٢) سورة يوسف: الآية رقم (١٠٦).

(٣) السيرة النبوية، ١٠٠/٢. محمد بن إسحاق المطليبي، ت: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

١. أن الالتزام الأخلاقي واستمراره على الدوام لا يتم إلا من خلال منهج رباني، يستقيم عليه المسلم، وعند تقصيره بمقتضى بشريته يرجع إلى الجادة مرة أخرى، كما قال الله **وَعَلَىٰ**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(١)

إلا أن بعضاً من الثوابت الثقافية لتعظيم البلد الحرام، ظلت قائمة معالمها في الجاهلية ليست على مستوى قريش فحسب، بل على كل من سمع بها ولا سيما بعد حادثة الفيل. رغم ما هم عليه من أعظم شيء وهو الشرك بالله **وَعَلَىٰ** بعبادة الأصنام بجوار الكعبة المشرفة إلا أنهم في بعض الجوانب لم يتعرضوا لحرمة البلد الحرام، إلا ما ندر من تصرفات أفراد، وقعت عليهم المسببة والملامة ولحقهم عار انتهاك حرمة البلد الحرام والزمن الحرام.

٢. أن أهل الجاهلية كانوا على قدر كبير من العناية الحسية بالبلد الحرام، ولذا جاء الإسلام بإتمام وتكميل هذه العناية، فأفرّهم الإسلام على ذلك، مثل السقاية والرفادة والسدانة وعمارة البيت الحرام وغيرها من العناية الحسية، وأرسى مع العناية الحسية بالبلد الحرام قضية أخرى تتعلق بجانب من جوانب الثقافة وهي الثقافة المعنوية، كالإيمان والعبودية لله رب العالمين، ولذلك نَبّه الله **وَعَلَىٰ** في القرآن الكريم على هذا الجانب في قوله **وَعَلَىٰ**: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف: الآية رقم (٢٠١).

(٢) سورة التوبة: الآية رقم (١٩).

المطلب الثاني: تعظيم السلف الصالح للبلد الحرام

توطئة:

لقد نال البلد الحرام مكانة كبرى، إذ نزلت فيه بعض الآيات والأحاديث، التي عظمت مكانه، ورفعت من شأنه، فحل البلد الحرام في سويداء قلوب السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين وامتلات قلوبهم تعظيماً وإجلالاً له، إذ فهموا مقصود الوحيين، وامتثلوا ما أمروا به، واجتنبوا ما نهوا عنه، فقاموا بحق التعظيم أكمل قيام.

ولقد دون العلماء -رحمهم الله تعالى- تعظيم السلف الصالح للبلد الحرام، وكذلك تعظيم من بعدهم من المسلمين حكماً ومحكومين، ذكرت مواقف منها تثري الثقافة الإسلامية، وتشجذ الهمم، لتعود الأمة الإسلامية لمجدها، يوم أن تحافظ على ثقافتها الإسلامية.

ويمكننا تقسيم المطلب تعظيم أهل الإسلام للبلد الحرام إلى نقاط كالتالي:

- النقطة الأولى: تعظيم شأن الخطيئة في البلد الحرام والإلحاد فيه :

وقد تقدم بنا معنى الإلحاد وأن الذي عليه المحققون من المفسرين: أن الإلحاد لفظ عام يشمل كل معصية صغيرة أو كبيرة.

قال ابن عطية - رَحِمَهُ اللهُ - وهذا الإلحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصغائر، فلعظم حرمة المكان توعدهم الله تعالى على نية السيئة فيه ، ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك إلا في مكة ، هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم^(١).

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ٤/٤٩٠، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام

عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، لبنان.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لأن أخطئ سبعين خطيئة بركبة^(١) أحب إلي من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة"^(٢).

و قال رضي الله عنه: "يا أهل مكة، اتقوا الله في حرم الله، أتدرون من كان ساكن هذا البيت؟ كان به بنو فلان فأحلوا حرمة فأهلكوا، وكان به بنو فلان فأحلوا حرمة فأهلكوا، حتى ذكر ما شاء الله من قبائل العرب أن يذكر، ثم قال: لأن أعمل عشر خطايا في غيره أحب إلي من أن أعمل هاهنا خطيئة واحدة"^(٣) وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: "لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته"^(٤). وعن عبد الرحمن بن سابط - رضي الله عنه - قال: قال عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما -: "يا أهل مكة انظروا ما تعملون فيها، فإنها ستخبر عنكم يوم القيامة بما تعملون فيها"^(٥). وقال - رضي الله عنه - سمعت عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - وهو جالس في الحجر، يطعن بمخصرته في البيت ويقول: "انظروا ما أنتم قائلون غداً إذا سئل هذا عنكم وسئلتم عنه، واذكروا إذ عامره لا يتجر فيه بالربا، ولا يُسفك فيه الدماء ولا يمشى فيه بالنميمة"^(٦). وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٧): "لو أن رجلاً همَّ فيه بالحداد، وهو بعدن أبين^(٨)؛ لأذاقه الله عز وجل عذاباً أليماً"^(٩).

(١) ركة: موضع بالحجاز بين غمرة وذات عرق. النهاية (٢٥٧/٢).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف، باب الخطيئة في الحرم والبيت المعمور، رقم (٨٩٠٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، باب: حرمة البيت وتعظيمه. رقم (١٤٠٩٢).

(٤) رواه عبد الرزاق في المصنف، باب ما يبلغ الإحداد ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، رقم (٩٢٩٢). ومعنى ندهته: زجرته.

لسان العرب ١٣ / ٥٤٧،

(٥) أخبار مكة في قدس الدهر وحديثه، ٢/٢٦٩. أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط ٢، ١٤١٤هـ، بيروت

(٦) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢/١٣٧. أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرق، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.

(٧) سورة الحج: الآية رقم (٢٥).

(٨) موضع في جبل عدن. انظر معجم البلدان ١ / ٥٠

(٩) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، باب: حرمة البيت وتعظيمه. رقم (١٤٠٩٣).

وعن سعيد بن حماد بن عثمان، عن أبي سليمان، قال: قال لي سعيد بن المسيب - رحمه الله -: "لا تسكن مكة - وكان عثمان رجلاً جميلاً - قال: فظننت أنه يريد ذلك. فقلت: يا أبا محمد إني لأرجو أن يدفع الله عني. قال: لست أعني ذلك، ولكن إذا سكنت في الحرم أو شكت أن تعمل فيه ما يعمل في الحل إذا طال عليك، والخطأ فيه أكثر" (١)، وقال ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: "احتكار الطعام بمكة للبيع إحداد" (٢).

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: "الإحداد في الحرم؛ ظلم الخادم فما فوق" (٣).

و عن يعلى ابن مرة أنه سمع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: "يا أهل مكة لا تحتكروا الطعام بمكة فإن احتكار الطعام بمكة إحداد" (٤).

- النقطة الثانية: تعظيم الطاعة في البلد الحرام:

قال مجاهد - رحمه الله -: "رأيت عبد الله بن عمرو بن العاص - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بعرفة ومنزله في الحل، ومصلاه في الحرم، ف قيل له: لم تفعل هذا؟ فقال: لأن العمل فيه أفضل، والخطيئة أعظم فيه" (٥). وكان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - له فسطاطان، أحدهما في الحرم، والآخر في الحل، فإذا أراد أن يصلي صلى في الحرم، وإذا كانت الحاجة إلى أهله جاء إلى الذي في

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف، باب: الجوار ومكث الحرم. رقم (٨٨٨٤).

(٢) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (١٣٥/٢). أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١٣٧/٢. أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٤) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٥١/٣. أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط ٢، ١٤١٤ هـ، بيروت.

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف، باب الخطيئة في الحرم والبيت المعمور، رقم (٨٩٠١).

الحل، فقيل له في ذلك. فقال: "إن مكة مكة"^(١). وقال مجاهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : "نافلة الرجل في بيته خير له من نافلته إلا في المسجد الحرام، ومسجد المدينة"^(٢).

– النقطة الثالثة: التأدب في البلد الحرام :

فعن عطاء أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أبصر رجلاً يعضد^(٣) على بغير له في الحرم فقال له: يا عبدالله، إن هذا حرم الله، لا ينبغي لك أن تصنع فيه هذا. فقال الرجل: إني لم أعلم يا أمير المؤمنين. فسكت عمر عنه^(٤).

وعن عبيد بن عمير عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه رأى رجلاً يقطع من شجر الحرم، ويعلفه بغيراً له، فقال: عليّ بالرجل. فأتي به. فقال: يا عبد الله، أما علمت أن مكة حرام لا يقطع عضاها^(٥) ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا للمعرف، فقال: يا أمير المؤمنين، والله ما حملني على ذلك إلا أن معي نضوًا لي^(٦)، فخشيت أن لا يبلغني أهلي، وما معي زاد ولا نفقة. فرق عليه بعدما همم به، وأمر بغير له من أهل الصدقة موفرًا طحينًا، فأعطاه إياه، وقال: لا تعودن أن تقطع من شجر الحرم شيئًا^(٧).

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١٣١/٢ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ١٠٥/٢. أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت

(٣) قال ابن منظور في اللسان مادة (عضد): (نهي أن يعضد شجرها، أي: يقطع). ٢٩٢/٣

(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (١٤٣/٢)، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقى، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٣٧٠/٣. أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت

(٥) العضاة: كل شجر عظيم له شوكة. انظر: ولسان العرب ١٠/١٨٨

(٦) النضو بالكسر: البعير المهزول. انظر: لسان العرب ١٤/١٤٨

(٧) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٣٧٠/٣، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت

وعن سعيد بن جبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: كنت مع ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - حين أصابه سنان الرمح في أخص قدمه، فلزقت قدمه بالركاب، فنزلت فنزعتها، وذلك بمنى، فبلغ الحجاج، فجعل يعود، فقال الحجاج: لو نعلم من أصابك؟ فقال ابن عمر: أنت أصبتني. قال: وكيف؟ قال: حملت السلاح في يوم لم يكن يحمل فيه، وأدخلت السلاح الحرم، ولم يكن السلاح يدخل الحرم^(١). وكان ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ومجاهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يطوفان بالبيت فمرا بحقة فيها درة فلم يعرضا لها ولم يأخذانها^(٢). وعن عبد الله بن نافع عن أبيه قال: "كان ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - يغشاه الحمام على رحله وطعامه وثيابه ما يطرده. وكان ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - يرخص أن يُكشكش^(٣)"^(٤). وقال يونس بن مسمار - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "دخلنا على عطاء - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - في بيته نعوده، فسمعته يأمر خادمه يُكشكش الحمام عن خمير في البيت"^(٥).

وقال مجاهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "إذا دخلت الحرم؛ فلا تدفعن أحدًا، ولا تؤذين، ولا تزاحم"^(٦).

وعن سعيد بن جبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: "ما رأيت أحدًا أرعى حرمة هذا البيت ولا أحرص عليه منكم يا أهل البصرة، لقد رأيت جارية منهم ذات ليلة متعلقة بأستار الكعبة، فجعلت تدعو وتتضرع وتبكي حتى ماتت"^(٧).

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب: ما يكره من حمل السلاح في العيد والحرم، رقم (٩٦٦).

(٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٤٨/٣، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط ٢، ١٤١٤هـ، بيروت.

(٣) مأخوذ من كشيش الأفعى وهو صوت جلدها إذا حكمت بعضها ببعض. انظر تاج العروس ١/٤٣٤٣.

(٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١٤٥/٢، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرق، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.

(٥) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٣٨٥/٣، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط ٢، ١٤١٤هـ، بيروت.

(٦) المرجع السابق، ٢٥٩/٢.

(٧) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، ٢٢/٢. جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الرياض.

– النقطة الرابعة: محبة السكنى في البلد الحرام والمجاورة فيه:

فعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، قالت: "لولا الهجرة لسكنت مكة، إني لم أر السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة. ولم يطمئن قلبي قط ما اطمأن في مكة، ولم أر القمر بمكان أحسن منه بمكة"^(١). وعن أبي سفيان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قال: جاورت مع جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - بمكة في بني فهر ستة أشهر.^(٢)

– النقطة الخامسة: تعظيم الكعبة المشرفة ورعايتها:

قال عبد الله بن الزبير - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - لما فرغ من بناء الكعبة: "من كانت لي عليه طاعة فليخرج فيعتمر من التنعيم، ومن قدر أن ينحر بدنة فلينحر، فإن لم يقدر فشاة، فإن لم يقدر فليتصدق بما شاء"^(٣). وعن عائشة - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قالت: طيبوا البيت فإن ذلك من تطهيره. وقالت أيضًا: لأن أطيب الكعبة أحب إليّ من أن أهدي لها ذهبًا وفضة^(٤).

وروي أن عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يجمر الكعبة كل يوم برطل من مجمر، ويجمر الكعبة كل جمعة برطلين من مجمر^(٥). وكان عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ينزع كسوة الكعبة، ويقسمها في الحجاج ويكسوها جديدة^(٦). وقال ابن أبي مليكة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقد كساها "معاوية - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - الديداج مع القباطي، فقال شيبة بن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لو طرح عنها ما عليها من كسا الجاهلية فخفف عنها؛

(١) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ١/١٧٦. محمد بن أحمد أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

(٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٢/٢٨٧. أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت.د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت.

(٣) تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام (١/١١٠).

(٤) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (١/٢٤٨). محمد بن أحمد أبو الطيب المكي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

(٥) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٦) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٥/٢٣٢، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت.د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت.

حتى لا يكون مما مسه المشركون شيء لنجاستهم. فكتب في ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان وهو بالشام، فكتب إليه أن جردها، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطي وحبيرة. قال: فرأيت شبيهة جردها حتى لم يترك عليها شيئا مما كان عليها، وخلق جدرانها كلها وطيبها، ثم كساها تلك الكسوة التي بعث بها معاوية إليها، وقسم الثياب التي كانت عليها على أهل مكة، وكان ابن عباس حاضرا في المسجد الحرام وهم يجردونها. قال: فما رأيته أنكر ذلك ولا كرهه"^(١).

● المصاميين الثقافية في تعظيم أهل الإسلام للبلد الحرام:

إن ما سبق ما هو إلا نماذج مختصرة أحسب أن فيها الغنية، وتسد البلغة، في ذكر حال أسلافنا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين، في تعظيمهم للبلد الحرام، ومن سكن فيه، من إنسان وحيوان ونبات، رغم أن أخبارهم في ذلك تعز على الحصر، وتستعصي على الجمع، من كثرتها وتنوعها، والقاسم المشترك في جميع ما ورد عنهم هو: معرفتهم، لقدر هذا البلد الحرام، وإدراكهم لحقه، وقيامهم به، فلقد كانوا رحمهم الله نماذج عملية، ومواقف تطبيقية، لتعظيم البلد الحرام، وهم خير من قاموا بأداء حق هذه الحرمة، وبقيت أخبارهم تشحذ الهمة، للترسم بهديهم، وتجديد حياة القلوب بذكر مواقف تعظيمهم، والمبادرة للاقتداء بهم، والنظر في أحوالهم في تعظيم البلد الحرام، فكم من قلب استيقظ، وعمل صلح، عند سماع سيرهم رضي الله عنهم.

والمأمل لسيرهم رضي الله عنهم في تعظيم البلد الحرام علم يقيناً تقصيره العظيم في حق هذا البيت العظيم، وعلم كم بيننا وبين القوم من بون شاسع في تعظيم البلد الحرام، وعلم أن ما فعلوه من تعظيم، بمقدور كل المسلمين فعله فحري بنا أن نعود إلى جادة الصواب، ونسلك ما سلكه خير القرون، في تعظيم البلد الحرام.

(١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢٦٠/١، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

الفصل الثاني

وسائل تطبيق ثقافة التعظيم للبلد الحرام

وفيه مبحثان على النحو التالي :

مفهوم وسائل تطبيق
ثقافة تعظيم البلد
الحرام.

المبحث الأول :
وسائل تطبيق ثقافة
تعظيم البلد الحرام.

المبحث الأول

مفهوم وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام

وفيه ثلاثة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول: تعريف الوسائل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: خصائص وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام

المطلب الثالث: ضوابط في وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام.

المطلب الأول: تعريف الوسائل في اللغة والإصطلاح

توطئة:

من سنة الله ﷻ الشرعية والكونية أن المقاصد مرتبطة بالوسائل، فلا تتحقق المقاصد إلا بوسائل توصل إليها، كما لا تتحقق ثقافة تعظيم البلد الحرام في المجتمع الإسلامي إلا بوسائل توصل إليه. والمقاصد: "هي الغايات التي تقصد من وراء الأفعال"^(١)، فالمقصد أصل يسعى لتحصيله، والوسيلة، تفعل من أجل حصول المقصد. قال ابن تيمية -رحمه الله-: "الداعي الذي يدعو غيره إلى أمر، لا بد فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصود المراد. والثاني: الوسيلة، والطريق الموصل إلى المقصود؛ فلهذا يُذكر الدعوة؛ تارة إلى الله، وتارة إلى سبيله؛ فإنه سبحانه هو المعبود المراد المقصود بالدعوة"^(٢) و "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها فوسيلة المقصود تابعة للمقصود وكلاهما مقصود"^(٣)، فهما متلازمان، ومرتبطان، ولقد استقر هذا الترابط في الفطر السليمة، والعقول المستقيمة، حتى عدت الرغبة في حصول الشيء دون مباشرة وسائله عبثاً يستحق صاحبه الملامة.

- (١) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص (٣٤). مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيلية، ط ١٤٢٠، ١٤١-
١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية،
(٢) مجموع الفتاوى، ١٥/١٦٢ لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم.
(٣) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ٣/١٠٨ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، رتبته: محمد
عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، بيروت، لبنان.

قال أبو العتاهية - رحمه الله -^(١):

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

ولو تأمل الإنسان في أعماله وحركته اليومية لوجد ارتباطه الوثيق في مباشرة الوسائل^(٢)

لذا يحسن بنا بيان المراد بالوسائل كما يلي:

١. تعريف الوسيلة في اللغة:

الوسائل : جمع وسيلة: وهي مصدر من الفعل الثلاثي وَسَّلَ.

- تأتي بمعنى: "الرغبة والطلب. يقال وسل، إذا رغب. والواسل: الراغب إلى الله ﷻ"^(٣).

- وتأتي بمعنى الدرجة، والمنزلة، والقربة، وما يتوصل به.

قال ابن منظور - رحمه الله -: "الْوَسِيلَةُ الْمُنْزِلَةُ عِنْدَ الْمَلِكِ وَالْوَسِيلَةُ الدَّرَجَةُ وَالْوَسِيلَةُ الْقُرْبَةُ وَوَسَّلَ فُلَانٌ إِلَى اللَّهِ وَسِيلَةً إِذَا عَمِلَ عَمَلًا تَقَرَّبَ بِهِ إِلَيْهِ... وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِوَسِيلَةٍ إِذْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِعَمَلٍ وَتَوَسَّلَ إِلَيْهِ بِكَذَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِحُزْمَةٍ آصِرَةٍ تُعْطَفُهُ عَلَيْهِ وَالْوَسِيلَةُ الْوَصْلَةُ وَالْقُرْبَى وَجَمَعَهَا الْوَسَائِلُ"^(٤).

٢. الوسائل في القرآن الكريم:

ورد ذكر الوسيلة في القرآن الكريم في موضعين:

في قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(٥).

(١) ديوان أبي العتاهية، ص (٢٠٠). قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، بيروت.

(٢) انظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص (٩٧). مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيلية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ٦/١٠ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر،

(٤) انظر: لسان العرب، ١١/٧٢٤، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠-١٩٩٠م.

(٥) سورة المائدة: الآية رقم (٣٥).

أي: "اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه"^(١)، والوسيلة هي: "ما يتوصل بها إلى تحصيل المقصود"^(٢)، وهي كل ما يتقرب به إلى الله وَعَلَيْكُمْ من فعل المأمورات وترك المنهيات.

وقوله وَعَلَيْكُمْ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٣) أي: يتنافسون في القرب من ربهم ويبدلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته، ويخافون عذابه فيجتنبون كل ما يوصل إلى العذاب"^(٤) والوسيلة التي أمرنا الله أن نبتغيها إليه هي التقرب إلى الله بطاعته، وهذا يدخل فيه كل ما أمرنا الله به ورسوله، وهذه الوسيلة لا طريق لنا إليها إلا باتباع النبي وَعَلَيْكُمْ بالإيمان به وطاعته، وهذا التوسل به فرض على كل أحد"^(٥).

قال ابن عاشور -رحمه الله- "فالوسيلة أريد بها ما يبلغ به إلى الله، وقد علم المسلمون أنّ البلوغ إلى الله ليس بلوغ مسافة ولكنّه بلوغ زلفى ورضى. فالتعريف في الوسيلة تعريف الجنس، أي كلّ ما تعلمون أنّه يقربكم إلى الله، أي ينيلكم رضاه وقبول أعمالكم لديه. فالوسيلة ما يقرب العبد من الله بالعمل بأوامره ونواهيه"^(٦).

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣/٣٣٣ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت،

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/١٠٣، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) سورة الإسراء: الآية رقم (٥٧).

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٤٦٠). عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.

(٥) مجموع الفتاوى، ١/٢٤٧، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم

(٦) التحرير والتنوير، ٣/١٢٣ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.

٣. الوسائل في السنة النبوية:

عن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال النبي ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^(١)

وعند مسلم: "ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ"^(٢).

فالوسيلة في الحديث بينها النبي ﷺ، بأنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ﷻ، فهي اسم خاص لأعلى درجة في الجنة، قال ابن كثير - رحمه الله -: "والوسيلة أيضا: علم على أعلى منزلة في الجنة، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش"^(٣)

٤. تعريف الوسائل في الاصطلاح العام:

الوسائل في الاصطلاح العام هي: الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد.

فكل فعل يتوصل به إلى مصلحة أو مفسدة فهو وسيلة بالمعنى العام^(٤).

قال السعدي - رحمه الله -: "هي الطرق التي يسلك منها إلى الشيء، والأمور التي تتوقف الأحكام عليه من لوازم وشروط"^(٥)

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب: الدعاء عند النداء، رقم (٦١٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، رقم (٣٨٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم، ١٠٣/٣، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٤) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص (٤٧). مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيلية، ط ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٥) القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقسيم البديعة النافعة، ص (٣٦). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة السنة، ط ١، القاهرة.

من التعريفات السابقة للوسائل يتضح اشتراكها في كونها سبب موصل للمقصود. ويمكنني بعد ذلك أن أخلص إلى تعريف لوسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام بأنها: "كل ما يتوصل به إلى تعظيم البلد الحرام وفق الشريعة الإسلامية".

فقد جمع هذا التعريف كل وسيلة معنوية ومادية في كل زمان ومكان، ووضح أن الوسيلة والأساليب أداة توصل، وليست غاية فلا يتجاوز في الوسيلة مهمتها، كذلك بيان هدف هذه الوسائل وهو تعظيم الناس كافة مسلمهم وكافرهم للبلد الحرام، ولا بد في هذه الوسائل أن تكون موافقة للشرع غير مخالفة له كما سيأتي بيانه بالتفصيل في ضوابط ووسائل التطبيق بإذن الله تعالى.

المطلب الثاني:

خصائص وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام

● معنى الخصائص في اللغة:

الخصائص: جمع خصيصة: وهي "الصفة التي تميز الشيء وتحدده"^(١). أو "الصفة التي توجد في الشيء ولا توجد في غيره"^(٢).

وبمكنا تعريف خصائص وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام بأنها: "الأمور التي تنفرد بها عن غيرها"، ومن تلك الخصائص:

١. الشرعية:

فهي ملتزمة ومنضبطة بأحكام الشريعة الإسلامية، في وسائلها التعبديّة، مستمدة منها شرعيّتها، بعيدة عن الضلال والانحراف، وتستند إلى كتاب الله ﷻ وسنة رسول الله ﷺ، ولها هيبتها واحترامها، لجلالة مصدرها. وملتزمة بأحكام الشرع في وسائلها المادية العادية، فلا تخالف نصاً شرعياً، أو قاعدة من قواعد الشريعة الإسلامية، وإجماع علمائها.

"فلا يجوز للداعية الخروج على أحكام الشرع في مناهجه وأساليبه ووسائله، لأن الدعوة في حقيقتها، طريقة تطبيق الشريعة، ومنهجها الذي رسمه الله لها، فلا يصح الخروج عليه في أي جانب من جوانبه"^(٣).

(١) المعجم الوسيط، ٢٤٧/١، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.

(٢) معجم لغة الفقهاء، ص (١٩٦). أ.د. محمد رواس قلعه جي ود. حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، بيروت.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة، ص (٣٣٩). محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، بيروت، لبنان.

٢. الشمولية:

تشمل جميع الإسلام من عقيدة، وقول، وعمل، وعبادة، ومعاملات، وأخلاق. وتغذي المسلم إيماناً وعلماً، وتدعوه للعمل والسعي في الحياة، فهي تشمل التثقيف والعمل. والتوازن بين الروح والجسد، وبين العقيدة والعمل، وبين القيادة والعبادة، وبين المجتمع والمسجد، وبين العلم والدين، وبين الأخلاق والسلوك، وبين الدنيا والآخرة، وبين النظرية والتطبيق.^(١)

٣. الواقعية:

فهي تنطلق من واقع الناس، فتخاطبهم مراعية ظروفهم وأحوالهم، ولا تكلفهم ما لا يطيقون، بل هي في مقدورهم، وتسير معهم في حركة حياتهم اليومية، ولذا تجد الكل يتفاعل معها.

ومن واقعيتها تطورها وتنوعها فليست الوسائل على نوعية واحدة، بل تختلف أنواعها، فمنها ما هو مقالي ومنها ما هو كالخطب والمحاضرات والمواعظ، ومنها ما هو كتابي كالكتب والمقالات والرسائل، ومنها ما هو تقني كالحاسب والانترنت والقنوات الفضائية والاشربة، ومنها ما هو بدني، ومنها ما هو قولي، ومنها ما هو مالي، وغير ذلك من وسائل متنوعة لا تحصر، وهي مرنة قابلة للتطور فهي تراعي الزمان والمكان، وتسائر تقنيات كل عصر، فكل عصر وسائله، في جميع جوانب الحياة، وهي أيضاً مقدور على تفعيلها، فهي ليست متكلفة يصعب القيام بها، ولا جامدة لا تتجاوب مع طوارئ الأحداث. وهي مع تطورها ومرونتها تسير على منهج الانبياء والرسول عليهم الصلاة والسلام في جانب الوسائل وهو "استخدام الوسائل المتوفرة في عصرهم ما دامت لا تخالف شرعاً ولا خلقاً"^(٢).

(١) انظر: دراسات في منهج الدعوة إلى الله، د. محمد سعد علي شعيب. (بدون بيانات).

(٢) المدخل إلى علم الدعوة، ص (٣٤١). محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م،

بيروت، لبنان.

٤ . الإحاطة:

فهي محيطية بأكبر زمن للمستهدف ومحيطية بأعمال كثيرة وأكبر عدد من الجهات المؤثرة الفاعلة. محيطية بجميع الناس، غير مختصة ببلد دون بلد، أو بأناس دون آخرين. ومن إحاطتها: سهولة إدراكها والمقصود من ذلك أن معظم هذه الوسائل سهلة وميسورة وليس فيها عنت أو مشقة سواء من قبل من يستعملها وهم الدعاة إلى الله أو من قبل من يستفيد منها من المخاطبين بها^(١).



(١) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٢/٦٧٧، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الرياض.

المطلب الثالث:

الضوابط الشرعية لثقافة تعظيم البلد الحرام

يتحتم عليّ وأنا بصدد البحث عن وسائل تعظيم البلد الحرام أن أعرف الوسائل التي يجوز استعمالها من الوسائل التي لا يجوز استعمالها، فوسائل وأساليب التعظيم الثقافية التعبدية، لا بد أن تكون منضبطة بأحكام الإسلام، إذ الغاية لا تبرر الوسيلة، بل لا بد أن تكون الوسيلة منقادة للشرعية، لذا لا بد من ضوابط تبنى عليها الوسائل وتنطلق منها كل وسيلة تعظيم في كل زمان ومكان، وقد اجتهد الباحث في حصر بعض تلك الضوابط:

١. أن تكون وسيلة التعظيم موافقة لأحكام الشرع:

فإن كانت وسيلة التعظيم، مخالفة لكتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ، أو قواعد الإسلام العامة، فلا يشرع التوسل بها، "إذ لا يتقرب إلى الله إلا بأنواع المصالح والخير، ولا يتقرب إليه بشيء من أنواع المفساد والشور"^(١)، وليس هناك طريقة شرعية موصلة لتعظيم البلد الحرام، إلا وجاءت الشريعة به، وبينته على أمته، وكُفّي المرء بهذا إثم الابتداع، ودعي لنيل الأجر بالاتباع، والانقياد لشرع الله ﷻ، فلا بد من الإخلاص لله ﷻ والمتابعة لرسول الله ﷺ في تعظيم البلد الحرام، "فمن جمع الله له الأصلين أفلح وسعد، ومن فاته الأمران أو أحدهما خسر خسراناً مبيناً، ومن كان تارة وتارة استحق من الخير والثواب والمدح بقدر إخلاصه ومتابعته قلة وكثرة وقوة وضعفاً؛ فلا أنفع للعبد من جعل الإخلاص والمتابعة نصب عينيه في كل ما يأتي وما يذر وفي كل ما يقول ويفعل؛ حتى يكون الإخلاص له نعتاً والمتابعة له وصفاً، وتضمحل عن قلبه جميع المقاصد والأغراض المنافية للإخلاص، ويدع البدع الاعتقادية والبدع الفعلية إيثاراً للمتابعة، فإن من صدق الرسول في كل ما يقول؛ فقد برىء من بدع العقائد، ومن

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٩٧/١، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، مؤسسة

الريان، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، بيروت، لبنان.

اقتصر على ما أمر به الرسول من العبادات، ولم يجرم ما أحل الله من الطيبات؛ فقد سلم من بدع الأعمال"^(١).

٢. أن تؤدي وسيلة التعظيم إلى المقصد المشروع:

وذلك إما على سبيل القطع، أو الظن، أو الاحتمال المساوي.

وأداء الوسيلة إلى مقصودها له حالات:

أ- أن يكون الأداء إلى المقصود ثابتاً قطعاً، فلا إشكال في مشروعية الوسيلة، وذلك لتحقق المقصود منها وحصوله قطعاً.

ب- أن يكون الأداء إلى المقصود منتفياً قطعاً، فيسقط اعتبار الوسيلة، لأن الوسائل إنما شرعت لتحصيل مقاصدها، فإذا انتفى المقصود كان تحصيل الوسيلة عبثاً.

ت- أن يكون الأداء إلى المقصود مظنوناً حصوله أو مظنوناً انتفاؤه، فهذه من مواضع الاجتهاد، والخلاف فيها سائغ، وإن كان الأظهر كما قال الشاطبي رحمه الله أن أداء الوسيلة إلى المقصود إن كان مظنوناً حصوله فالوسيلة باقية على أصل المشروعية"^(٢).

٣. مراعات الأولويات عند استخدام وسائل التعظيم:

فلا بد من مراعاة الأولويات في استخدام وسائل التعظيم للبلد الحرام، ومراتب الوسائل، وتفاضلها تابع لمراتب مصالحها، "فالوسيلة إلى أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل، ثم تترتب الوسائل بترتب المصالح والمفاسد، فمن وفقه الله للوقوف على ترتيب المصالح؛ عرف فاضلها من مفضولها ومقدمها ومؤخرها"^(٣).

(١) مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، ص (١٧). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، الدمام المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص (٣٤٧). مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيليا، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٣) قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، ١/٤٣ أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، مؤسسة الريان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، بيروت، لبنان.

و"يختلف أجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها ، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل ، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه ، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته ، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجمعات ، والتوسل بالسعي إلى الجمعات أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات ، والتوسل بالسعي إلى الصلوات المكتوبات أفضل من التوسل بالسعي إلى المندوبات التي شرعت فيها الجماعات كالعيدين والكسوفين ، وكلما قويت الوسيلة في الأداء إلى المصلحة ، كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها ، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل ، لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل ، وإلى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل ، والإنذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والعصيان ، والتبشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان^(١) .

٤ . أن يتدرج في استخدام وسائل التعظيم:

فلا يبادره إلى استعمال جميع الوسائل دفعة واحدة، بل يتدرج في استعمال الوسائل شيئاً فشيئاً، وخطوة خطوة، فيبدأ بالوسائل التي تعالج الأصول قبل الفروع والأهم قبل المهم، فالله ﷻ لم يكلف عباده ما لا يطيقونه، بل سلك بهم طريقاً وسطاً. فاهتم القرآن أولاً بزرع وتثبيت العقيدة في النفوس، ولم يكلفهم من العبادات في البلد الحرام، إلا القليل، فالصلاة لم تفرض عليهم إلا قبل الهجرة بقليل، ثم فرض الصيام والزكاة في السنة الثانية من الهجرة، والحج في السنة التاسعة^(٢).

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ٩١/١، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، مؤسسة الريان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، بيروت، لبنان.

(٢) دراسات أصولية في القرآن الكريم، ص (٤٧٩). محمد إبراهيم الحفناوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، القاهرة.

● أقسام وسائل تعظيم البلد الحرام باعتبار نص الشرع وعدمه:

١. وسائل معتبرة شرعاً بلا خلاف:

وهي التي نص عليها الشرع، فأمر بها أو حث عليها:

فأي وسيلة نص الشرع على مشروعيتها، بأن أمر بها وباستخدامها، على سبيل الوجوب أو الندب، أو صرح بإباحتها، وجواز استخدامها، فهي وسيلة مشروعة، بحسب نوع مشروعيتها، فهي تتنوع بتنوع الحكم التكليفي المنوط بها، فالوسيلة الواجبة، كالسعي للحج الواجب، والمندوبة، كتقبيل الحجر الأسود، ومنها ما هو مباح، كالكسب الحلال خلال أداء المناسك^(١).

٢. وسائل مهدرة شرعاً بلا خلاف:

فأي وسيلة نص الشرع على عدم اعتبارها، ونهى عنها، بأي وجه من أوجه النهي، فهي وسيلة ممنوعة، بحسب نوع النهي تحريماً كان أو كراهة، فالوسيلة المحرمة كالذي يسرق ليحج، وكالكذب في دعوة الناس للتعظيم، ورواية القصص المكذوبة، والحكايات الملفقة، والأحاديث الموضوعية، لترهيب الناس أو ترغيبهم في التعظيم، بدعوى تحقيق نتائج أفضل، فكل هذا لا يجوز إذ الغاية لا تبرر الوسيلة.

(١) انظر: المدخل إلى علم الدعوة، ص(٢٩٠). محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، بيروت، لبنان. وانظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص(١٧٣). مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيلية، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

المبحث الثاني

وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام

وفيه ثلاثة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول: أقسام وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

المطلب الثاني: الوسائل الشرعية التعبدية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

المطلب الثالث: الوسائل العادية المادية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام.

المطلب الأول:

أقسام وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام

يمكنني تقسيم وسائل تطبيق تعظيم البلد الحرام إلى قسمين:

١. وسائل تعبدية شرعية.

٢. وسائل مادية.

١. الوسائل الشرعية التعبدية:

والمراد بالوسائل الشرعية التعبدية: هي الوسائل التي تتخذ عبادة وقربة عند الله ﷻ في تعظيم البلد الحرام، فكل وسيلة من الوسائل التعبدية الشرعية في التعظيم، مأمور بها أو منهي عنها، قد شرعها الله ﷻ ورسوله ﷺ، فهي وسائل توقيفية لا مجال فيها للاجتهاد ويحرم الابتداء فيها.

قال ابن سعدي-رحمه الله-: "ومن أحكامه-القرآن الكريم- الكلية أن الأصل في العبادات الحظر؛ فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله، والأصل في المعاملات والاستعمالات كلها الإباحة؛ فلا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله، وعلى هذا جميع أحكام العبادات والمعاملات وغيرها مما لا يمكن إحصاؤه، ولهذا من شرع في عبادة لم تنقل عن الشارع فهو مبتدع، ومن حرم من العادات شيئاً لم يرد عن الشارع فهو مبتدع"^(١).

٢. الوسائل المادية:

وأما الوسائل المادية فهي: ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه^(٢)، مما جرت به العادة في كل زمان ومكان، ومما لا يعتقد أنه عبادة لله ﷻ، ولكن يوصله إلى مقصد مشروع،

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، ص (١٧١). عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٢٢هـ، المملكة العربية السعودية.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ١٦/٢٩ لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

وله الإذن في فعله، وفي تركه، لا في تحريمه، قال السعدي -رحمه الله-: "العادات: هي ما اعتاده الناس من المآكل والمشارب وأصناف الملابس والذهب والمجيء والكلام وسائر التصرفات المعتادة، فلا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله إما نصاً صريحاً أو يدخل في عموم أو قياس صحيح"^(١) فجميع الوسائل العادية التي تخدم المسلم لتطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام، هي على الإباحة، لا يتعلق بها أمر ولا نهي لذاتها.

• ويمكن ملاحظة الفروق بين الوسائل التعبديّة والوسائل المادية بأمور منها:

- أن العبادات غير معلومة المعنى على وجه التفصيل بينما العادات معلومة المعنى على وجه التفصيل، فالعبادات معلومة المعنى من حيث الجملة، إذ المراد بها تعظيم الله ﷻ، ولكن المعاني التفصيلية للعبادة غير معلومة، فلا نعرف سر التبعيد بركعتين في الفجر، وثلاث في المغرب، وأربع في الظهر والعصر والعشاء.

قال الشاطبي -رحمه الله-: "ما لم يعقل معناه على التفصيل من المأمور به أو المنهي عنه؛ فهو المراد بالتعبدي، وما عقل معناه وعرفت مصلحته أو مفسدته فهو المراد بالعادي، فالطهارات والصلوات والصيام والحج كلها تعبدية، والبيع والنكاح والشرء والطلاق والإجازات والجنايات كلها عادي، لأن أحكامها معقولة المعنى"^(٢).

- أن معنى القرية والطاعة ظاهر في العبادات فهي موضوعة في الأصل للتقرب بذاتها إلى الله ﷻ، دون أن يكون المقصود بها في ذاتها تحصيل منفعة دنيوية، وإنما القصد إصلاح الدين، وأما العادات فإنها لم توضع في الأصل لقصد التقرب بها، وإنما لوحظ فيها معنى المصلحة في الأصل، فهي لمصالح دنيوية، ولا ثواب له فيها. قال ابن تيمية رحمه الله: "تصرفات

(١) رسالة في القواعد الفقهية، ص(٢٩). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة السعيدية، الرياض.

(٢) الاعتصام، ١/٥٧٠ إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط ١،

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، السعودية.

العباد من الأقوال والأفعال نوعان: عبادات يصلح بها دينهم، وعبادات يحتاجون إليها في دنياهم" (١).

أما إذا باشر المكلف الوسيلة العادية وهو يعتقد أنها عبادة في ذاتها ويتقرب بها إلى الله، كما يتقرب بالصلاة والصيام، فهذا عمل باطل، من جهة اعتقاد المكلف، لا من جهة بطلان الوسيلة، ومن أشكل عليه هذا الأمر واشتبه، وغم عليه فيه والتبس، فليتأمل حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يُقَوْمَ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَنْظِلَ وَلَا يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مُرَّهُ فَلَيْتَكَلَّمَ وَلَيْسْتَنْظِلَ وَلَيْقْعُدَ وَلَيْتَمَّ صَوْمَهُ" (٢).

فإن أبا إسرائيل رضي الله عنه تعبد لله ﷻ بالقيام، والتعرض للشمس، وعدم الكلام، وهي وسائل عادية، فجعلها قرينة في ذاتها لله ﷻ، فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، وأبطل فعله.

ولما تعبد لله ﷻ بالصيام وهي وسيلة شرعية تعبدية بذاتها، أمره بإتمام صومه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولو سُئِلَ العالم عمن يعدو بين جبلين: هل يباح له ذلك؟ قال: نعم، فإذا قيل: إنه على وجه العبادة كما يسعى بين الصفا والمروة، قال: إن فعله على هذا الوجه حرام منكر، يستتاب فاعله، فإن تاب وإلا قتل.

ولو سُئِلَ عن كشف الرأس، ولبس الإزار، والرداء: أفتى بأن هذا جائز، فإذا قيل: إنه يفعل على وجه الإحرام، كما يحرم الحاج. قال: إن هذا حرام منكر" (٣).

أما إذا باشر الوسيلة العادية، وقصد بها التوصل إلى مقصد مشروع، فهذا توسل صحيح، فيثاب عليه من جهة القصد والنية الصالحة (٤)، ولذلك حث العلماء رحمهم الله على استحضار

(١) مجموع الفتاوى، ١٦/٢٩ لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

(٢) رواه البخاري، كتاب الأيمان والندور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية، رقم (٦٢١٠).

(٣) مجموع الفتاوى، ١١/٦٣٢ لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

(٤) قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، ص (٣٢٥). مصطفى بن كرامة الله مخدم، دار إشبيلية، ط ١، ١٤٢٠هـ -

١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

هذه النية، في الأقوال والأفعال المباحة، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، ويقصد الاستعانة بها على الطاعة"^(١)

وقال النووي-رحمه الله-: "المباح إذا قصد به وجه الله تعالى صار طاعة، ويثاب عليه، وقد نبه ﷺ على هذا بقوله ﷺ: "حَتَّى اللَّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ"^(٢)؛ لأن زوجة الإنسان هي من أحص حظوظه الدنيوية وشهواته وملاذه المباحة، وإذا وضع اللقمة في فيها فإنما يكون ذلك في العادة عند الملاعبة والملاطفة والتلذذ بالمباح، فهذه الحالة أبعد الأشياء عن الطاعة وأمور الآخرة، ومع هذا فأخبر ﷺ أنه إذا قصد بهذه اللقمة وجه الله تعالى، حصل له الأجر بذلك، فغير هذه الحالة أولى بحصول الأجر إذا أراد وجه الله تعالى، ويتضمن ذلك أن الإنسان إذا فعل شيئاً أصله على الإباحة، وقصد به وجه الله تعالى يثاب عليه، وذلك كالأكل بنية التقوي على طاعة الله تعالى، والنوم للاستراحة؛ ليقوم إلى العبادة نشيطاً، والاستمتاع بزوجه وجاريتته؛ ليكف نفسه وبصره ونحوهما عن الحرام؛ وليقضي حقها؛ ليحصل ولداً صالحاً، وهذا معنى قوله ﷺ: "وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ"^(٣)^(٤). فللنية تأثير يحيل العادات إلى عبادات، وهذا باب شريف، عظيم القدر، جليل الخطر والأثر، ينبغي أن يُعقل ولا يُهمَل، ويُطلب مزيد بحثه في مظانه، ويُؤخذ من محله ومكانه، والله أعلم.

- أن العبادات أنشأها الشرع وأمر بها، وليس للعباد فيها إلا التلقي والتنفيذ، أما

المعاملات فقد تكون موجودة قبل الشرع، فيقر الصالح منها ويلغي السيء، ويهذب ما يحتاج إلى تهذيب^(٥). قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فباستقراء أصول الشريعة نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع. وأما العادات فهي ما اعتاده الناس في دنياهم مما يحتاجون إليه، والأصل فيه عدم الحظر، فلا يحظر منه إلا ما حظره الله سبحانه

(١) مجموع الفتاوى، ١٠/٤٦٠ لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

(٢) رواه مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، برقم (١٦٢٨).

(٣) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٦).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٦، الريان، مصر.

(٥) انظر: مقاصد المكلفين، ص (٥٥) لعمر الأشقر، دار النفائس، ط ٢، ١٤١١هـ، الأردن.

وتعالى. وذلك لأن الأمر والنهي هما شرع الله، والعبادة لا بد أن تكون مأمورًا بها. فما لم يثبت أنه مأمور به كيف يحكم عليه بأنه عبادة؟! وما لم يثبت من العبادات أنه منهي عنه كيف يحكم على أنه محظور؟! ولهذا كان أحمد وغيره من فقهاء أهل الحديث يقولون: إن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى، وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِّحَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) والعبادات الأصل فيها العفو، فلا يحظر منها إلا ما حرمه، وإلا دخلنا في معنى قوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَلِلَّهِ أَذِنٌ لَّكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^{(٢)»(٣)}.



(١) سورة الشورى: الآية رقم (٢١).

(٢) سورة يونس: الآية رقم (٥٩).

(٣) مجموع الفتاوى، ١٦/٢٩، لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.

المطلب الثاني: الوسائل الشرعية التعبدية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام

يمكنني تقسيم الوسائل الشرعية، حسب دلالات ألفاظ خطاب الشرع لها، إلى قسمين:

• أقسام الوسائل الشرعية:

١. الأمر : وهو طلب الفعل.

والأصل في الأمر الوجوب، سواء كان الأمر في الأحكام، أو في الآداب، إلا إذا اقترنت به قرينة، تصرفه إلى الندب^(١)، لعموم قول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢) وقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣)

٢. النهي : وهو طلب الترك.

كذلك النهي الأصل فيه التحريم، سواء كان النهي في الأحكام، أو في الآداب، إلا إذا اقترنت به قرينة، تصرفه إلى الكراهة، لعموم قول الله ﷻ: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٤) وقول النبي ﷺ: "فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ"^(٥).

(١) شرح قواعد الأصول ومعاقد الفصول، ص (٢٩٠). د. سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيلية، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، الرياض.

(٢) سورة النور: الآية رقم (٦٣).

(٣) سورة الأحزاب: الآية رقم (٣٦).

(٤) سورة الحشر: الآية رقم (٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم (٧٢٨٨). ورواه مسلم،

كتاب الحج، باب: فرض الحج مرة في العمر، رقم (١٣٣٧).

ولقد جاءت وسائل تعظيم البلد الحرام في الكتاب والسنة على قسمين؛ أمر بالفعل، وأمر بالترك، وقد سبق الحديث عنها مفصلة، في طيات هذا البحث، وفيه ما يغني عن إعادتها، ويكفي تعدادها، والإشارة إليها، في هذا المطلب على النحو التالي:

أ- الوسائل الشرعية التعبدية المأمور بها في تعظيم البلد الحرام:

١. تأمين الداخل للبلد الحرام:

قال الله ﷻ: ﴿أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا مِمَّا﴾^(١)

وقال ﷻ: "فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّهُ لَمْ يَجَلِّ الْقِتَالَ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَمَنْ يَجَلِّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"^(٢)

قال السعدي -رحمه الله-: " قد أمر الله رسوله إبراهيم ثم رسوله محمد باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا يقام عليه الحد حتى يخرج منه"^(٣).

٢. التوجه إلى الكعبة المشرفة أحياءً وأمواتاً:

قال الله ﷻ: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾^(٤)

(١) سورة القصص: الآية رقم (٥٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يجزى القتال بمكة، رقم (١٨٣٤)، ورواه مسلم، كتاب الحج؟، باب: تحريم مكة وصيودها وشجرها ولقطتها، رقم (١٣٥٣).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (١٣٨). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، بيروت.

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٥٠).

وأخبر ﷺ أن البيت الحرام قبلتنا أحياءً وأمواتاً، وذلك عندما عدد جملةً من الموبقات فقال: "وَأَسْتَحْلَلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قَبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا"^(١). فالمسلم مأمور باستقبالها في أي موضع استقر فيه، والله ﷻ لم يقيد الخروج بغاية، فمن حيث خرج إلى أي مخرج كان، من صلاة، أو غزو، أو حج، أو غير ذلك، فهو مأمور باستقبال المسجد الحرام، هو والأمة، وفي أي بقعة كانوا من الأرض^(٢).

قال ابن حزم -رحمه الله-: "ويجعل الميت في قبره على جنبه اليمين، ووجهه قبالة القبلة، ورأسه ورجلاه إلى يمين القبلة ويسارها، على هذا جرى عمل أهل الاسلام من عهد رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا، وهكذا كل مقبرة على ظهر الارض"^(٣).

٣. المحافظة على أداء الصلوات في البلد الحرام:

قال الله ﷻ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤) "أي ما أسكنتهم هذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتق، إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم، ويعمروه بذكرك وعبادتك، وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك، متبركين بالبقعة التي شرفها على البقاع، مستسعين بجوارك الكريم، متقربين إليك بالعكوف عند بيتك، والطواف به والركوع والسجود حوله، مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك"^(٥) وقال: رسول الله ﷺ: "صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، مِنْ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ صَلَاةٍ فِي

(١) رواه أبو داود، كتاب الوصايا، باب: ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم، رقم (٢٨٧٥)، وحسنه الألباني.

(٢) انظر: بدائع الفوائد، ص (١٦٠٢). الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، ط المجمع، جدة.

(٣) المحلى بالآثار، ٣/٤٠٤ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤) سورة إبراهيم: الآية رقم (٣٧).

(٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٢٨٨/٣ جار الله أبو القاسم محمود بن

عمر الزنجشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ، بيروت

هَذَا"^(١). ومن ذلك الصلاة خلف مقام إبراهيم عليه السلام كما قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾^(٢)، قال ابن جرير - رحمه الله -: "اتخذوا أيها الناس من مقام إبراهيم مصلى تصلون عنده، عبادة منكم، وتكرمة مني لإبراهيم"^(٣).

٤ . المحافظة على طهارة البيت الحرام من النجاسات الحسية والمعنوية:

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤) وقال عز وجل: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٥)

وقد طهر رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت الحرام من الشرك وأهله، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة أبي أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأخرجت"^(٦).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاث مئة نصب، فجعل يطعنهما، يعود في يده، ويقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَرَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(٧) ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُدِّئِ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾^(٨) ^(٩)، قال الشنقيطي - رحمه الله - الله - في معنى التطهير في هذه الآية: "لا يجوز أن يترك عند بيت الله الحرام قدر من الأقدار، ولا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، مسند المكيين، حديث عبد الله بن الزبير بن العوام، رقم (١٦٢١٦). وصححه ابن حبان رقم (١٦٢٠)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال ابن عبد البر: أسند حبيب هذا الحديث وجوده، وذكر الهيثمي أن رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣/٣٨ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٥) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٦) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: من كبر في نواحي الكعبة، رقم (١٦٠١).

(٧) سورة الإسراء: الآية رقم (٨١).

(٨) سورة سبأ: الآية رقم (٤٩).

(٩) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب: أين ركز النبي صلى الله عليه وسلم الراية يوم الفتح؟، رقم (٤٢٨٧) واللفظ له، ورواه مسلم،

كتاب الجهاد والسير، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١).

نجس من الأنجاس المعنوية ولا الحسية ، فلا يترك فيه أحد يرتكب ما لا يرضي الله ، ولا أحد يلوثه بقدر من النجاسات ... ولا شك أن ارتكاب أي شيء حرمه رسول الله ﷺ أنه من الأقدار والأنجاس المعنوية التي يلزم تطهير بيت الله منها . وكذلك ما يقع في المسجد من الكلام المخل بالدين والتوحيد لا يجوز إقرار شيء منه ولا تركه . ونرجو الله لنا ولمن ولاه الله أمرنا ، وإخواننا المسلمين التوفيق إلى ما يرضيه في حرمه ، وسائر بلادہ، إنه قريب مجيب" (١).

● ومن مظاهر ثقافة تعظيم البلد الحرام في المحافظة على نظافته وطهارته وهي من أهم مظاهر التعظيم والتبجيل والتشريف:

أ- غَسْلُ الكعبة المشرفة :

إن غسل الكعبة المشرفة يجسد مدى الاهتمام العظيم ببيت الله الحرام ونظافته وتطهيره، وهي سنة نبوية فعلها الرسول ﷺ يوم فتح مكة حينما دخل وصحبه الكعبة وقام بغسلها تطهيراً لها من أي رجس، فعن عبد الله بن عبيدة رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ حِينَ دَخَلَهَا وَهُوَ مُعْتَجِرٌ بِشِقَّةِ بُرْدٍ أَسْوَدَ ، فَطَافَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقِضْوَاءِ فِي يَدِهِ مَحْجَنٌ يَسْتَلِمُ بِهِ الْأَرْكَانَ ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنهما - : فَمَا وَجَدْنَا لَهَا مَنَاحًا فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَيْدِي الرَّجَالِ ، ثُمَّ خَرَجَ بِهَا حَتَّى أُنِيختَ فِي الْوَادِي ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ عَلَى رِجْلَيْهِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ: " أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظَّمَهَا بِآبَائِهَا ، النَّاسُ رِجَالَانِ ، فَبَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللَّهِ ، وَكَافِرٌ شَقِيٌّ هَيْنَ عَلَى اللَّهِ ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢) أَقُولُ هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ ، قَالَ: ثُمَّ عَدَلَ إِلَى جَانِبِ الْمَسْجِدِ فَأُتِيَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ فَعَسَلَ مِنْهَا وَجْهَهُ ، مَا تَقَعُ مِنْهُ قَطْرَةٌ إِلَّا فِي يَدِ إِنْسَانٍ ، إِنْ كَانَتْ قَدَرٌ مَا يَحْسُوهَا حَسَاهَا ، وَإِلَّا مَسَحَ بِهَا ، وَالْمُشْرِكُونَ يَنْظُرُونَ ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مُلْكًا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ٤/٣٦٠. محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط١، ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة.

(٢) سورة الحجرات: الآية رقم (١٣).

قَطُّ أَعْظَمَ مِنَ الْيَوْمِ ، وَلَا قَوْمًا أَحَمَقَ مِنَ الْيَوْمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِلَاقَةِ فَرْقَى عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، فَأَذَّنَ بِالصَّلَاةِ ، وَقَامَ الْمُسْلِمُونَ فَتَجَرَّدُوا فِي الْأُزُرِ ، وَأَخَذُوا الدَّلَاءَ وَارْتَجَزُوا عَلَى زَمَزَمَ يَغْسِلُونَ الْكَعْبَةَ ظَهْرَهَا وَبَطْنَهَا، فَلَمْ يَدْعُوا أَثَرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَّا مَحْوَهُ أَوْ غَسَلُوهُ"^(١)، وقد دأب على هذا العمل المسلمون من عهد النبوة إلى يومنا هذا، وتتم عملية غسل الكعبة في زماننا هذا جرياً على العادة السنوية التي انتهجتها الحكومة السعودية منذ عهد الملك عبدالعزيز -رحمه الله- مرتين في العام، الأولى في شهر شعبان والثانية في شهر الحرم، ويستخدم في غسلها ماء زمزم ودهن العود وماء الورد، ويتم غسل أرضية الكعبة والجدران الأربعة من الداخل بارتفاع متر ونصف المتر، ثم تجفف وتعطر بدهن العود الثمين.

ب- كسوة الكعبة المشرفة:

لقد حظي البيت الحرام منذ أن أمر الله ﷻ نبيه إبراهيم ﷺ برفع قواعده بكل التعظيم والتشريف والرعاية والاهتمام عبر العصور، ومن مظاهر هذا التعظيم والتبجيل والاهتمام: كسوته، وكان تُبَعِّع الحميري أول من كسا البيت كسوة كاملة أري في المنام أن يكسوها فكساها الأنطاع^(٢)، ثم أري في المنام أن يكسوها الوصائل وهي ثياب حبرة، من عصب اليمن^(٣) ثم كساها الناس بعده في الجاهلية، وروى الأزرق في روايات متفرقة^(٤) حاصلها أن النبي ﷺ كسا الكعبة ثيابا يمانية ثم كساها أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابن الزبير ومن بعدهم، -رضي الله عنهم- وأن عمر ﷺ كان يكسوها من بيت المال فيكسوها القباطي^(٥) وكساها ابن الزبير

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف، حديث فتح مكة. رقم (٣٦٩١٩). وانظر: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، ٣٢١/٥ أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط٢، ١٤١٤هـ، بيروت.

(٢) بسط من الجلد.

(٣) ثياب مخططة يجمع غزلها ويشد ثم يصبغ وينسج.

(٤) انظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢٥٣/١ أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرق، ت: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس، بيروت.

(٥) ثياب بيض رقيقة كان يصنعها القبط بمصر.

ومعاوية - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الديباج^(١)، وكانت تكسى يوم عاشوراء، ثم صار معاوية - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يكسوها مرتين ثم كان المأمون يكسوها ثلاث مرات^(٢)، وهكذا درج المسلمون حكماً وشعوباً على كسوة الكعبة المشرفة، أو المساهمة فيها، حتى أطل عهد المملكة العربية السعودية، ومن زمن المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله - عني بكسوة الكعبة المشرفة عناية فائقة، ففي مستهل شهر محرم ١٣٤٦هـ، أصدر الملك عبد العزيز، وأمره بإنشاء دار خاصة بصناعة الكسوة، وفي عام ١٣٩٧هـ. نقل العمل في الكسوة إلى المصنع الجديد، الذي تم بناؤه في أم الجود بمكة المكرمة، ولا زالت الكسوة الشريفة تصنع به إلى يومنا هذا، ويتم تغيير كسوة الكعبة مرة في السنة وذلك خلال موسم الحج في يوم عرفة .

٥. توحيد الله ﷻ في البلد الحرام والاستسلام له:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾^(٣)

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤)، قال السعدي - رحمه الله -: " قل لهم يا محمد: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ﴾ أي: مكة المكرمة التي حرّمها وأنعم على أهلها فيجب أن يقابلوا ذلك بالشكر والقبول. ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ من العلويات والسفليات أتى به لئلا يتوهم اختصاص ربوبيته بالبيت وحده ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي: أبادر إلى الإسلام، وقد فعل ﷺ فإنه أول هذه الأمة إسلاماً وأعظمها استسلاماً"^(٥).

(١) ما غلظ من الحرير.

(٢) انظر: الإيضاح في مناسك الحج والعمرة، ص (٤٤١). يحيى بن شرف النووي، المكتبة الإمدادية، ط ٥، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

(٣) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٤) سورة النمل: الآية رقم (٩١).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص (٦١١). عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ١،

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، بيروت.

٦. الطواف بالبيت الحرام:

قال عَلَيْكَ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(١)

وقال عَلَيْكَ: مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا فَأُحْصَاهُ كَانَ كَعَتَقِ رَقَبَةٍ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لَا يَضَعُ قَدَمًا وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى إِلَّا حَطَّ اللَّهُ عَنْهُ حَطِيئَةً وَكَتَبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةً^(٢)

٧. السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة:

قال عَلَيْكَ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾^(٣). فالصفا والمروة من شعائر الله عَلَيْكَ: أي: "من معالم الله التي جعلها تعالى ذكره لعباده معلماً ومشعراً يعبدونه عندها، إما بالدعاء، وإما بالذكر، وإما بأداء ما فرض عليهم من العمل عندها"^(٤).

وعن صفية بنت شيبة عن جدتها بنت أبي تجرأه^(٥) قالت: "كانت لنا خلفة في الجاهلية قالت: اطلعت من كوة بين الصفا والمروة فأشرفت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا هو يسعى وإذا هو يقول لأصحابه: اسْعَوْا فَإِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ السَّعْيَ. فلقد رأيت من شدة السعي يدور الإزار حول بطنه حتى رأيت بياض بطنه، وفخذيته"^(٦)

(١) سورة الحج: الآية رقم (٢٦).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الحج، باب: ما جاء في استلام الركنين، رقم (٩٥٩). وصححه الألباني.

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٥٨).

(٤) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، ٣ | ٢٢٤ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت.

(٥) تجرأه: بكسر المثناة وسكون الجيم بعدها راء ثم ألف ساكنة ثم هاء، وقيل غير ذلك. وهي إحدى نساء بني عبد الدار، انظر فتح الباري ١٢/١٨٨.

(٦) رواه ابن خزيمة في صحيحه، كتاب المناسك، باب: ذكر البيان أن السعي بين الصفا والمروة واجب، رقم (٢٧٦٤).

وصححه الألباني في الإرواء رقم (١٠٧٢).

٨. تقبيل الحجر الأسود واستلامه والإشارة إليه:

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: قلت لابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : أراك تزاحم على هذين الركنين قال: إن أفعل فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ مَسْحَهُمَا يَحُطَّانِ الْخَطَايَا" ^(١) وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - ، قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يُنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ عَلَى مَنْ يَسْتَلِمُهُ بِحَقِّ" ^(٢) ، وعن الزبير بن عريبي قال: سأل رجل ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن استلام الحجر فقال: رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله، قال: قلتُ: رأيتُ إن زُحمتُ، رأيتُ إن غُلبتُ؟ قال: اجعل "أرأيتُ" باليمن، رأيتُ رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله ^(٣) . وعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: "طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ" ^(٤) ، وعنه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: "طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ كَلَّمَا أَتَى عَلَى الرُّكْنِ أَشَارَ إِلَيْهِ بِشَيْءٍ كَانَ عِنْدَهُ وَكَبَّرَ" ^(٥)

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -: "كان في طوافه يستلم الحجر الأسود ويقبله، واستلمه بيده وقبلها، واستلمه بمحجن كان معه وقبل المحجن وهو راكب على بعيره، وطاف على بعيره فجعل يُشير إلى الركن - يعني الحجر - كلما مر به. وثبت عنه ﷺ أنه كان يستلم الركن اليماني. واختلاف الصفات في استلام الحجر إنما كان - والله أعلم - حسب السهولة، فما سَهَّلَ عليه منها فعل، وكلُّ ما فعل من الاستلام والتقبيل والإشارة إنما هو تعبد لله تعالى، وتعظيم له، لا اعتقاد أن الحجر ينفع أو يضر. وفي الصحيحين عن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه كان يُقبِّل

(١) رواه أحمد في المسند، مسانيد المكثرين، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - رقم (٥٧٠١). وصححه

الألباني في صحيح الجامع رقم (٢١٩٠)

(٢) رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب: استلام الحجر، رقم (٢٩٤٤). وصححه الألباني.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: تقبيل الحجر، رقم (١٦١١).

(٤) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: استلام الركن بالمحجن، رقم (١٦٠٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: التكبير عند الركن، رقم (١٦١٣).

الحجر ويقول: "إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ" (١) (٢).

٩. استلام الركن اليماني حال الطواف:

عن عبد الله بن عمرو - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ الرُّكْنَ وَالْمَقَامَ يَأْفُوتَانِ مِنْ يَأْفُوتِ الْجَنَّةِ، طَمَسَ اللَّهُ نُورَهُمَا، وَلَوْ لَمْ يَطْمَسْ نُورَهُمَا، لَأَضَاءَنَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ" (٣).

وقال ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - : " لا أدع استلام هذين الركنين منذ رأيت رسول الله ﷺ يستلمهما" وقال نافع-رحمه الله-:"فكان ابن عمر- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - يزاحم على الركنين حتى يعرف ثم يجيء فيغسله" (٤) قال ابن القيم-رحمه الله-:"وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله، واستلامه، وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني" (٥).

وقال ابن حجر-رحمه الله-:"ويستفاد منه استحباب الجمع بين التسليم والتقبيل بخلاف الركن اليماني، فيستلمه فقط والاستلام المسح باليد، والتقبيل بالفم" (٦).

(١) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ٢٤/٣٢٤ محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع: فهد بن ناصر بن إبراهيم السلیمان، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة - ١٤١٣ هـ. الرياض.

(٣) رواه الترمذي، كتاب الحج، باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام (٨٧٨)، وصححه قال الألباني.

(٤) مصنف عبد الرزاق، كتاب الحج، باب الزحام على الركن، رقم (٨٩٣٥).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/٤٧ محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م بيروت.

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٣/٤٧٥ أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩ هـ -

١٠. الحث على الاستمتاع بالبيت قبل هدمه ورفعته.

عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: "اسْتَمْتِعُوا بِهَذَا الْبَيْتِ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ، وَيُرْفَعُ فِي الثَّالِثَةِ"^(١)، والاستمتاع يكون بكثرة الطواف بالبيت قال علي رضي الله عنه: استكثروا من الطواف بهذا البيت ما استطعتم من قبل أن يحال بينكم وبينه"^(٢)

١١. الاعتكاف في المسجد الحرام:

قال الله ﷻ: ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٣) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله -: "العاكف في هذا الموضع؛ المقيم في البيت مجاورا فيه بغير طواف ولا صلاة. لأن صفة العكوف ما وصفنا: من الإقامة بالمكان. والمقيم بالمكان قد يكون مقيما به وهو جالس ومصل وطائف وقائم، وعلى غير ذلك من الأحوال. فلما كان تعالى ذكره قد ذكر في قوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾^(٤) المصلين والطائفين، علم بذلك أن الحال التي عنى الله تعالى ذكره من العاكف، غير حال المصلي والطائف، وأن التي عنى من أحواله، هو العكوف بالبيت، على سبيل الجوار فيه، وإن لم يكن مصليا فيه ولا راکعا ولا ساجدا"^(٥).

١٢. شد الرحال إلى المسجد الحرام :

اختص الله ﷻ البلد الحرام بشد الرحال إلى مسجده، وقصده دون غيره، من الأماكن إلا ما استثناه الدليل عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ"

(١) رواه البزار في كشف الأستار، رقم (٦١٥٧)، ٢٧٨/٨ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ١٤٥١).

(٢) رواه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الحج، باب خراب البيت، رقم (٩٢٤١).

(٣) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٤) سورة البقرة: الآية رقم (١٢٥).

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن، ٣ | ٤٣. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت.

المَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى" (١). قال ابن القيم - رحمه الله -: "المسجد الحرام أفضل بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك كان شدُّ الرحال إليه فرضاً، ولغيره مما يستحب ولا يجب" (٢).

١٣ . الشرب من ماء زمزم:

عن ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ إِلَى السَّقَايَةِ فَاسْتَسْقَى فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا فَضْلُ اذْهَبْ إِلَى أُمَّكَ فَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَرَابٍ مِنْ عِنْدِهَا فَقَالَ: اسْقِنِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ أَيْدِيَهُمْ فِيهِ. قَالَ: اسْقِنِي، فَشَرِبَ مِنْهُ ثُمَّ أَتَى زَمْرَمَ وَهُمْ يَسْتَفُونَ وَيَعْمَلُونَ فِيهَا فَقَالَ: اَعْمَلُوا فَإِنَّكُمْ عَلَى عَمَلٍ صَالِحٍ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تُعَلَّبُوا لَنَزَلْتُ حَتَّى أَضَعَ الْحَبْلَ عَلَى هَذِهِ. يَعْني عَاتِقَهُ وَأَشَارَ إِلَى عَاتِقِهِ" (٣).

وذكر أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في خبر إسلامه - قال: قال: لي رسول الله ﷺ: "مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟ قَالَ: قُلْتُ: قَدْ كُنْتُ هَاهُنَا مُنْذُ ثَلَاثِينَ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ، قَالَ: فَمَنْ كَانَ يُطْعِمُكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْرَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُكْرُ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كَيْدِي سُخْفَةً جُوعٍ قَالَ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ" (٤).

وقال ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : "كُنَّا نُسَمِّيهَا شُبَاعَةَ" (٥) - يَعْنِي زَمْرَمَ -، وَكُنَّا بَجِدْهَا نِعْمَ الْعَوْنُ عَلَى الْعِيَالِ" (٦)، وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "زَمْرَمُ طَعَامٌ وَشِفَاءٌ

(١) رواه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٩). واللفظ له، ومسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، رقم (١٣٩٧).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨/١. محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: سقاية الحاج، رقم (١٦٣٥).

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة ٢٤٧٣

(٥) قال الزبيدي: "شُبَاعَةُ، كقُدَامَةِ : اسم من أسماء زَمْرَمَ في الجاهلية، هكذا ضَبَطَهُ الصَّاعِقِيُّ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَاءَهَا يُرْوِي الْعَطْشَانَ، وَيُشْبِعُ الْعَرْتَانَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامٌ طُعِمَ، وَشِفَاءٌ سُقِمَ وَرَبْمَا يُفْعَمُ مِنْ سِيَاقِ عِبَارَةِ اللِّسَانِ أَنَّ اسْمَهَا شُبَاعَةُ، بِالْفَتْحِ مَعَ التَّشْدِيدِ" تاج العروس ٢٤٨/٢١

(٦) رواه عبدالرزاق في المصنف، كتاب الحج، باب: زمزم وذكرها، رقم (٩١٨٣)، وقال الألباني: صحيح لغيره، انظر: صحيح الترغيب والترهيب رقم ١١٦٣

سُقِّمٌ" (١)، وعن جابر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: قال رسول الله ﷺ: "مَاءٌ زَمَزَمٌ لِمَا شُرِبَ لَهُ" (٢): أي من شربه لمرض شفاهاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاهاه الله ﷻ (٣).

قال مجاهد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "زَمَزَمٌ لِمَا شُرِبَتْ لَهُ، إِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ الشِّفَاءَ شَفَاكَ اللهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ أَنْ يَقْطَعَ ظَمَأَكَ قَطْعَهُ، وَإِنْ شَرِبْتَهُ تُرِيدُ أَنْ تُشْبِعَكَ أَشْبَعْتَكَ هِيَ هَزْمَةٌ جَبْرِيْلَ، وَسُقِّيَا اللهُ إِسْمَاعِيْلَ" (٤).

قال ابن القيم - رحمه الله -: "وقد جربتُ أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيتُ به من عدة أمراض، فبرأتُ بإذن الله، وشاهدتُ مَنْ يتغذى به الأيام ذواتِ العدد قريباً من نصف الشهر، أو أكثر، ولا يجدُ جوعاً، ويطوفُ مع الناس كأحدهم، وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، وكان له قوةٌ يجامع بها أهله، ويصوم، ويطوفُ مراراً" (٥).

١٤ . أداء مناسك الحج والعمرة:

قال الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٦) قال ابن جرير الطبري - رحمه الله -: "يعني بذلك جل ثناؤه: وفرضٌ واجبٌ لله، على من استطاع من أهل التكليف السبيلَ إلى حجِّ بيته الحرام، الحج إليه" (٧) وقال ﷻ: ﴿إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرْوَءَةَ مِنْ سَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا

(١) مسند البزار، رقم (٣٩٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (١١٦٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند، مسانيد المكثرين، مسند جابر بن عبد الله الأنصاري، رقم (١٤٨٤٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٥٠٢).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٥/٥١٦، محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م، بيروت، لبنان.

(٤) مصنف عبدالرزاق، كتاب الحج، باب: زمزم وذكرها، رقم (٩١٨٧).

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤/٣٩٣، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

(٦) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٧).

(٧) جامع البيان في تأويل القرآن، ٤/١٥. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،

ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت

فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ^(١)، وعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: " الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ"^(٢).

وفي مناسك الحج والعمرة تجتمع الوسائل التعبديّة المأمور بها والمنهي عنها، ليتحقق مقصد تعظيم البلد الحرام بجلاء في قلب وجوارح كل مؤمن، قال السعدي -رحمه الله-: "من فضل هذا البيت الحرام وشرفه عند الله وعظم قدره أنه لا يأتيه زائر بحج أو عمرة إلا خاضعا خاشعا متذللا في ظاهره وباطنه معظما لحرمة مجالا له ولقدره، فشرع له ترك الترفه والعوائد النفسية التي الاشتغال بها مفوت لمقصود العبادة .

فيترك: الثياب المعتادة، ولبس المخيط، ويلبس إزارا ورداء، أبيضين نظيفين، ويكشف رأسه، ويدع: الجماع ، ومباشرة النساء للذة ، وما يتبع هذا من الطيب وإزالة الشعور، والأظفار. ويحترم فيه الصيد صيد البر ما دام محرما . فإذا قرب من البيت ودخل الحرم، حرم عليه مع ذلك: قطع الشجر الرطب ، وأخذ حشيشه وحقق هذا التحريم أن المحل والمحرّم في هذا سواء، محرم عليهما صيد الحرم وشجره وحشيشه. فإذا كانت هذه الوسائل لهذا البيت الحرام بهذه المثابة من الاحترام فما ظنك بنفس البيت والمشاعر التابعة له، فصار من أعظم المقاصد في محظورات الإحرام تعظيم البيت، وتعظيم رب البيت وإجلاله وإعظامه والذل والخشوع له"^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٥٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب العمرة، باب العمرة. وجوب العمرة وفضلها، رقم (١٧٧٣).

(٣) إرشاد أولى البصائر والألباب لنيل الفقه بأيسر الأسباب، ص ٨٥، عبدالرحمن بالناصر السعدي، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الرياض.

ت- الوسائل الشرعية التعبدية المنهي عنها في تعظيم البلد الحرام:

١. النهي عن تنفير الصيد وقتله في البلد الحرام:

قال الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾^(١) "أي: محرمون بالحج والعمرة، وهو جمع حرام، يقال: رجل حرام وامرأة حرام، وقد يكون من دخول الحرم، يقال: أحرم الرجل إذا عقد الإحرام، وأحرم إذا دخل الحرم"^(٢)

ونهى النبي ﷺ عن تنفير الصيد وقتله في الحرم عن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ فَلَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلْ لِأَحَدٍ بَعْدِي وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ لَا يُحْتَلَى خِلَافَهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا الْمَعْرَفِ. وَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْحَرَ لِصَاعَتِنَا وَقُبُورِنَا. فَقَالَ إِلَّا الْإِذْحَرَ"^(٣)، فقولته ﷺ: "وَلَا يُنْفَرُ صَيْدُهَا": "تصريح بتحريم التنفير، وهو الإزعاج وتنحيته من موضعه، فإن نفره عصي، سواء تلف أم لا، لكن إن تلف في نفاه قبل سكون نفاه ضمنه المنفر، وإلا فلا ضمان، قال العلماء: ونبه ﷺ بالتنفير على الإلتلاف ونحوه، لأنه إذا حرم التنفير فالإلتلاف أولى"^(٤)

٢. النهي عن التقاط لقطة الحرم:

لحديث ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - المتقدم وفيه: "وَلَا تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلَّا الْمَعْرَفِ". اللُّقَطَةُ: وهي بضم اللام وفتح القاف: اسم المال الملقوط: أي الموجود. والالتقاط: أن يعثر على الشيء من غير قصد وطلب، قال الأزهري: فرق بقوله هذا بين لقطة الحرم ولقطة سائر البلدان فإن لقطة غيرها إذا عرفت سنة حل الانتفاع بها وجعل لقطة الحرم حراما على

(١) سورة المائدة: الآية رقم (٩٥).

(٢) تفسير البغوي المسمى؛ معالم التنزيل، ٩٧/٣، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: لا يُنْفَرُ صَيْدُ الْحَرَمِ، رقم (١٨٣٣) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقظتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٥).

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي، مصر. ١٧/٥، الريان،

ملتقطها والانتفاع بها وإن طال تعريفه لها وحكم أنها لا تحل لأحد إلا بنية تعريفها ما عاش فأما أن يأخذها وهو ينوي تعريفها سنة ثم ينتفع بها كلقطة غيرها فلا^(١). وقال ابن القيم -رحمه الله-: "وأما لا تلتقط إلا للتعريف لا للتملك، وإلا لم يكن لتخصيص مكة بذلك فائدة أصلاً"^(٢).

٣. النهي عن قطع نبات البلد الحرام:

لحديث ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - المتقدم وفيه: "لا يُحْتَلَى خَلَاهَا وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا" وفي رواية: "لا يُعْضَدُ شَوْكُهُ"^(٣) وفي رواية: "لا يُحْتَلَى شَوْكُهَا"^(٤) وفي رواية: "لا يُجْبَطُ شَوْكُهَا"^(٥).

ومعنى: "يُحْتَلَى": يؤخذ ويقطع، والعضد: القطع، والخلا: هو الرطب من الكأ، ومعنى: "يُجْبَطُ": أي يضرب بالعصا ونحوها ليسقط ورقه^(٦). "وذكر الشوك دال على منع قطع غيره من من باب أولى"^(٧). قال ابن قدامة -رحمه الله-: "أجمع أهل العلم على تحريم قطع شجر الحرم البري الذي لم ينبتة الآدمي وعلى اباحة أخذ الإذخر وما أنبتة الآدمي من البقول والزرع والرياحين"^(٨). واتفق الفقهاء -رحمهم الله- على أنه يباح من شجر الحرم وحشيشه: الإذخر،

(١) النهاية في غريب الأثر، ٥٣٤/٤، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط ١، ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٥٣/٢، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م بيروت.

(٣) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحرم، رقم (١٥٨٧). ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: كتابة العلم، رقم (١١٢). ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٥).

(٥) ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٥).

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٧/٥، الريان، مصر.

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ١٨٠/١، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، القاهرة.

(٨) المغني، موفق الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قدامة، دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، بيروت، لبنان. ٣٦١/٣

واليابس من الشجر، والحشيش، لأنه بمنزلة الميت، والانتفاع بما انقلع من الشجر، أو انكسر من الأغصان، بغير فعل الآدمي، وثمر شجر الحرم^(١) والله أعلم.

٤. النهي عن دخول المشركين البلد الحرام:

قال الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِن شَاءَ إِنَّكَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) قال النووي -رحمه الله-: "والمراد بالمسجد الحرام ها هنا: الحرم كله، فلا يمكن يمكن مشرك من دخول الحرم بحال، حتى لو جاء في رسالة أو أمر مهم، لا يمكن من الدخول، بل يخرج إليه من يقضي الأمر المتعلق به، ولو دخل ومرض ومات نُبش، وأُخرج من الحرم"^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعثه في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع يوم النحر في رهط يؤذّن في الناس: "أَنْ لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ"^(٤).

٥. النهي عن التعري حال الطواف بالبيت الحرام:

لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق وفيه: "وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ".

قال النووي -رحمه الله-: "هذا إبطال لما كانت الجاهلية عليه من الطواف بالبيت عراة، واستدل به أصحابنا وغيرهم على أن الطواف يشترط له ستر العورة. والله أعلم"^(٥).

(١) انظر: أحكام الحرم المكي الشرعي، ص (٤٧٩). عبدالعزيز بن محمد الحويطان، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

(٢) سورة التوبة: الآية رقم (٢٨).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، ١١٦/٩ الريان، مصر.

(٤) رواه البخاري، كتاب الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان، ولا يحج مشرك، رقم (١٦٢٢). واللفظ له، ورواه مسلم،

كتاب الحج، باب: لا يحج البيت مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، رقم (١٣٤٧).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ١١٦/٩ الريان، مصر.

٦. النهي عن سفك الدماء وأخذ الأموال وانتهاك الأعراس:

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾^(١) وخطب النبي ﷺ يوم النحر فقال: " إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمٍ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَأُيْبِلُغُ الشَّاهِدُ الْعَائِبُ فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"^(٢).

وقال ﷻ: " إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغُ الشَّاهِدُ الْعَائِبُ"^(٣).

٧. النهي عن حمل السلاح في البلد الحرام:

فعن جابر بن عبد الله - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "لَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السَّلَاحَ"^(٤). قال النووي - رحمه الله -: "هذا النهي إذا لم تكن حاجة، فإن كانت جاز، هذا مذهبنا ومذهب الجماهير. قال القاضي عياض: هذا محمول عند أهل العلم على حمل السلاح لغير ضرورة ولا حاجة، فإن كانت جاز"^(٥).

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٩١).

(٢) رواه البخاري، كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى، رقم (١٧٤١).

(٣) رواه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب: لا يعضد شجر الحرم، رقم (١٨٣٢) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة (١٣٥٤).

(٤) رواه مسلم، كتاب الحج، باب: النهي عن حمل السلاح بمكة بلا حاجة، رقم (١٣٥٦).

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢١/٥ الريان، مصر.

٨. النهي عن استقبال القبلة، أو استدبارها عند قضاء الحاجة:

لحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا عَائِطٍ وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا". قال أبو أيوب رضي الله عنه: "فقدما الشام فوجدنا مراحيض بنيت قِبَلِ الْقِبْلَةِ، فنحرف، ونستغفر الله تعالى" (١).

"والحديث يفيد أن الانحراف اليسير لا يكفي؛ لأنه قال: "ولكن شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا"، وهذا يقتضي الانحراف التام. ولكن: "شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" لقوم إذا شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا لا يستقبلون القبلة، ولا يستدبرونها كأهل المدينة، فإنَّ قبلتهم جهة الجنوب، فإذا شَرِّقُوا، أَوْ غَرِّبُوا صارت القبلة إما عن أيماهم، أَوْ عن شمائلهم، وإذا شَرِّقَ قَوْمٌ أَوْ غَرِّبُوا، واستقبلوا القبلة، فإن عليهم أن يُشَمِّلُوا، أَوْ يُجَنِّبُوا" (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا" (٣). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَمْ يَسْتَدْبِرْهَا فِي الْعَائِطِ؛ كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ، وَنُحِيَ عَنْهُ سَيِّئَةٌ" (٤).

قال طاوس -رحمه الله-: "حق لله على كل مسلم أن يكرم قبلة الله فلا يستقبل منها شيئاً. يقول: في غائط، أو بول" (٥). وقال العيني -رحمه الله-: "فيه إكرام القبلة عن المواجهة بالنجاسة مطلقاً تعظيماً لها، ولا سيما عند الغائط والبول" (٦).

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: قبلة أهل المدينة وأهل الشام والمشرق، رقم (٣٩٤) واللفظ له، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الاستطابة، رقم (٢٦٤).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١/١٤٢، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة آسام، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، الرياض.

(٣) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الاستطابة، رقم (٢٦٥).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط، من اسمه أحمد، رقم (١٣٧٥). ٨٢/٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٠٩٨).

(٥) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ١/١٥١. أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ت: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، بيروت، لبنان.

(٦) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢/٢٧٩. بدر الدين أبو محمد محمود العيني، دار الفكر.

وفي الصحيحين عن ابن عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال: "ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَفْضِي حَاجَتَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةِ مُسْتَقْبِلَ الشَّامِ" (١).

قال البيهقي - رحمه الله -: "وإن كان قال طاوس: حق على كل مسلم أن يكرم قبله الله أن يستقبلها وإنما سمع - والله أعلم - حديث أبي أيوب ، عن رسول الله ﷺ ، فأنزل ذلك على إكرام القبلة ، وهي أهل أن تكرم . والحال في الصحارى كما حدّث أبو أيوب . وفي البيوت كما حدّث ابن عمر: لا أنهما مختلفان" (٢).

قال شيخنا ابن عثيمين - رحمه الله -: "والرّاجح: أنه يجوز في البُنيان استدبارُ القبلة دون استقبالها؛ لأن النهي عن الاستقبال محفوظٌ ليس فيه تفصيل ولا تخصيص، والنهي عن الاستدبار حُصِّصَ بما إذا كان في البُنيان؛ لفعل النبي ﷺ، وأيضاً: الاستدبار أهونٌ من الاستقبال؛ ولهذا جاء - والله أعلم - التخفيفُ فيه فيما إذا كان الإنسان في البُنيان. والأفضل: أن لا يستدبرها إن أمكن" (٣).

٩. النهي عن البزاق تجاه القبلة في الصلاة أوفي المسجد:

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُحَامَةً فِي الْقِبْلَةِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ فَقَالَ " إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ أَوْ إِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ قِبْلَتِهِ وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمَيْهِ ثُمَّ أَخَذَ طَرْفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا" (٤).

(١) رواه البخاري، كتاب الوضوء، باب: لا تستقبل القبلة بغائط أو بول إلا عند البناء جدار أو نحوه، رقم (١٤٤)،

ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الاستطابة، رقم (٢٦٤).

(٢) معرفة السنن والآثار، ٣٣٤/١، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات

الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، كراتشي، باكستان.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، ١٤٤/١، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة أسام، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م،

الرياض.

(٤) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: حك البزاق باليد من المسجد، رقم (٤٠٥)، ورواه مسلم، كتاب المساجد،

باب: النهي عن البصاق في المسجد، رقم (٥٥١).

وعن أبي سهلة السائب بن خلاد رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَمَّ قَوْمًا فَبَصَقَ فِي الْقِبْلَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ فَرَعَ: لَا يُصَلِّي لَكُمْ. فَأَرَادَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّيَهُمْ. فَمَنَعُوهُ وَأَخْبَرُوهُ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: نَعَمْ وَحَسِبْتُ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّكَ آذَيْتَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ" (١). و"البصاق ما يخرج من الفم والنخامة ما يخرج من الحلق والمخاط ما يخرج من الأنف" (٢).

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على تحريم البصاق والتفل والتنخم تجاه القبلة في الصلاة أوفي المسجد، أدباً في الوقوف بين يدي الله ﻋَﻠَﻴْهِ، واحتراماً لمساجده، والقبلة التي توجه إليها في صلاته، عن ابن عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ فَحَكَّهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى" (٣).

أما ما ورد عند أبي داود - رحمه الله - من رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ تَعَلَّ بُحَاةَ الْقِبْلَةِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ" (٤).

فقد جاءت هذه الرواية مقيدة بالصلاة عند ابن أبي شيبه بنفس الإسناد، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: "من صلى فيزق تجاه القبلة، جاءت بزقته يوم القيامة في وجهه" (٥).

قال ابن رجب - رحمه الله -: "إنما يكره البصاق إلى القبلة في الصلاة أو المسجد ، فأما من بصق إلى القبلة في غير مسجد فلا يكره له ذلك" (٦).

(١) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب: في كراهية البزاق في المسجد، رقم (٤٨١). وحسنه الألباني.

(٢) المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، ١/٤٦٦، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، دار السعادة، ط ١، ١٣٣٢هـ.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب: حك البزاق باليد من المسجد، رقم (٤٠٥)، ورواه مسلم، كتاب المساجد، باب: النهي عن البصاق في المسجد، رقم (٥٥١).

(٤) رواه أبو داود، كتاب الأطعمة، باب: في أكل الثوم، رقم (٣٨٢٤). وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٢).

(٥) مصنف ابن أبي شيبه، من كره أن ييزق تجاه المسجد، رقم (٧٤٥٦).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٢/٣٢٧، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٧، المملكة العربية السعودية.

والأولى بالمسلم أن ينزه جهة القبلة من البصاق إليها عموماً، احتراماً، وتعظيماً للجهة التي عظمها الله ﷻ، وخروجاً من خلاف العلماء في هذه المسألة، والله أعلم.

١٠ . النهي عن نية الإلحاد في البلد الحرام أينما كان:

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَاكِ بَطْلَمٍ تُذَقُّهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾^(١)

فتوعد الله ﷻ بأليم عذابه، لمن أُلحِد في الحرم زائداً على عذابه، " وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي فيه الشر، إذا كان عازماً عليه، وإن لم يوقعه"^(٢).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: " لو أن رجلاً هَمَّ فيه بِالْحَادِ، وهو بعدن أبين؛ لأذاقه الله ﷻ عذاباً أليماً"^(٣). وقال ﷻ: " أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَمُطَلَّبُ دَمِ امْرَأَةٍ بَغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيَقَ دَمَهُ"^(٤).

وهنا تسكب العبرات، على تضييع الحرمات، وارتكاب الموبقات، والغفلة عن حق البلد الحرام، من الساكن والقادم، نسأل الله العافية والسلامة.

١١ . النهي عن غزو البلد الحرام:

روى الإمام أحمد - رحمه الله - عن مطيع رضي الله عنه وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً قال سمعت رسول الله ﷺ حين أمر بقتل هؤلاء الرهط بمكة يقول: "لَا تُعْرَى مَكَّةُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا وَلَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ صَبْرًا"^(٥) أَبَدًا"^(٦).

(١) سورة الحج: الآية رقم (٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٤١١/٥، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، حرمة البيت وتعظيمه، رقم (١٤٠٩٣). قال ابن كثير: "هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري، ووقفه أشبه من رفعه" ٤١١/٥، وقال ابن حجر في الفتح: "وهذا سنده صحيح" ٢١٠/١٢،

(٤) رواه البخاري، كتاب الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، رقم (٦٨٨٢).

(٥) قال ابن الأثير: صبرت القتل على القتل: إذا حبسته عليه لتقتله بالسيف وغيره من أنواع السلاح وسواه، وكل من قُتِلَ أَيُّ قِتْلَةٍ كَانَتْ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي حَرْبٍ وَلَا عَلَى غَفْلَةٍ وَلَا غِرَّةٍ فَهُوَ مَقْتُولٌ صَبْرًا. جامع الأصول ٦١٨/٢

(٦) رواه الإمام أحمد في مسند، مسند الشاميين، حديث مطيع بن الأسود، رقم (١٨٠٢٤). وجود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٤٢٧.

وعند الترمذي من حديث الحارث بن مالك بن البرصاء رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم عليه يوم فتح مكة يقول: " لَا تُعْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ " ^(١).

وحمل الحديث بعض العلماء -رحمهم الله- على أن النفي، خبر جاء بمعنى النهي، فلا يجوز غزو البلد الحرام فهي بلد إسلام، فلا يحل لأحد أن ينتهك حرمتها.

يدل لذلك ما رواه البخاري -رحمه الله- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: " أَنَّهُ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ قَتَلَتْ خُرَاعَةُ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ بِقَتِيلٍ لَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ. وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي أَلَا وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ " ^(٢). وروى أيضاً من حديث أبي شريح رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " فَإِنْ أَحَدٌ تَرَحَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَمَنْ يَأْذُنْ لَكُمْ وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ " ^(٣)، نقل ابن حجر -رحمه الله- عن ابن بطلال -رحمه الله-: " المراد بقوله: " وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي " الإخبار عن الحكم في ذلك لا الإخبار بما سيقع، لوقوع خلاف ذلك في الشاهد، كما وقع من الحجاج وغيره، انتهى. ومحصله أنه خبر بمعنى النهي، بخلاف قوله: " فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي " فإنه خبر محض " ^(٤). والله أعلم

(١) رواه الترمذي، كتاب السير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء ما قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "إن هذه لا تغزى بعد اليوم"، رقم (١٦١١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٤٢٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الديات، باب: من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، رقم (٦٨٨٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب العلم، باب: ليلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٤)، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب: تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطنها، رقم (١٣٥٤).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤/٤٦، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، القاهرة.

١٢ . النهي عن الهجرة من البلد الحرام:

فعن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - قال رسول الله ﷺ: " لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَبَيْتَةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا"^(١)، أي: لا تهاجروا من البلد الحرام بعد الفتح.

وظاهر عموم هذا الحديث ينفي الهجرة بالكليّة بعد الفتح وهو غير مراد، لأن فيه إبطال للهجرة، والهجرة باقية لا تنقطع فعن عبد الله بن وقدان السعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: وفدت إلى رسول الله ﷺ في وفد كلنا يطلب حاجة وكنت آخرهم دخولا على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله إني تركت من خلفي وهم يزعمون أن الهجرة قد انقطعت قال " قَالَ لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ مَا قُوتِلَ الْكُفَّارُ"^(٢)، وعن معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول "لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلَا تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا"^(٣). فالمراد بالنفي في الحديث: نفي الهجرة عن البلد الحرام، فلا هجرة من البلد الحرام بعد الفتح لأنها صارت دار إسلام وإنما تكون الهجرة من دار الحرب. فالمسلمون فيها يبقون فيها، ولا يهاجروا منها، وهذا فيه دليل على ان البلد الحرام لن يكون بلد كفر بل سيبقى بلد إسلام.

"قال الخطابي وغيره -رحمهم الله- : كانت الهجرة فرضاً في أول الإسلام على من أسلم لقلّة المسلمين بالمدينة وحاجتهم إلى الاجتماع ، فلما فتح الله مكة دخل الناس في دين الله أفواجا فسقط فرض الهجرة إلى المدينة، وبقي فرض الجهاد والنية على من قام به أو نزل به عدو"^(٤). ورجح النووي -رحمه الله- "أن الهجرة الفاضلة المهمة المطلوبة التي يمتاز بها أهلها امتيازاً ظاهراً انقطعت بفتح مكة ، ومضت لأهلها الذين هاجروا قبل فتح مكة، لأن الإسلام قوي وعز بعد فتح مكة عزّاً ظاهراً بخلاف ما قبله"^(٥).

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل الجهاد والسير، رقم (٢٧٨٣)، ورواه مسلم، كتاب الحج، باب:

تحريم مكة وصيدها وخلائها وشرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٣).

(٢) رواه النسائي، كتاب البيعة، باب: ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة، رقم (٤١٧٢)، وصححه الألباني.

(٣) رواه أبوداود، كتاب الجهاد، باب: في الهجرة هل انقطعت؟، رقم (٢٤٧٩)، وصححه الألباني.

(٤) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية،

بيروت. ١٧٨/٥

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي، ٣٣٥/٦، الريان، مصر.

المطلب الثالث:

الوسائل المادية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام

توطئة:

ترتبط الوسائل المادية بحضارة العصر فلكل عصر حضارته، فهو يكتشف ويخترع ويفكر وينظم للوصول بمستوى حياة أفضل، ولكل عصر مظهر حضاري يتجلى في سياسته، وفي اقتصاده وفي فكره ومجتمعه وفي فنونه. وقيمة أي أمة في ميزان الحضارة هو ما قدمته، في مقابل ما أخذته، من علوم ومعارف.

ثم إن عجلة التقدم الحضاري لا تعرف الوقوف، أو التأخر، فهي تنتقل من أمة إلى أمة، ومن شعب إلى شعب، مواصلة مسيرتها، مستمرة في عطائها، تفر من كل أمة تؤثر الجهل والكسل وترتمي بأحضان أمة العلم والعمل.

ولقد ارتقى المسلمون بالحضارة الإنسانية وتقدموا بها أشواطاً، نحو العلم والمعرفة منذ أن نزل الوحي في البلد الحرام، وصدع بـ (اقرأ) وأعلن ميلاد أمة الحضارة والرقى في جميع المجالات، فكلمة: (اقرأ) لا تكون إلا إذا وجدت الكتابة، وإذا اجتمعت الكتابة والقراءة، كانتنا مفتاح تقدم أية حضارة ووسيلة تطورها وتبقى الكتابة السجل الذي ترثه الأجيال بعضها عن بعض، وهكذا بدأت القفزة الحضارية من كلمة (اقرأ) فقرؤوا ما عندهم وما عند غيرهم فكانت القراءة طريق رقيهم وتقدم معارفهم التي تطورت إلى علوم نافعة للبشرية في جميع مجالات العلوم، وقدمت للحضارة الإنسانية الكثير والكثير وما تزال آثارها باقية تشهد عليها، وفي وقت كان الغرب في العصور الوسطى يعيش في ظلام الجهل الدامس، ومستنقعات التعصب والجمود الفكري، كانت حضارة المسلمين محط رحل طلاب العلم والمعرفة من كل مكان^(١)،

(١) انظر شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة، دار الجيل، ط ٨، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م،

ولقد ارتفعت منارات العلم في كل بقعة وصل إليها المسلمون، واشعل الغرب سراجهم العلمي من ضياء حضارتنا الإسلامية^(١).

لقد كان لأسلافنا سبق التقدم في تطوير عصرهم والرقي به، فلقد استخدموا أرقى الوسائل المناسبة، وفق الإمكانيات المتاحة، فسبقوا بها غيرهم من الأمم، وكانت هذه الوسائل العادية عوناً لتحصيل مقاصد شرعية، نشروا بها الإسلام في كل مكان.

وما فتئ الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخر—
وأصبح لا يرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمتهم سنينا
وآلهم وآلم كل حـ سؤال الدهر : أين المسلمون؟
ترى هل يرجع الماضي ؟ فإني أذوب لذلك الماضي حيننا^(٢)

ولقد قفزت وسائل التواصل مع الآخرين قفزة كبيرة، ولا سيما في وقتنا المعاصر، وأثرت التقنيات الحديثة، ومخترعات العصر، في أفكار الناس وأقوالهم وأعمالهم، فغيرت حياتهم الاجتماعية، والفكرية، والسياسية، وأصبحت ميزان القوة والحضارة لأي أمة من الأمم، وانظر كيف استُغلت هذه التقنيات الحديثة، وبث فيها من الأفكار المنحرفة، والأخلاق المنحلة، فراجت بسبب قوة التأثير، وتأثر بها الكثير.

وما شهدته العالم اليوم من ثورة هائلة في جميع مجالات التواصل مع الآخرين، يعلم يقيناً، أن اكتشاف اليوم، قديم الغد، فالتقنيات العالمية زادت في مسير البحث العلمي سرعة على سرعته، فاخترعوا كل ما يسدوا به ضروراتهم الحياتية، وتوصلوا بعلومهم إلى العبث والرفاهية، ثم اخترعوا ما يضرهم، من أسلحة دمار شامل، تفتك بالحياة، وتهدد البشرية صباح مساء.

ولو نانس فيها أهل الإسلام كما ينبغي، لآتت أكلها وسعد العالمين بها.

(١) انظر دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية، شوقي أبوخليل، دار الفكر، ط ١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، دمشق.

(٢) ديوان هاشم الرفاعي، ص ٣٨٣، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء.

فلا بد من الانفتاح على وسائل الثقافة الحديثة، لمعرفة العلوم العصرية المتجددة، إذ لا بد أن تكون وسائل دعوتنا لثقافة تعظيم البلد الحرام عصرية عالمية، تلحق بالركب وتسبقه، وتدله الطريق وتنقذه، فضالات الباطل وشبهه، مقذوفة بشهب الحق وحججه:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ. وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

ولا يعني ذلك انفصام عن الشريعة، وبعد عن الوحي، بل عملاً به، واتباع لهده، ووسطاً بين إفراط وتفريط. فمن ظن أن الاسلام يقف في طريق ذلك فقد غاب عنه الكثير، وعاش في جهل مرير، فلا بسلفه اقتدى، ولا بركب العصر احتذى.

فكان لا بد من إعادة دراسة وسائل التواصل والمواكبة لمتطلبات الوقت، والاستفادة من جميع الوسائل المتجددة، ونسعى جاهدين لتطويعها في تحقيق مقاصدنا الشرعية، ففوة تأثيرها، وكثافة تواصلها، سبب في نشر الدين، وإبلاغهم البلاغ المبين.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "أنجح الطرق في هذا العصر وأنفعها استعمال وسائل الإعلام؛ لأنها ناجحة وهي سلاح ذو حدين. فإذا استعملت هذه الوسائل في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من طريق الإذاعة والصحافة والتلفاز فهذا شيء كبير ينفع الله به الأمة أينما كانت، وينفع الله به غير المسلمين أيضاً حتى يفهموا الإسلام وحتى يعقلوه ويعرفوا محاسنه ويعرفوا أنه طريق النجاح في الدنيا والآخرة.

والواجب على الدعوة وعلى حكام المسلمين أن يساهموا في هذا بكل ما يستطيعون، من طريق الإذاعة، ومن طريق الصحافة، ومن طريق التلفاز ومن طريق الخطابة في المحافل، ومن طريق الخطابة في الجمعة وغير الجمعة، وغير ذلك من الطرق التي يمكن إيصال الحق بها إلى الناس وبجميع اللغات المستعملة حتى تصل الدعوة والنصيحة إلى جميع العالم بلغاتهم. هذا هو الواجب على جميع القادرين من العلماء وحكام المسلمين والدعاة إلى الله عز وجل،

(١) سورة يوسف: الآية رقم (٢١).

حتى يصل البلاغ إلى كافة العالم في جميع أنحاء المعمورة باللغات التي يستعملها الناس. وهذا هو البلاغ الذي أمر الله به " (١).

وثقافة تعظيم البلد الحرام ليست مقتصرة على أهل البلد الحرام، أو أهل الإسلام، إنها ثقافة موجهة للعالمين: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٢)

ثم كيف لا تكون وسائل دعوتنا لتعظيم البلد الحرام موجهة للعالمين؟

وقد جعل الله ﷺ البيت الحرام هدى للعالمين.

وبعث فيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين،

وأنزل فيه القرآن الكريم وهو ذكر للعالمين!!.

فعالمية الرسالة تتطلب منا عالمية الوسائل.

وكيف تضعف همم بعض أهل الإسلام، ناهيك عن أهل البلد الحرام، في القيام بحق التعظيم؟.

فعلى أهل البلد الحرام أولاً قبل غيرهم، أن ينهضوا بواجبهم، وأن يكونوا قدوة لغيرهم،

كيف يكون أهل البلد الحرام الذين شاهدوا التنزيل.

ورأوا كيف فعل الله ﷻ بأصحاب الفيل.

وأمنهم الله من كل ظلم وغاشم، وتنعموا بالثمرات مع اختلاف المواسم؟

وحفظهم الله ﷻ من الأوبئة المهلكة، وأحل عليهم بل الخير والبركة.

كيف يعيشون في حرم الله ﷻ وعلى بساط ملكه، ثم تجد منهم من هو في غفلة من أداء

حقوقه، وتساهل في انتهاك حرماته!!.

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن باز ٣٠١/٢٧

(٢) سورة آل عمران: الآية رقم (٩٦).

● ويمكننا تقسيم الوسائل المادية العادية لتطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام، إلى قسمين:

أ- وسائل معنوية. ب- وسائل مادية.

أ- الوسائل المعنوية:

وهي التي تتعلق بنفس الداعية إلى الله ﷻ، وما يجب أن يتحلى به من صفات حميدة، - نَجْمَلُ فِي ذِكْرِ بَعْضِهَا - كَالصَّبْرِ وَالاحْتِسَابَ وَحَسْنَ الْخَلْقِ، وَالتَّفْكِيرَ وَالتَّخْطِيطَ لثقافة التعظيم، وَحَسْنَ التَّعَامُلِ مَعَ الْوَسَائِلِ التَّقْنِيَةِ الْمُعَاصِرَةِ، وَمتابعة كل جديد فيها. وَأَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ قُدْرَاتٌ ذَهْنِيَّةٌ وَقُدْرَاتٌ بَدْنِيَّةٌ فَالْوَسِيلَةَ تُوَدَى بِحَسَبِ حَالِهَا وَمَقَامِهَا، وَلَا بَدَّ مِنْ إِعْدَادِ دَعَاةٍ إِلَى اللَّهِ ﷻ مَهْتَمِينَ بِنَشْرِ ثِقَافَةِ تَعْظِيمِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَتَطْوِيرِهِمْ تَقْنِيًا لِلتَّوَاصُلِ مَعَ الْآخَرِينَ بِشَتَّى وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ، فَهِيَ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ دَاعِيَةِ الْعَصْرِ. وَنَحْنُ مُطَالِبُونَ بِتَطْوِيرِ وَسَائِلِ دَعْوَتِنَا حَسَبَ الْعَصْرِ، بِمَا يَنْتَاسِبُ مَعَ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

ب- الوسائل العادية المادية:

وهي الوسائل التي تعين على ثقافة التعظيم ولها أثر محمود إذا استغلت واستخدمت في نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام، وتنقسم إلى:

١. الوسائل المسموعة (المقالية):

كالخطب والمحاضرات والمواظع والندوات والحوار والمناظرات والمذياع.

٢. الوسائل المكتوبة (المقروءة):

كالكتب والصحف والمجلات والمقالات والنشرات والقصة^(١).

٣. الوسائل التقنية العادية:

كالتلفزيون والفيديو والأشرطة، والحاسب الآلي، وكافة وسائل الإيضاح المناسبة.

(١) انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، ٦٨٢/٢، د. عبدالرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، الرياض.

٤ . القنوات الفضائية الإسلامية:

أصبح إنشاء القنوات الفضائية الإسلامية من الواجبات، فهي أكثر الوسائل الدعوية تحقيقاً لواجب الدعوة إلى الله تعالى، حيث هناك من الناس من لا تصل إليهم الدعوة إلا بواسطة هذه الوسيلة، وما لم يتم به الواجب فهو واجب وهي تخاطب العالم كله بجميع اللغات تنشر الإسلام وأهمية البلد الحرام.

٥ . الوسائل التقنية العصرية:

وهي وسائل توجه الناس لها، ولها تأثيرها القوي في المتابعين لها، وتصل إلى الملايين من الناس وفي كافة أنحاء العالم، وتختلف أنواعها فمنها المسموع والمرئي والمقروء. وتتميز بانعدام المحدودية فليس لها حدود زمانية ولا مكانية ولا نوعية ولا جنسية، وسهلة الاستخدام لا تحتاج إلى دراسات أكاديمية. وليس المقصود هنا حصر هذه الوسائل، بل التنبيه إليها، واقتراحها في نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام، فمن ذلك:

١ . الفيس بوك «Facebook»: وهو موقع اجتماعي شهير من خلاله يمكن التواصل مع أي إنسان في أي مكان ويمكننا فتح صفحات عن البلد الحرام ومكانته في الإسلام وأهميته للعالمين، والتواصل مع الجماهير فيه والتعاون معهم لإقامة مجموعات " GROUPS " تدعو إلى ثقافة التعظيم للبلد الحرام ونشرها بين الناس، ومراسلة جميع أصحاب الصفحات الموجودة إليه بثقافة تعظيم البلد الحرام، وكذلك التواصل مع غير المسلمين لدعوتهم إلى الدين الإسلامي وتوضيح صورة الإسلام الصحيحة وعلاقة المسلمين بالبلد الحرام .

٢ . التويتير «TWITTER»: هو أحد المواقع التي تقدم خدمات مجانية للتواصل الاجتماعي والتدوين المصغر، وذلك من خلال خدمة الرسائل النصية القصيرة، برامج التراسل الفوري، أو البريد الإلكتروني.

٣. اليوتيوب " YOUTUPE " : وهو موقع فيديوهات، مرئية وصوتية، اختلط فيه الحلال بالحرام، وقد أقيم موقع إسلامي لليوتيوب النقي "www.naqatube.com" ويمكن الاستفادة منه لعرض مقاطع للبلد الحرام والمسجد الحرام، تبين مكانته، وتنشر ثقافته بين الناس أجمعين.

٤. البريد الإلكتروني (E:mails) ومجموعات البريد الإلكتروني:

(Yahoo -Hotmail - maktoob - Gmail) وهي بحاجة لتنقيتها وتطويرها ويمكننا من خلالها نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام.

٥. المواقع " sites "، فتبنى مواقع عدة بجميع اللغات الحية ينشر فيها ثقافة تعظيم البلد الحرام، يخصص لها دعايات قوية لنشرها على أكبر عدد ممكن.

٦. المدونات (bloggers): عبارة عن صفحة على الإنترنت تحتوي على مجموعة من المقالات القصيرة التي يتم تحديثها باستمرار كما في الصحيفة اليومية التقليدية ويمكن من خلالها توصيل رسالة المدون إلى متصفحها مدونته وتوجيههم نحو ثقافة تعظيم البلد الحرام.

٧. تطبيقات الأجهزة الذكية: التي تقوم بالتعريف بالبلد الحرام، وبيان أحكامه الفقهية، وغيرها على غرار برنامج: المؤذن، والأذكار.

٨. نظام التقنيات اللاسلكية (الجوال mobile وتطبيقاته): وذلك عن طريق صنع برامج خدمية، وكذلك الاستفادة من تقنية البلوتوث والوايرلس، اللتين يمكن استخدامهما في نقل المقاطع الصوتية والمرئية لنشر ثقافة التعظيم للآخرين.

٩. رسائل SMS :

١٠. الكتب الإلكترونية (E:BOOKS): التي يستطيع من خلالها مرسلها ومستخدمها، نشر الكتب المختصة بالبلد الحرام القديمة والحديثة.

- ١١ . الأقراص المدمجة (DVD) (CD): وهي وسيلة تكنولوجية تطوع لنشر الصوتيات الإسلامية والفيديو، بصيغة MP٤، وMP٣، لتعزيز ثقافة تعظيم البلد الحرام.
- ١٢ . إنشاء محركات بحث مختصة بكل ما هو مرتبط بالبلد الحرام^(١)



(١) انظر: وسائل التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة، عادل عبدالله هندي، مجلة البيان، العدد: ٢٧٨، شوال ١٤٣١هـ.

الفصل الثالث

أثر ثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي

وفيه مبحثان على النحو التالي :

الآثار الإيمانية
لثقافة تعظيم البلد
الحرام على المجتمع
الإسلامي

المبحث الأول :

الآثار الأخلاقية
لثقافة تعظيم البلد
الحرام على المجتمع
الإسلامي

المبحث الثاني :

المبحث الأول:

الآثار الإيمانية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي

توطئة:

إن لنشر ثقافة تعظيم البلد الحرام آثار على المجتمع الإسلامي ونتائج إيجابية مترتبة عليها في الإيمان والأخلاق، نقف في هذا الفصل على جمل منها إذ لا يستطيع الباحث حصرها، ثم إن بين ثقافة تعظيم البلد الحرام والآثار المترتبة عليها علاقة تبادلية فإذا وجدت ثقافة تعظيم البلد الحرام وجدت آثارها، وآثار ثقافة تعظيم البلد الحرام تدل على وجود هذه الثقافة في الفرد والمجتمع، وكذلك بين آثار ثقافة تعظيم البلد الحرام في الإيمان والأخلاق ترابط وتداخل وتكامل فلا يمكن عزل أثر منها عن أثر آخر إذ كل أثر يبني على آثار أخرى ويتأثر بها ويؤثر فيها، فثقافة تعظيم البلد الحرام تؤثر في إيمان المسلم، وفي الوقت نفسه نجد أثر الأخلاق يزيد في إيمان المسلم، وإيمانه وأخلاقه ترتبط بثقافة تعظيم البلد الحرام. لذا لا بد أن لا يغيب عن أذهاننا أن الإسلام كيان مترابط الأجزاء، يتشابه فيه الإيمان مع العبادات، والأخلاق، والكل يخرج لنا ثمرة طيبة مباركة؛ مسلم كما يريد الله وَعَجَلًا ومجتمع استحق أن يكون خير أمة للناس.

وأقصد بالآثار الإيمانية الآثار العقدية فالإيمان هو الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة فقد أجاب النبي ﷺ عندما سئل عن الإيمان في حديث جبريل عليه السلام بذكر الأصول الستة وهي الإيمان بالله وَعَجَلًا، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " كَانِ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ؛ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ ^(١) " وهي من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ولعله يحسن بنا ذكر مقدمة يسيرة في :

(١) رواه البخاري في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٥٠)، ورواه مسلم في كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٥).

- تعريف العقيدة الإسلامية:**العقيدة في اللغة :**

من (العَقْدِ) وهو الربط والشدّ بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسك والمراصة ، والإثبات والتوثق^(١).

ويطلق على العهد وتأكيده اليمين (عَقْدٌ) . وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة) .

العقيدة في الاصطلاح العام :

الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك لدى المعتقد. وهو ما يؤمن به الإنسان ويعقد عليه ضميره، ويتخذه مذهباً وديناً يدين به، بغض النظر عن صحته من عدمها.

ويتضح بأن التعريف الاصطلاحي العام للعقيدة لا يخرجها عن مدلولها اللغوي فعقيدة الإنسان ما يعقد عليها قلبه ويؤمن بها.

تعريف العقيدة الإسلامية :

الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ورسوله - ﷺ - بالطاعة والتحكيم والاتباع.^(٢)

(١) انظر: لسان العرب، (٢٩٦/٣). محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م

(٢) انظر: مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، ص١١٠. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار العاصمة، ط٢،

- خصائص العقيدة الإسلامية :

امتازت العقيدة الإسلامية بخصائص نادرة لا توجد في أي عقيدة أخرى فمن ذلك :

١ - أنها ربانية المصدر:

أي أن مصدرها من عند الله، وأنها لم تتغير ولم تتبدل، وهذا يطمئن النفس أنها خير لأنفسنا، وأن السعادة تكمن في تنفيذها، وأن الشقاء يترتب على تركها.

٢ - أنها ثابتة:

قال الله ﷻ: ﴿ فَأَقْرَبُ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)

وثبات العقيدة ناتج عن أنها منزلة من عند الله، وقد انقطع الوحي بالتحاق رسول الله ﷺ بالفريق الأعلى من الجنة، وبقيت النصوص ثابتة إلى يوم الدين لا ينسخها ناسخ ولا يبدها كافر.

٣ - أنها توقيفية:

فعقيدة الإسلام موقوفة على كتاب الله، وما صح من سنة رسوله ﷺ، فليست محلاً للاجتهاد.

٤ - أنها شاملة:

شمول لجميع حاجات الفرد، في قلبه وعاطفته وأحاسيسه وفي مشاعره و جوارحه وفي متطلبات حياته الفردية والأسرية والاجتماعية والعالمية، فهي شاملة لكل ما يحتاجه أو ما يحقق السعادة للناس في الدنيا والآخرة.

٥ - أنها محفوظة:

فهي محفوظة بحفظ الدين، محفوظة بجميع جزئياتها وليس فقط قواعده وأصوله

(١) سورة الروم: الآية رقم (٣٠).

٦- أنها واضحة :

فالعقيدة الإسلامية عقيدة واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد..

هذه بعض خصائص العقيدة الإسلامية التي تميزت عن غيرها

● الآثار الإيمانية لثقافة تعظيم البلد الحرام:

١. تعظيم الله ﷻ:

إن تعظيم البلد الحرام ما هو إلا أثر ظاهر لتعظيم العبد لربه ونزول التقوى في قلبه كما قال الله ﷻ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبًا اللَّهُ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) فكلما تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد كلما ازداد إيمانه وكمل، فظهر ذلك جلياً على جوارحه بصلاح أقواله وأفعاله، وكلما ضعف تعظيمه لربه ضعف امتثاله لأمره ونهيته، وارتكب المعاصي والآثام وساء سلوكه، وضعف إيمانه قال ابن القيم رحمه الله: "ومن عقوبات الذنوب: أنها تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد شاء أم أبي ولو تمكن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه وربما اغتر المعتر وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء وطمعي في عفوه لا ضعف عظمتته في قلبي وهذا من مغالطة النفس فإن عظمة الله تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته وتعظيم حرماته تحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه و يكبره و يرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيته؟ هذا من أمحل المحال وأبين الباطل وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله وتعظيم حرماته ويهون عليه حقه"^(٢)

(١) سورة الحج: الآية (٣٢).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو الدواء والدواء، ٨٠/٢، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة،

ط١، ٤١٨هـ - ١٩٩٧م، المغرب.

٢. تقوية الصلة بالله ﷻ:

إن أعظم أثر يتركه تعظيم البلد الحرام في قلب المسلم هو تقوية صلته بالله ﷻ، إلى الدرجة التي تجعله يراقبه في السر والعلن، في كل حركاته وسكناته، فهو لا يقدم على شيء إلا وهو يراعي حرمة الله ويرجو له وقاراً، ومعنى ذلك أن المسلم في علاقته بربه، يستشعر الخشية والخوف منه، في نفس الوقت الذي يتوجه إليه بالرجاء، وذلك الخوف وهذا الرجاء يملآن قلبه بشعور عارم أن النفع والضرر بيد الله فيلجأ إليه ويستعين وبه ولا يسأل غيره.

فكلما قوية صلة العبد بربه كمل إيمانه وحسنت أخلاقه وكلما ضعفت هذه الصلة تخلق المسلم بالأخلاق السيئة والأفعال القبيحة، قال النبي ﷺ: "لَا يَزِينِي الرَّأْيِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرِبُ الْحَمْرَ حِينَ يَشْرِبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ"^(١).

٣. إحسان العبادات:

فإذا استقر الإيمان في قلب المسلم دفعه إلى البذل والتضحية وأداء كل واجب، على وجه الإحسان والالتقان، وتتحرك كل الحوافز الإيجابية لديه عندما ينادى بأروع نداء: ﴿يَتَّيَّهَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، إنه النداء الذي يفتح قلب المسلم فيخشع له وينقاد. نادى به الله ﷻ عباده المؤمنين في كتابه أكثر من ثمانين مرة، فيمثل أمر ربه بالحب والخوف والرجاء، فيزداد إيماناً مع إيمانه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: ﴿يَتَّيَّهَاتُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فأرعه سمعك فإنه خير يأمره، أو شر ينهى عنه"^(٢).

ويرتبط إيمان المسلم بعبادته ارتباطاً وثيقاً، ذلك أن العبادة تعبير عن إيمانه بربه، وللإيمان أثر في حراسة العبادة فهو لها حافز إيجابي يحرك الباعث عليها ويجول دون التقصير فيها ويجعلها

(١) رواه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب النهي بغير إذن صاحبه، رقم (٢٤٧٥). ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، رقم (١٠٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم (٢٨٣).

متقنة خاشعة قد أحسنت في عبادتها كما قال النبي ﷺ: "أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"^(١)، فإذا قامت العبادات على أصولها، وروعيت في أدائها معانيها، قام تعظيم البلد الحرام على سوقه، وظهر تأثيره في أخلاق المجتمع الإسلامي وسلوكه، فالعبادة الصحيحة هي النبع الفياض والمعين الصافي الذي يسقي قيمة تعظيم البلد الحرام.

فالتعظيم ما هو إلا نتاج تأثير عبادة صحيحة، ولا تجد معظماً للبلد الحرام إلا وقد صلح خلقه وسلوكه، وهذه هي قيمة تعظيم البلد الحرام أن يكون واقعاً عملياً نعيشه في حياتنا اليومية لا أن يكون نصوصاً مكتوبة أو محفوظة.

• اجتماع العبادات في البلد الحرام وأثرها على المسلم:

في البلد الحرام تجتمع العبادات وتقوم أركان الإسلام فيه، فيترى المسلمون على القيم الإسلامية النبيلة، وتزيدهم تعظيماً للبلد الحرام إذ يزداد إيمانهم وهم يشاهدون آيات الله البينات في بلده فيؤثر هذا الإيمان على سلوكهم بشكل إيجابي، فيجعلهم يتصفون بصفات حميدة مثل: الحياء، العفة، حسن الخلق كما أنهم يبعدون عن الصفات الذميمة مثل: الحسد، اقتراف الاثم والمعصية، السرقة، الكذب، النظر الى المحرمات، التجسس على الناس، الغيبة، النميمة، السب و الشتم، و غيرها.

فالصلاة التي هي أهم الأركان في الإسلام بعد توحيد الله ﷻ نجد أنها من أعظم وسائل تزكية النفوس، وطهارتها، كما قال الله ﷻ: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۗ﴾^(٢)

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال إن فلاناً يُصَلِّي بالليل فإذا أصبح سرق قال إنَّه سَيَنْهَاهُ مَا يُقُولُ"^(٣) فحقيقة الصلاة تزكية للنفس وتطهير لها من الأخلاق الرديئة والصفات السيئة.

(١) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٥٠)، ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، رقم (١).

(٢) سورة العنكبوت: الآية رقم (٤٥).

(٣) رواه الأمام أحمد، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة، رقم (٩٧٧٧). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٣٤٨٢).

وكذلك الصيام من غاياته العظمى تحقيق التقوى كما قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) وقال النبي ﷺ: " مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ"^(٢)

ولا تتم التقوى عند العبد إلا إذا حسن خلقه مع خلق الله تعالى ، ولهذا جمع النبي ﷺ بين الوصية بالتقوى والوصية بحسن الخلق حين قال: "اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَّحُهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِحُسْنٍ" (٣) كما وجه النبي ﷺ الصائم إلى ضرورة التحلي بالحلم وحسن الخلق حين قال مخاطبا الصائمين: "فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيُقَلِّبْ فِي أَمْرِهِ صَائِمٌ" (٤) والزكاة كذلك هي عبادة وفريضة وهي أيضا وسيلة من أعظم وسائل تطهير النفس من البخل والشح والأنانية، وزرع معاني الفضيلة والألفة والرحمة والشفقة، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥) ، أما الحج وهو الركن الخامس من أركان الإسلام فله أثر بالغ في إصلاح الأخلاق وتهذيب السلوك قال الله ﷻ ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (٦) ، وقال النبي ﷺ: "مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"^(٧)

والمأمل في عبادة الحج يجد أن أعظم مقاصده هو تحقيق العبودية لله ﷻ، وتوحيده بإفراده وحده بالعبادة . ولهذا لما ذكر الله ﷻ جملة من آيات الحج قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ

(١) سورة البقرة: الآية رقم (١٨٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم (١٩٠٣).

(٣) سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس، رقم (١٩٨٧)، وحسنه الألباني

(٤) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم، رقم (١١٥١).

(٥) سورة التوبة: الآية رقم (١٠٣).

(٦) سورة البقرة: الآية رقم (١٩٧).

(٧) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم (١٥٢١).

جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا إِلَى اللَّهِ وَّجِدْفَلَهُ أَشْكُرًا بِشَرِّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾ ومظاهر التسليم والانقياد في هذه العبادة واضحة جداً، ولهذه المظاهر أثر
عظيم على زيادة الإيمان، واستقامة السلوك.



(١) سورة الحج: الآية رقم (٣٤).

المبحث الثاني:

الآثار الأخلاقية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي

توطئة:

كان الحديث في المبحث الأول عن الآثار الإيمانية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي وأن غرس العقيدة الصافية في النفوس، وحمايتها من كل ما ييطلها أو يضعفها، سيترك أثراً في قلب كل مؤمن يعظم البلد الحرام في أي مكان وأي زمان.

وفي هذا المبحث نتناول الآثار الأخلاقية التي ستغرسها ثقافة تعظيم البلد الحرام على الفرد والمجتمع، والحديث عن الأخلاق في هذا العصر حديث عن الضرورة في مكانها فالعالم بأسره يعيش مرحلة جفاف وجدب وقحط في القيم والأخلاق، والعالم تحركه المصالح لا القيم، والأمة الإسلامية عطشى لهذه الأخلاق والماء فوق ظهورها محمول !!

ولا استقرار للناس وللمجتمعات إلا في ظل القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي جاء الإسلام لتكميلها وإتمامها فإن من أجل غايات بعثة نبينا محمد ﷺ هو إتمام مكارم الأخلاق فقد قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(١).

والأمة الإسلامية التي تكون غالبيتها بالأخلاق والقيم الإسلامية السمحاء تتقدم صفوف العالم ويعلو صيتها في كل محفل، ولن تمسك الأمة الإسلامية بزمام قيادة العالم حتى تتمسك بأخلاق الإسلام وقيمه، إذ ليس هناك من دين كدين الإسلام اشتمل على منهج متكامل في الأخلاق في شعبه وعناصره ومقوماته وقيمه ووسائله، فالإسلام هو معلم الخلق العفيف

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب حسن الخلق، رقم (٢٨٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٤٥).

والصفات الحميدة والمربي على الصدق والإخلاص في القول والعمل، جاء به الله ﷻ فأحيى به من كان ميتا وألان قلوبا كانت أشد من الحجارة فسان الحقوق وحرس الحرمات، وجعل الدعوة إليه شاملة للعالمين في كل زمان ومكان وهذا أكبر دليل على حيوية هذا الدين وتجده وملاءمته لكل عصر فهو نهر لا يجف يسقي البشرية ويزين حياتها.

فأمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، ولكن كيف نكون كذلك اليوم، ونحن نرى الأخلاق والقيم الإسلامية تدس في التراب الذي ولدت عليه في البلد الحرام، إلا من رحم الله!!

إن الأمة الإسلامية تتحمل تبعات تقصيرها في إظهار البيت الحرام قياما للناس كما ينبغي أن يكون.

وثقافة تعظيم البلد الحرام تسعى لإصلاح الفرد والمجتمع ليقوم الجميع بأداء الأمانة التي حملها الإنسان.

فمع عظيم هذا الحمل إلا أن الله ﷻ أعطاه من الأخلاق والقيم ما يصون بها الحقوق ويحفظ بها الذمم فإذا تنكر لها كان ظلوما جهولا.

وهذه مقدمة في تعريف الأخلاق الإسلامية وبيان خصائصها:

تعريف الأخلاق :

في اللغة :

الأخلاق جمع لكلمة خلق والخلق قال ابن منظور رحمه الله : "الخلقُ بضم اللام وسكونها وهو الدين والطبع والسجية" (١).

(١) لسان العرب، (١٠/٨٦). محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٠ - ١٩٩٠م.

الأخلاق في الاصطلاح :

"الخلق حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"^(١) وعرفت الأخلاق أيضا بأنها: "صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة"^(٢) ويتضح من هذين التعريفين المتقاربين أن الأخلاق تتصف بالرسوخ والملازمة لصاحبها بحيث تكون بمثابة الموجه لأفعال الإنسان والأنماط السلوكية لديه وهي نوعان : حميدة ومذمومة^(٣).

تعريف الأخلاق في الإسلام :

هي "مجموعة التصرفات القولية والفعالية التي يقوم بها المسلم والتي تنبثق عن العقيدة الإسلامية"^(٤)

● أثر ثقافة تعظيم البلد الحرام على الفرد:

لثقافة تعظيم البلد الحرام آثار أخلاقية على الفرد المسلم، فثقافة التعظيم تعيد بناء شخصية كل مسلم وتضبط سكنات وحركات جوارحه بل قلبه أيضاً، فتزيد مما فيه من خلق حسن وتقضي على كل خلق قبيح، فقد تعلم أن العبودية الحققة لله ﷻ تكمن في الاستسلام لكل ما جاء به والانقياد له، والاتباع الصادق لرسول الله ﷺ وقد رأى بعينه وتعلم في ثقافة تعظيم البلد الحرام ذلك

(١) تهذيب الأخلاق في التربية، ص (٢٥). لابن مسكويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها، (١٠/١). عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٨، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

(٣) انظر: معلم الثقافة الإسلامية، ص (٦٦). أمين أبو لاوي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٤) دراسات في الثقافة الإسلامية، ص (٣١٩). د. أمير عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

وفي ثقافة البلد الحرام وسائل وأسباب كثيرة معينة على تربية المسلم فرداً وجماعة على اكتساب الأخلاق الحسنة ففي الحج مثلاً حيث تجتمع الحشود الإسلامية من كل مكان لتشارك في أداء أنواع العبادات حبا وخوفاً وطمعاً فتصقل قلوبهم وتطهر نفوسهم فمن ذلك:

١- تصحيح العقيدة وزيادة الإيمان:

إذ تعلم في البلد الحرام الإخلاص والدين الخالص وملة إبراهيم والاتباع والانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبقدر انحرافه في السلوك والأخلاق بقدر ما عنده من انحراف في عقيدته والناس في ذلك مستقل ومستكثرو إذا صحت العقيدة حسنت الأخلاق فهي تحمل صاحبها على كل خلق كريم وتردعه عن مساوئ الأخلاق "فإن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن وحركات الجوارح ثمرات الخواطر والأعمال نتيجة الأخلاق والآداب رشح المعارف وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها وتبدل بالمحاسن مكارهها ومساوئها ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفيض على ظاهره جمال الآداب النبوية"^(١)

٢- مداومة الدعاء والتضرع إلى الله ﷻ :

لا شك أن الدعاء سبب في تحقيق التعظيم للبلد الحرام، وثمرته أن يزداد المسلم في تضرعه وشكره لربه، ومواطن الدعاء كثيرة مطلقة ومقيدة في البلد الحرام كالوقوف على الصفا والمروة في نسك العمرة والحج وفي المشاعر المقدسة كيوم عرفة وبعد الفجر في مزدلفة وبعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى في أيام رمي الجمار وكان من دعائه ﷻ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ"^(٢) وكان يقول ﷻ: "وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ

(١) إحياء علوم الدين، ٣٥٧/٢، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، رقم (٢٨٢٣). ورواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، رقم (٢٧٠٦).

عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ" (١) وكان يقول ﷺ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ" (٢)

٣- غرس الأخلاق والقيم في نفس المسلم :

إذ لم تكن هناك مقاييس ثابتة للأخلاق قبل الإسلام لا في الجزيرة العربية ولا في غيرها فالعدل كان أحيانا يعد من الأخلاق العالية ولكن الجور أحيانا يعد بطولة. وكانت الأمانة ضرورية داخل الأسرة ولكن خارج الأسرة والقبيلة كان السلب محمداً وهكذا.

فلما جاء الإسلام ألغى حدود الزمان والمكان والجنس بالنسبة للأخلاق وحدد الفضائل والردائل وجعلها مستقرة ثابتة في كل الظروف فالصدق والإخلاص في العمل والكرم والوفاء بالوعد والصبر والحلم والعفو صفات يلتزم بها المسلم والكذب والكبر والظلم والرشوة والحسد والغيبة والنميمة ردائل يجب أن يتعد عنها المسلم في أي زمان ومكان ومع المسلم والكافر فهي مغروسة في قلبه مترجمة في خلقه.

• الآثار الأخلاقية على المجتمع الإسلامي :

١. تحقق العناية بالجسد الواحد والحرص على الاجتماع وعدم التفرق فغراس العقيدة السليمة والعمل الصالح الذي انطلق من البلد الحرام أوجد رابطاً قويا بين المؤمنين ينتسب بعضهم إلى بعض ويحيا بعضهم مع بعض فهم جماعة لا يفترون وجسد واحد لا يتمزقون.

ولما كان الحج مظهراً من مظاهر الإسلام العظيمة، ومؤمراً إسلامياً يجمع آلاف المسلمين على اختلاف بلدانهم وألوانهم ولغاتهم، في أماكن متفرقة من مكة والمشاعر المقدسة كعرفة ومنى ومزدلفة، ويتوحدون في لباسهم وتلبيتهم، فهذا الاجتماع يحمل في طياته وحدة في الشعور

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، رقم (٧٧١).

(٢) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب دعاء أم سلمة، رقم (٣٥٩١). وصححه الألباني.

والمشاعر بين المسلمين وهو بمثابة العيد لأمة الإسلام جعل المسلمين يعيشون هذا الشعور في أي بلد كانوا، وثقافة تعظيم البلد الحرام أكبر مستوًج ودافع لاجتماع المسلمين ومذيب للفرقة.

١. الرغبة في المسارعة إلى العمل الصالح فقد تعلم المسلمون من ثقافة تعظيم البلد الحرام أن ما كان لله يبقى وما كان لغيره يموت ولا يجد السلامة من يظلم ولا الأمن من يخيف المسلمين .

٢. الشعور بالمساواة والأخوة الإسلامية :

فالكل في البلد الحرام سواء الغني والفقير والشريف والوضيع والكبير والصغير الكل محترم دمه وماله وعرضه والكل يتوجه إلى الكعبة المشرفة في أي بلد كان فالكل متساو في تعظيم هذا البلد الحرام كما تساوا في عبوديتهم لله تعالى ، يستجيبون لنداء الله ويلبسون حي على الصلاة وينتظمون في وقوفهم بين يدي الله لا على حسب مقاماتهم ومكانتهم الاجتماعية إنما على حسب إجابتهم لنداء الصلاة. والكل يدخل إلي البلد الحرام حاجاً أو معتمراً قد خلع لباسه ولبس لباساً واحداً تنتهي به كل مظهرية وتمايز في اللباس والهئية ليندمج الجميع في لباس واحد كأنه على جسد واحد ومن شواهد ذلك ما نقله صاحب كتاب مسيحيون في مكة حيث يقول أحدهم: "عند عرفات فقط يستطيع المرء أن يكون فكرة عن المشهد المهيب الذي يوفره الحج. حشدٌ لا يحصى من الرجال من جميع الأمم والألوان يأتون من أطراف الأرض عبر آلاف المخاطر والمصاعب الكثيرة كي يعبدوا معاً الإله الواحد. ساكن القوقاز يمد يد الصداقة إلى الإثيوبي والزنجي الغيني. والهندي والفرسي يتآخيان مع أبناء البربر في شمال أفريقيا ومراكش. يعتبر الجميع أنفسهم أفراد عائلة واحدة. ليس هناك من وسيط بين الإنسان وربه: الجميع مساوون أمام الخالق"^(١). فالكل في البلد الحرام يمثل الأمر ويجتنب النهي ويتعلم الجميع درساً عظيماً في مساواة الله لعباده في البلد الحرام.

(١) انظر: مسيحيون في مكة، ص (٦٠). أغسطس رالي، دار الوراق، لندن، ط٢، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣. تهذيب نفوس المسلمين وتزكيتهما رغبة في القدوم للبلد الحرام فتحسن أخلاقه ويطيب تعامله مع الآخرين فلا يغش في بيعه وكسبه فهو يعلم أن طيب لا يقبل إلا طيباً وأن الله لا يقبل عملاً صالحاً بما لم يحرم.

٤. زيادة شوق المسلمين وحنينهم للبلد الحرام فهم على اتصال دائم بها كل يوم يتوجهن إليها في صلاتهم وعند ذبحهم وعند دفن المسلمين وهي في قلوبهم حتى حال قضائهم للحاجة فهم يحذرن استقبالها أو استدبارها، فهي ملازمة لهم وكل هذا يؤثر إيجاباً في سلوكهم مع أنفسهم والآخرين.

الخاتمة

أحمد الله ﷻ على فضله وتوفيقه وإعانتني على إتمام البحث وقد توصلت من خلال هذا البحث على نتائج عدة أجمل أهمها فيما يلي :

- ١- أهمية نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام بين الناس.
- ٢- أن الله ﷻ أختص بعض الأماكن عن بعض وذلك لكمان حكمته وأنه يخلق مايشاء ويختار .
- ٣- أن الله ﷻ أقسم بالبلد الحرام وذكره بأسماء عدة في القرآن الكريم .
- ٤- أن الله ﷻ حرم البلد الحرام وأحبه وأضافه إليه . تشريعاً للبلد الحرام وتعظيمًا .
- ٥- أن جميع الأعمال الصالحة مضاعفة في البلد الحرام .
- ٦- أن الله ﷻ اختص البلد الحرام بآيات بينات .
- ٧- أن الله ﷻ جعل البيت الحرام قياماً للناس في معاشهم ومعادهم .
- ٨- أن البلد الحرام مولد النبي ﷺ ومهبط الوحي وقبلة المسلمين .
- ٩- أن جميع أنبياء الله ﷻ عظموا البلد الحرام .
- ١٠- أن الناس مسلمهم وكافرهم منذ بناء الكعبة المشرفة عظموا البلد الحرام .
- ١١- أن وسائل وأساليب ثقافة تعظيم البلد الحرام منضبطة بأحكام الإسلام .
- ١٢- العديد من الوسائل الشرعية التعبدية في القرآن والسنة جاءت لتعظيم البلد الحرام .
- ١٣- أن الوسائل المادية لثقافة تعظيم البلد الحرام ليس لها حد .
- ١٤- أن لثقافة تعظيم البلد الحرام آثار إيمانية على الفرد والمجتمع .

١٥ - أن لثقافة تعظيم البلد الحرام آثار أخلاقية على الفرد والمجتمع .

التوصيات:

١١ . التعاون المشترك بين جميع المؤسسات الحكومية وغير الحكومية في نشر ثقافة تعظيم البلد الحرام.

١٢ . اقترح بناء سور دائري من حدود الحرام يحيط بالبلد الحرام، إبرازاً لمكانة البلد الحرام ومعلماً شاهداً ومذكراً لمكانته.

١٣ . واقترح الاستفادة من جميع المناشط الدعوية في المملكة العربية السعودية والمراكز الدعوية التابعة لها في جميع العالم، وذلك بتوظيف ثقافة تعظيم البلد الحرام.

١٤ . تبني مشروع تعظيم البلد الحرام على مستوى الدولة وتخصيص الميزانيات المناسبة له.

وفي الختام :

أسأل الله عز وجل أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله من العمل الصالح الذي ينتفع به في الدنيا والآخرة، وأن يتجاوز عما وقع فيه من الخطأ والزلل إنه خير مسؤول.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الفهارس

- ✧ فهرس الآيات القرآنية .
- ✧ فهرس الأحاديث والآثار .
- ✧ فهرس الشواهد الشعرية .
- ✧ فهرس الأعلام المترجم لهم .
- ✧ فهرس الكلمات والألفاظ المعرف بها
- ✧ فهرس المصادر والمراجع
- ✧ فهرس الموضوعات .

* *

* *

* *

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٣٦ ٣٧	٣٠	البقرة	﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾
١٤٣	٣٠	البقرة	﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾
٦٣ ٦٦	١٢٥	البقرة	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾
١٢٣ ١٧٦ ٢٥١ ٢٥٨	١٢٥	البقرة	﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
٤٥ ٦٣ ٦٨ ٧٣ ١٧٣ ١٧٥ ١٧٩	١٢٦	البقرة	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِن الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾
١٢٠ ١٦٩	١٢٧	البقرة	﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٧٧	١٢٩	البقرة	﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾
١٧٤	١٣٢	البقرة	﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِي إِدْنَ اللَّهُ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُونَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
٤٥ ٩٥ ٩٦ ١٠٠	١٤٤	البقرة	﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾
١٥٣ ١٥٤	١٤٤	البقرة	﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ﴾
١٥٤	١٤٩	البقرة	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾
١٥٤ ١٥٥ ٢٤٩	١٥٠	البقرة	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
٢٥٥ ٢٦٠	١٥٨	البقرة	﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ سَعَابِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾
٢٨٧	١٨٣	البقرة	﴿ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٢٠ ٢١	١٩١	البقرة	﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفِفْتُمُوهُمْ﴾
٢٦٥	١٩١	البقرة	﴿وَلَا تُقْتَلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقْتَلُوا فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكٰفِرِينَ﴾
٤٥	١٩٤	البقرة	﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾
٨٤ ٢٨٧	١٩٧	البقرة	﴿الْحِجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنْ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾
٤٦	١٩٨	البقرة	﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾
١٣٤	٢١١	البقرة	﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكُمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
١٦٠	٢١٣	البقرة	﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾
١٠٧	٢٧٩	البقرة	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾
١٢٧	٩٥	آل عمران	﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
٦٩ ٩١ ١١٦ ١٦٦ ٢٧٥	٩٦	آل عمران	﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعٰلَمِينَ﴾
٦٣ ٦٨	٩٧	آل عمران	﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٢٢	٩٧	آل عمران	﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾
٢٦٠	٩٧	آل عمران	﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾
١١٨	٩٧-٩٦	آل عمران	﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ
١١٩			آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ
١٢٦			الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾
٢٠	١٢١	آل عمران	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا ﴾
١٤٨	١٦٤	آل عمران	﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾
٧١	١٩٦ ١٩٧	آل عمران	﴿ لَا يَغْرَبَنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمِهَادُ ﴾
١٤٢	٥	النساء	﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّفَهَاءَ آمَوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا ﴾
١٧٤	٥٤	النساء	﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾
٢٠	٩١	النساء	﴿ فَخُذُوهُمْ وَأَفْلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ﴾
١٤٧	١١٣	النساء	﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾
١٥٩	١٦٥	النساء	﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾
١٠٠	٢	المائدة	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوا شَعْبَةَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضُلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٤٧	١٦-١٥	المائدة	﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
٣٦	٢١	المائدة	﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾
٢٣١	٣٥	المائدة	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾
١٣٧	٩٥	المائدة	﴿يُحَكِّمُ بِهِ ذَوْا عَدَلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾
٢٦٢	٩٥	المائدة	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾
٤٦ ٦٩ ١٣٧ ١٣٨ ١٤٢	٩٧	المائدة	﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَهَدَى وَالْقَلِيدَ ؕ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ ءَأَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
١٦٣	٩٠-٨٩	الأنعام	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدْيِهِمْ أَفْتَدَهُ﴾
١٥٩	٩٠	الأنعام	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمُهَدْيِهِمْ أَفْتَدَهُ﴾
٩٢	٩٢	الأنعام	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾
١٥٢	١٦٣	الأنعام	﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾
٢٥	١٥٣	الأعراف	﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٥٩	١٧٢	الأعراف	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾
٢١٩	٢٠١	الأعراف	﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾
٢٠ ٢١	٥٧	الأنفال	﴿فَمَا تَتَقَنَّاهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾
٢٦	٧٤	الأنفال	﴿مَا كَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ كَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾
٩٥ ٢٢٠	١٩	التوبة	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
٨٢ ٩٦ ١٣٢ ٢٦٤	٢٨	التوبة	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾
٢٨٧	١٠٣	التوبة	﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾
١٦٠	١٩	يونس	﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
٢٠١	٣٢	يونس	﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾
٢٤٧	٥٩	يونس	﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَللَّهِ أَذِنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٧٢	٧٠	يونس	﴿مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾
١٥٤	٨٧	يونس	﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾
١٣٢	٩٧-٩٦	يونس	﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾
٢٧٤	٢١	يوسف	﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٢١٩	١٠٦	يوسف	﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾
١٦٢	١١١	يوسف	﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾
٨٧	٧	إبراهيم	﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾
٨٧	٣٤	إبراهيم	﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَوْءِدٌ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَفَّارٌ﴾
٤٥ ٩٣ ١٦٠ ٧٣	٣٥	إبراهيم	﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٠			
٦٧			
٧٣			
٩٧			
١٠٠			
١٠٢	٣٧	إبراهيم	﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾
١٦٠			
١٧٥			
١٧٦			
١٨٠			
٢٥٠			
١٧٢	٣٧-٣٥	إبراهيم	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾
٧١	٤٢	إبراهيم	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾
١٧٤	٣٦	النحل	﴿أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾
٨٧	٥٣	النحل	﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٨٧	١١٢	النحل	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾
١٣٤	١٢٣	النحل	﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
١٣٥	٩	الإسراء	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾
١٣٢	٧٥	الإسراء	﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾
١٩٧ ٢٥١	٨١	الإسراء	﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾
١٥٠	١٢٣	طه	﴿فَأَمَّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا مَنِّي هُدًى فَزَكَاةً وَسَبَقَةً لِّئَلَّا تُكَفَّرُوا بِتِجَارَتِكُمُ الْبَاهِيَةِ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَمَّا بَدَأُوا بِالْبَيْعِ وَالْبَاطِلِ لَعِينُهُمْ وَإِن كَانَ كَدْحًا فَبِاطِلٍ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾
٦٢	١٠٣	الأنبياء	﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا نُفْسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾
٨٠ ٢٢٢ ٢٦٩	٢٥	الحج	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحُكْمِ يُظَلَمِ نُذُوقُهُ مِن عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٠٢			
١٠٣			
١٠٤			
١٠٩	٢٦	الحج	﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾
١٦٩			
٢٥١			
٢٥٤			
٢٥٥			
٦٦	٢٧	الحج	﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَلَا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾
١٢٧			
١٢١	٢٩	الحج	﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾
٢٤			
٣٥	٣٠	الحج	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾
١٠١			
٢٤	٣٢	الحج	﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْمِ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾
٢٨٤			
٢٨٨	٣٤	الحج	﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بِهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالذِّكْرُ لِلَّهِ وَحَدِّفْ لَهُ أَسْلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾
١٧٢	٧٨	الحج	﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾
٢٤٨	٦٣	النور	﴿فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٤٢	٧٠	الفرقان	﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
٤٥ ٧٩ ٩٤ ١٠٠ ١٠٢ ٢٥٤	٩١	النمل	﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَ وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۗ ﴿١٠٠﴾ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
٤٦ ٦٣ ٦٩ ٧٣ ١٠٠ ١٢٨ ١٧٥ ٢٤٩	٥٧	القصص	﴿أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبِّئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٦٣	٦٨	القصص	﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾
٩٦ ١٨٥	٨٥	القصص	﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٧٤	٢٧	العنكبوت	﴿وَهَبْنَاهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَيَّدْنَاهُ بِجِبْرَاهِيمَ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾
٢٨٦	٤٥	العنكبوت	﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾
١٠٣	٥٦	العنكبوت	﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾
٦٢	٦٠	العنكبوت	﴿وَكَايْنٍ مِّنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٤٦ ٦٣ ٦٥ ٦٩ ١٠٠ ١٤٣	٦٧	العنكبوت	﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّاءً آمِنًا وَنَحْنُظِفُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾
١٣٢	٦٩	العنكبوت	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾
١٦٠ ٢٨٣	٣٠	الروم	﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾
١٥	١٤	لقمان	﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ﴾
٧١	٢٤	لقمان	﴿نُمِئْتُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّطُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾
٢٤٨	٣٦	الأحزاب	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
١٤٩	٤٥	الأحزاب	﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾
٢٠ ٢١	٦١	الأحزاب	﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَفْجُؤُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَفْتِيلًا﴾ (٦١)
١٩٧ ٢٥١	٤٩	سبأ	﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾
٤٢	٥٣	الزمر	﴿قُلْ يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾
٣٩	٦٧	الزمر	﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾
٦٢	٣٢	فصلت	﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ (٣١) ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾
١٥٠	٣٥-٣٤	فصلت	﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ بُولَئٍ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
٩٢	٧	الشورى	﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَارْتَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾
٢٤٧	٢١	الشورى	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
١٣٥	٥٢	الشورى	﴿وَإِنكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾
١٧٤	٢٨	الزخرف	﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
٤٠	٤	الدخان	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢) ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٣٣ ٣٤	٩	الفتح	﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾
١٩١	١٨	الفتح	﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
٩٠	٢٤	الفتح	﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾
١٨٩	٢٥	الفتح	﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَىٰ مَعَكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِمْلَهُ، وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِبَكُمْ مِّنْهُمْ مَّعْرَةٌ بَعِيرٌ عِلْمٌ لِّدُخْلِ اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ، مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
٢٥٢	١٣	الحجرات	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾
١٥٩	٥٦	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
٢٤٨	٧	الحشر	﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾
١٥٦	١٠	الحشر	﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾
٣٧ ٦٢	٢٣	الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٢٠	٢	المتحنة	﴿إِنْ يَشْفِقُواكُمْ يُكَفِّرُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾
١٧٨	٢	الجمعة	﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾
١٢٢	٥	التحریم	﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِمَّا كُنْتِ فِي﴾
٣٤	١٣	نوح	﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾
١٤٧	٢-١	المدثر	﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْيُنِيُّ ﴿١﴾ قُمْ فَاذْكُرْ﴾
٢٩ ٤٧ ٥٨ ٩٣	٣-١	البلد	﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٍ﴾
١٠٣	١٣	الشمس	﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾
٥٨	٢	التين	﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾
٦٣ ٩٣	٣	التين	﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾
١٤٧	٣	العلق	﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾
٣٩	١	القدر	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾
٧٠	٥-١	الفيل	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾
١٤١	٢-١	قريش	﴿لَا يَلْفُفُ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾

الصفحة	رقمها	اسم السورة	الآية
٦٣ ٧٥ ٧٧	٤-٣	قريش	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٢﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾
١٤٩	٣-١	النصر	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾

فهرس الأحاديث والآثار

- أَبْعَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ مُلْحِدٌ فِي الْحَرَمِ ٧١
- اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ٢٨٧
- أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ ١٤٩
- أَحْسِنَ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ حَطْمِ الْحَيْلِ ١٩٥
- إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَاظِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا ٢٦٦
- إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَلَا يَسْتَدْبِرُهَا ٢٦٦
- ارْتَقَيْتُ فَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ حَفْصَةَ لِبَعْضِ حَاجَتِي ٢٦٧
- اسْتَمْتَعُوا بِهَذَا الْبَيْتِ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ، وَيُرْفَعُ فِي الثَّلَاثَةِ ٢٥٨
- أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا ١٦٠
- أَلَا أَيُّ شَهْرٍ تَعْلَمُونَهُ أَعْظَمَ حُرْمَةً؟ ٢٦
- أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ أَحَدُكُمْ رَهْبَةَ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ الْحَقَّ إِذَا رَأَاهُ ٢٥
- الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَالَمَاتٍ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ٢٠١
- الطَّاعُونَ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ٧٧
- الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ ٢٦١
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ ٢٩٢
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَهْوَاءِ ٢٩٣
- الْمَدِينَةُ وَمَكَّةُ مَخْفُوفَتَانِ بِالْمَلَائِكَةِ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ مِنْهَا ٧٧
- الْوَزْنُ وَزَنُ أَهْلِ مَكَّةَ وَالْمِكْيَالُ مِكْيَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ١٨٠

- أن نبي الله ﷺ دعا فقال: "اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَكَّنَاتِنَا ٢٠٠
- أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ ١٩٨
- أن إبراهيم حرم مكة ودعا لها وحرمت المدينة كما حرم إبراهيم ١٧٨
- إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ٨٤
- إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ١٢٥
- إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد بعدي ٢٦٢
- إن الله ليملئ للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ٧١
- إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عرثهم وعجمهم ١٤٧
- إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ ١٤٧
- أن النبي ﷺ دخل مكة ولوأوه أبيض ١٩٦
- أن النبي ﷺ رأى نحامة في القبلة فشق ذلك عليه ٢٦٧
- أن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه ٤٠
- أن امرأة اشتكت شكوى، فقالت: إن شفاني الله ١١٣
- إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ١١١
- أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ٢٨٦
- إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ٢٦٥
- أن رجلاً أم قوماً فبصق في القبلة ورسول الله ﷺ ينظر ٢٦٨
- أن رسول الله ﷺ جاء إلى السقاية فاستسقى ٢٥٩
- أن رسول الله ﷺ رأى بصاقاً في جدار القبلة ٢٦٨
- أن رسول الله ﷺ: مر بوادي الأزرق فقال أي واد هذا ١٨١
- أن قوماً كانوا قتلوا فأكثروا ورتبوا ٤٢

- ٢٥٦ إِنَّ مَسْحَهُمَا يُحْطَانِ الْخَطَايَا.
- ١٠١ إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ
- ٢٦٥ ، ١٩٩ إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرِي
- ١٧٨ أَنَا دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ بَشَرَ بِي
- ٢٢٢ انظروا ما أنتم قائلون غدًا إذا سُئِلَ هذا عنكم وسئلتم عنه
- ٢٨٩ إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
- ٨٦ أَنَّهُ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ قَتَلْتُ خِرَاعَةَ رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ
- ٢٥٧ إِيَّيَّ أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ
- ١٨٧ إِيَّيَّ تَرَكْتُ كَعْبَ بْنِ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ
- ٢٩٢ اهْدِينِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ
- ١٨٨ بَعَثْتُ قَرِيشَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَحُوَيْطِبَ بْنَ عَبْدِ الْعُزَّى
- ٢٤٥ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُخْطَبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ
- ١٧٠ ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيْلُ
- ١٢٣ ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٤٦ حَتَّى اللَّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ
- ٤٦ خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا
- ١٩٧ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُونَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ نَصَبٍ
- ١٠٣ ذُو السُّؤْيُفَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ يُحَرِّبُ بَيْتَ اللَّهِ ﷻ
- ١١١ رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ
- ٢٥٦ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيَقْبَلُهُ
- ١٤٥ ، ١٠٥ رَأَيْتُ الرَّسُولَ ﷺ واقفًا على الحُزُورَةِ

- رَمَزْمُ طَعَامٍ طَعِمَ وَشِفَاءٌ سَقِمٍ ٧٤
- سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونَ ٧٦
- شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ ١٤٩
- صَاحَ النَّبِيُّ ﷺ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ ١٩٠
- صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ ١١٢
- صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ ١١٥
- صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ ١١٣
- صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ، مِنْ الْمَسَاجِدِ ١١٣
- صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيَمَا سِوَاهُ ١١٢
- صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْحَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ١٦٤
- صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْحَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ، مِنْهُمْ مُوسَى ١٨٢
- طَافَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَيْتِ عَلَى بَعِيرٍ ٢٥٦
- طَافَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عَلَى بَعِيرٍ ٢٥٦
- طَيَّبُوا الْبَيْتَ فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ تَطْهِيرِهِ ٢٢٦
- فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فَتَضَعَفْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ ٩٨
- فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرُفْثُ يَوْمَئِذٍ ٢٨٧
- فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ٢٤٨
- فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا ٢٧٠
- فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ٢٤٩
- فَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ فَإِنَّ هَا هُنَا بَيْتَ اللَّهِ ١٠٣
- فَلَا يَجِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا ٨٦

- قال أبو ذر رضي الله عنه في قصة إسلامه: "وَلَقَدْ لَبِثْتُ يَا ابْنَ أَحِي تَلَاثِينَ ٧٤
- قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الْحُلَاصَةِ؟ ٢٠٧
- قال: لي رسول الله ﷺ: "مَتَى كُنْتَ هَاهُنَا؟ ٢٥٩
- قَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَى الْحَجَرِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ ٦٦
- قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ثُمَّ صَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ ١٢٢
- قدمنا المدينة وهي وبيئة فاشتكى أبو بكر واشتكى بلال ١٨٥
- قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلَ ١٢٠
- فَوُومُوا فَأَنْحَرُوا ثُمَّ اخْلِفُوا قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ ١٩٠
- كان ابن عمر - رضي الله عنهما - إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التلبية ١٩٨
- كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ ٢٨١
- كانت الأنبياء إذا أتت على الحرم نزعوا نعالهم ١٦٣
- كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي هَذَا الْوَادِي ١٨١
- كُنَّا نُسَمِّيهَا شُبَاعَةَ - يَعْنِي زَمْرَمَ - ٢٥٩
- لا أدع استلام هذين الركنين منذ ٢٥٧
- لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا عَظَّمُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ حَقَّ تَعْظِيمِهَا ٢٦
- لا تسكن مكة - وكان عثمان رجلاً جميلاً - قال: فظننت أنه يريد ذلك ٢٢٣
- لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ ٢٥٨
- لَا تُعْزَى مَكَّةُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا ٨٣
- لَا تُعْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٨٣
- لَا تُعْزَى هَذِهِ بَعْدَهَا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ٦٩
- لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُحَجَّ الْبَيْتُ ١٤٢

- لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ ١٤٢
- لا تَنْتَهِي البُعُوثُ عَنْ عَزْوِ هَذَا البَيْتِ حَتَّى يُحْسَفَ بِجَيْشٍ مِنْهُمْ ٨٥
- لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ ٨٥
- لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ٢٧١
- لا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا ٧٩
- لا يَجِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السَّلَاحَ ٨٢
- لا يَزِينِي الرَّابِي حِينَ يَزِينِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ٢٨٥
- لا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَبْصَارَهُمْ فِيهَا ٣٩
- لأنَّ أخطى سبعين خطيئة بركبة ٢٢٢
- لَقَدْ مَرَّ بِالصَّخْرَةِ مِنَ الرُّوحَاءِ سَبْعُونَ نَبِيًّا ١٦٣
- لَمْ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ ٧٣
- لَمَّا تُوفِّيَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ بَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ٢٥
- لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ١٥٣
- لو أن رجلاً همَّ فيه بالحاد، وهو بعدن أبين ٢٢٢
- لو أن رجلاً همَّ فيه بالحاد، وهو بعدن أبين؛ لأذاقه الله عَذَابًا ٢٦٩
- لو وجدت فيه قاتل عمر ما ندهته ٢٢٢
- لولا الهجرة لسكنت مكة ٢٢٦
- لَيَأْتِيَنَّ هَذَا الْحَجْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا ٢٥٦
- لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطُوهُ الدَّجَالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ٧٣
- مَا أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ ١٠٥
- مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ ١٥٠

- ١٤٣ ما يزع الامام أكثر مما يزع القرآن
- ٢٦٠ ماءٌ زَمَزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ
- ١٥٠ ، ١٠٧ مَنْ أَحَدَتْ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ
- ٩٨ مَنْ اسْتَخَلَفَتْ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟
- ١١٢ مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ
- ٢٦٨ مَنْ تَفَلَّ بُحَاهُ الْقِبْلَةَ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَفْلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ
- ٢٨٧ مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ
- ١٥٦ مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
- ٢٦٨ من صلى فيزق تجاه القبلة، جاءت بزقته يوم القيامة في وجهه
- ١٢٩ مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ لَمْ يَرْفَعْ قَدَمًا وَلَمْ يَضَعْ أُخْرَى
- ٢٥٥ مَنْ طَافَ بِهَذَا الْبَيْتِ أُسْبُوعًا فَأَخْصَاهُ
- ٢٣٣ مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ
- ٢٨٧ مَنْ لَمْ يَدْعُ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلِ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ
- ٢٦٦ مَنْ لَمْ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَمْ يَسْتَدْبِرْهَا فِي الْعَائِطِ؛ كُتِبَ لَهُ حَسَنَةٌ
- ١٨٨ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَهَّوْنَ فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ
- ٢٥٠ وَاسْتِحْلَالَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ قَبْلَتِكُمْ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا
- ١٢٢ وَافَقْتُ اللَّهَ فِي ثَلَاثٍ أَوْ وَافَقَنِي رَبِّي فِي ثَلَاثٍ
- ١٨٣ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُهْلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرُّوحَاءِ
- ١٨٢ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ
- ٢٦ وَاللَّهُ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَحْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي
- ١٩٣ وَاللَّهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ، أَنَّا أُخِذْنَا ضُعْطَةً

- وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ٩٥
- وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي الْحَرَمِ وَهُوَ مُضْطَرِبٌ فِي الْحِلِّ ١٩٢
- يَا أَهْلَ مَكَّةَ انظُرُوا مَا تَعْمَلُونَ فِيهَا ٢٢٢
- يَا أَهْلَ مَكَّةَ لَا تَحْتَكِرُوا الطَّعَامَ بِمَكَّةَ ٢٢٣
- يَا أَهْلَ مَكَّةَ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي حَرَمِ اللَّهِ ١٠٨
- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّكُمْ تَعَجَّلُونَ عَلَيَّ مُحَمَّدٍ ١٨٧
- يُبَايِعُ لِرَجُلٍ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ ١٠٩
- يُحَرِّبُ الْكَعْبَةَ دُوَّ السُّؤْيَمَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ ١٤٢
- يَعُودُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعَثٌ ٨٥
- يَعْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ ٧٢
- يَنْزِلُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمُ الْمَهْدِيُّ ١٨٣

فهرس الشواهد الشعرية

- وَهُوَ بِسَبْقِ حَائِزٌ تَفْضِيلاً *** مُسْتَوْجِبٌ ثَنَائِي الْجَمِيلاً ١٧....
- سَأَنْشُرُ إِنْ حَيَّيْتُ لَهُمْ كَلَاماً *** يُنْشَرُ فِي الْجَامِعِ مِنْ عِكَازِ ١٧....
- نَظَرَ الْمُتَّقِفُ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ *** حَتَّى يُقَيِّمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا ١٩....
- فَإِمَّا تَنْقُفُونِي فَاقْتُلُونِي *** وَإِنْ أَثُفَ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي ١٩....
- هَذَا وَمَنْ أَوْصَافَهُ الْقُدُوسُ *** ذُو التَّنْزِيهِ بِالتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ ٣٧....
- وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ *** إِذَا احْتِاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ ٤٥....
- وَاعْلَمَ بِأَنَّ كَثْرَةَ الْأَسْمَاءِ *** دَلَالَةٌ أَنَّ الْمَسْمَى سَامِي ٨٨....
- لَمَكَّةَ أَسْمَاءٌ ثَلَاثُونَ عَدَّدَتْ *** وَمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ اثْنَانِ مِنْهَا اسْمُ مَكَّةِ ٨٩....
- صَلَاحٌ وَكُوْثَى وَالْحَرَامُ وَقَادِسٌ *** وَحَاطِمَةُ الْبَلَدِ الْعَرِيْشُ بِقَرْيَةِ
- وَمَعِطِشَةُ أُمِّ الْقُرَى رَحِمٌ نَاسَةٌ *** وَنَسَاسَةُ رَأْسٍ بِفَتْحٍ لِهَمْزَةٍ
- مَقْدَسَةٌ وَالْقَادِسَةُ نَاشَةٌ *** وَرَأْسٌ وَتَلَجُّ أُمِّ كُوْثَى كَبْرَةٍ
- سَبُّوحَةٌ عَرْشِ أُمِّ رَحْمَنِ عَرْشِنَا *** كَذَا حَرَمِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ كِبَلْدَةٍ
- كَذَاكَ اسْمُهَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ لِأَمْنِهَا *** وَبِالْمَسْجِدِ الْأَسْنَى الْحَرَامِ تَسَمَّتِ
- وَمَا كَثْرَةُ الْأَسْمَاءِ إِلَّا لِفَضْلِهَا *** جِبَاهَا الرَّحْمَنِ مِنْ أَجْلِ كَعْبَةٍ

- أَطُوفُ بِهِ وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ *** إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ الطَّوْفِ تَدَانِي ١٠٤...
- وَأَلْتَمُّ مِنْهُ الرُّكْنَ أَطْلُبُ بَرْدَ مَا *** بِقَلْبِي مِنْ شَوْقٍ وَمِنْ هَيْمَانِ ١٠٥...
- فَوَاللَّهِ مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةً وَلَا *** الْقَلْبُ إِلَّا كَثْرَةَ الْحَقَّقَانِ
- فِيَا جَنَّةَ الْمَأْوَى وَيَا غَايَةَ الْمَعَى *** وَيَا مُنْيَتِي مِنْ دُونِ كُلِّ أَمَانِ
- أَبَتْ غُلْبَاتُ الشَّوْقِ إِلَّا تَقَرُّبًا *** إِلَيْكَ فَمَا لِي بِالْبِعَادِ يَدَانِ
- وَمَا كَانَ صَدِّي عَنْكَ صَدًّا مَلَالَةً *** وَلِي شَاهِدٌ مِنْ مُقَلَّتِي وَلِسَانِي
- دَعَوْتُ اصْطِبَارِي عِنْدَ بُعْدِكَ وَالْبُكََا *** فَلَيْتَ الْبُكََا وَالصَّبْرُ عَنْكَ عَصَانِي
- وَهَذَا مُحِبُّ قَادَهُ الشَّوْقُ *** وَالْهَوَى بَعِيرٌ زَمَامٍ قَائِدٍ وَعِنَانِ
- أَتَاكَ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَلَوْ *** وَنَتْ مَطِيئَتُهُ جَاءَتْ بِهِ الْقَدَمَانِ
- وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة *** على قدميه حافياً غير ناعلٍ ١٢٤...
- لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها *** حتى يعود إليها الطرف مشتاقا ١٧٧...
- ٢٠٤... يا عمرو لا تظلم بمكة إنها بلد حرام
سائل بعادٍ أين هم وكذاك تحترم الأنام
وبني العماليق الذين لهم بها كان السّوام
- يا عمرو إنك قد أحدثت آلهة *** شتى بمكة حول البيت أنصابا ٢٠٥...
- وكان للبيت ربٌّ واحد أبداً *** فقد جعلت له في الناس أربابا
- لتعرفنَّ بأن الله في مهل *** سيصطفي دونكم للبيت حجابا
- ٢٠٦... نحن ولينا فلم نغشه وابن مضاض قايم يهشه
يأخذ ما يهدى له يفشه نترك مال الله ما نمشه

- أَبِيَّ لَا تَظْلِمَ بِمَكَّةَ *** لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ ٢٠٦...
 وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا بُنَى *** وَي وَلَا يُعْرَنُكَ الْعُرُورُ
 أَبِيَّ مَنْ يَظْلِمُ بِمَكَّةَ *** يَلْقَ أَطْرَافَ الشُّرُورِ
 أَبِيَّ يُضْرَبُ وَجْهُهُ *** وَيُلْحَ بِحَدِيدِهِ السَّعِيرُ
 أَبِيَّ قَدْ جَرَّبْتَهَا *** فَوَجَدْتُ ظَالِمَهَا يُبُورُ
 اللَّهُ أَمَّتْهَا وَمَا *** بُنِيَتْ بِعَرَصَتِهَا فُصُورُ
 وَاللَّهُ أَمَّنَ طَيْرَهَا *** وَالْعَصْمُ تَأْمَنُ فِي ثَبِيرِ
 وَالْفَيْلُ أَهْلِكَ جَيْشُهُ *** يُرْمَوْنَ فِيهَا بِالصَّخُورِ
 وَالْمُلْكُ فِي أَقْصَى الْبِلَا *** دِ وَفِي الْأَعْجَامِ الْخَيْرُ
 فَاسْمَعْ إِذَا حُدِّثَتْ وَأَفْهَمُ *** كَيْفَ عَاقِبَتُهُ الْأُمُورُ
- فلا لعمري الذي مسح كعبته *** وما هريق على الأنصاب من جسد
 والمؤمن العائذات الطير تمسحها *** ركباً مكة بين الفيل والسعد
 ما قلت من سيئ آتيت به *** إذا فلا رفعت سوطي إلي يدي
- فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله *** رجال بنوه من قريش وجرحهم
 وباللات والعزى التي يعبدونها *** بمكة والبيت العتيق المكرم
 يمينا لنعم السيدان وجدثما *** على كل حال من سحيل ومهم
- إني امرؤ أبكي على جاريه *** أبكي على الكعبى والكعبيه ٢١٠...
 ولو هلكت باكياً عليه *** كانا مكان الثوب من حقويه
- وما النيل يأتي بالسفين يكفه *** بأجود سيباً من عدي بن نوفل ٢١١...
 وأنبطت بين المشعرين سقاية *** لحجاج بيت الله أفضل منهل

- ٢١١... ورثنا المجد من آبائنا فسمى بنا صُعُدا
ألم نَسِقِ الحَجِيجِ ونحُرُّ الدَّلَافَةَ الرُّفُدا
ونلقى عند تصريف المنايا شُدَّدا رُفُدا
فإن نَهَلِكُ فلم نُمَلِّكْ ومن ذا خالد أبدا
وزمزمُ في أرومَتِنَا ونفقاً عينٌ من حسدا
- ٢١٤... إني جعلتُ، ربِّ، من بُنيَّةٍ *** رِبْطَةً بِمَكَّةَ العَلِيَّةِ
فَبَارَكِنَ لِي بِهَا أَلِيَّةٍ *** واجعلهُ لي مِن صالحِ البَرِيَّةِ
ونحن ولينا البيتَ من بعد جُرْهُمِ *** لَنَمْنَعَهُ من كلِّ باغٍ وآثِمِ
ونقبل ما يُهدى له، لا نَمُشُّهُ *** نَخَافُ عِقَابَ اللهِ عند المحارِمِ
- ٢١٤... يا حارٍ قد كنتَ لولا ما رُميتَ به *** لله دُرُكٌ في عِزِّ وفي حَسَبِ
جَلَلتَ قَوْمَكَ مَخْزَاهُ وَمَنْقَصَةً *** ما إنْ يُجَلِّلُهَا حَيٌّ مِنَ العَرَبِ
يا سالبِ البيتِ ذي الأركانِ حَلِيَّتَهُ *** أين الغزالُ فلنْ يَخْفَى لمَسْتَلِبِ
- ٢١٥... وَلَقَدْ عَزَاهَا تُبْعُ *** فَكَسَا بَيْتَهُهَا الحَبِيرِ
وَأَذَلَّ رَبِّي مُلْكَهُ *** فِيهَا فَأَوْقَى بالتَّدْوَرِ
يَمْشِي إِلَيْهَا حَافِيَا *** بِنَائِيهَا أَلْفَا بَعِيرِ
وَيَظَلُّ يُطْعِمُهُمُ أَهْلَهَا *** حَلَمَ المَهَارَى والجَزورِ
يَسْتَقِيمُهُمُ العَسَلُ المُصَفَّى *** وَالرَّحِيضَ مِنَ الشَّعِيرِ
- ٢١٥... وَكَسَوْنَا البيتَ الذي حَرَّمَ اللهُ *** مَاءً مُعَصَّباً وَبُرُوداً
فَأَقَمْنَا بِهِ مِنَ الشَّهْرِ عَشْرًا *** وَجَعَلْنَا لِبَابِهِ إِقْلِيداً
وخرجنا منه نَوْمٌ سَهِيلاً *** قَدْ رَفَعْنَا لَوَاءَنَا مَعْقوداً
- ٢١٨... اليومَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ *** وَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

تَرْجُو النِّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْكَ مَسَالِكَهَا *** إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ ... ٢٣١

٢٧٣... وما فتى الزمان يدور حتى مضى بالمجد قوم آخرون
وأصبح لا يرى في الركب قومي وقد عاشوا أئمتهم سنينا
وآلمني وآلم كل حـ سؤال الدهر : أين المسلمون؟
ترى هل يرجع الماضي؟ فإني أذوب لذلك الماضي حيننا



فهرس الأعلام المترجم لهم

- الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ٣٤
- عبدالرحمن بن مهدي بن حسان الحافظ ١٦٢
- علي بن محمد بن علي ٥٠
- محمد الطاهر بن عاشور ٣٥



فهرس الكلمات والألفاظ المعرف بها

٢٠٧	أَحْمَسَ
٢١٨	أسكفة
٤٦	اضمحل
٧٨	الأمن الشرعي
٦٨	الأمن القدري
١٦٧	الإنس
٨٩	الباسة
٧٤	البواكير
١٦٦	الثَّيِّبَةُ
١٨٦	أَحْتَّ
١٠٥	الْحُرُورَةُ
١٩٨	الْحُمْسُ
٢١١	الدَّلَافَةُ
٧٥	الطاعون
٢٢٤	العضاه
٧٧	العوائير
٧٩	اللقطة
١٦٦	الْمِنْطَقُ
٢٢٤	النضوء

٨٩	بَرَّة
٢٥٥	بِجْرَاهُ
١٦٦	تُعْفِي
١٩٠	جُلْبَانٍ
١٨١	جُؤَارٌ
١٨٦	حَلَّ حَلٍّ
٢١٧	حمس
١٨٦	خَالَاتٌ
١٨١	خُلْبَةٌ
١٦٦	دَوْحَةٍ
٢١١	رُفْدًا
٢٢٢	ركبة
٢١٠	سَحِيلٍ
٢٥٩	شُبَاعَةٌ
٨٣	صَبْرًا
٨٩	صلاح
١٦٨	عَتَبَةٌ
٢٠١	عَالَاتٍ
٩٨	فَتَضَعَّتْ
١٨١	فَطَوَائِيَّةٌ
٨٩	كُوْثَى

٢١٠	مُبْرَمٌ
٨٩	مُعَطِّشٌ
٧٣	نِقَائِمًا
١٨١	هَرَشَى
١٨٥	وَبَيْئَةٌ
١٩٣	يَأْجُحُ
١٩٠	يَجْجُلُ
١٠١	يُخْتَلَى
٢٢٤	يعضد
١٠١	يُعْضدُ
٢٢٥	يَكْشَكِشَ



فهرس المصادر والمراجع

- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط ١٤١٥هـ، بيروت.
- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع، أضواء السلف، ط ١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الرياض
- أحكام الحرم المكي الشرعي، عبدالعزيز بن محمد الحويطان، ط ١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- أحكام الحرم المكي، سامي بن محمد الصقير، دار ابن الجوزي ط ١، ١٤٣٣.
- أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، بيروت، لبنان.
- أحكام القرآن، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، راجعه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، بيروت، لبنان.
- أحكام اليمين بالله عَبْدُكَ، خالد بن علي المشيقح، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٠هـ، المملكة العربية السعودية
- أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، الطبعة ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، بيروت، لبنان.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.
- أخبار مكة في قدس الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق الفاكهي، ت: د. عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، ط ٢، ١٤١٤هـ، بيروت
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بالأزرقي، ت: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت.

- الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٨، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م
- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، بيروت.
- أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود الزمخشري، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، بيروت، لبنان.
- الاستقامة، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، ت: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٣هـ، المدينة المنورة.
- الاستقامة، أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، ت: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٠٣هـ، المدينة المنورة.
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الرياض.
- الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي، حسن عبد الغني أبو غدة وآخرون مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٧هـ، الرياض
- أسواق الذهب، أحمد شوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الأضداد في كلام العرب، أبو الطيب عبدالواحد بن علي اللغوي، ت: د. عزة حسن، دار طلاس، ط ٢، ١٩٩٦م
- الأضواء الأثرية في بيان إنكار السلف بعضهم على بعض في المسائل الخلافية الفقهية، لأبي عبدالرحمن فوزي الأثري، مكتبة الفرقان، عجمان.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الجكني الشنقيطي، دار عالم الفوائد، ط ١، ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة.

- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، السعودية.
- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، رتبته: محمد عبدالسلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، بيروت، لبنان.
- اقتضاء السراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ت: د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار المسلم، ط ٥، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، الرياض.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي أبو الفضل، ت: يحيى اسماعيل، دار الوفاء، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، مصر.
- الأمصار ذوات الآثار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، ت: محمود عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، بيروت، لبنان.
- الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، معالي د. عبد الله بن عبد المحسن التركي (بدون بيانات).
- الأنوار الساطعات لآيات جامعات، عبدالعزيز محمد السلطان، ط ٦، ١٤١٨ - ١٩٩٧ م.
- أهمية اللغة العربية في المحافظة على الهوية وتوطين المعرفة، أحمد درويش. رابط الموضوع:

http://www.alukah.net/Literature_Language/0/24128/#ixzz

[27VVG3oFi](http://www.alukah.net/Literature_Language/0/24128/#ixzz)

- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب الغزويني، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب الغزويني، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.
- البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير، ت: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م، القاهرة.
- البداية والنهاية، الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- بدائع الفوائد، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد العمران، ط المجمع، جدة.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، القاهرة
- بعض جوانب الإعجاز العلمي في ماء زمزم، عبدالعزيز المصري، بحث مصور مقدم للمؤتمر الدولي للموارد المائية والبيئية الجافة ٢٠٠٤م، على الموقع: <http://faculty.ksu.edu.sa/٦٨٨٧/Interesting%20papersarabic/Fo%20rms/DispForm.aspx?ID=١>
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: مصطفى حجازي، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الكويت.
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، محمد بن أحمد المعروف بابن الضياء، ت: علاء إبراهيم وأيمن نصر، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.

- التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر بن عبدالرحمن الجديع، مكتبة الرشد، الرياض.
- التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، الطبعة التونسية، ١٩٩٧م، تونس.
- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني رحمه الله تعالى، ط ٢، ١٤١٣هـ، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي.
- تعظيم الأماكن في مكة المكرمة بين المشروع والممنوع، د سعد الشهراني، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ. على الرابط التالي:
<http://ia600708.us.archive.org/٦/items/wrtammmm/tammmm.pdf>
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، بيروت، لبنان.
- تفسير البغوي المسمى؛ معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.
- التفسير الصحيح موسوعة الصحيح المسبور في التفسير بالمأثور، أ.د حكمت بن بشير بن ياسين. دار المآثر، ط ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، المدينة النبوية.
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، المملكة العربية السعودية، الرياض.

- تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٦، الدمام.
- تفسير القرآن الكريم سورة البقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٣، الدمام.
- تفسير مفاتيح الغيب، الإمام محمد الرازي، دار الفكر، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بيروت، لبنان.
- تقريب التهذيب، للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، ط ٣، ١٤١١هـ - ١٩٩١م، حلب، سوريا.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة القرطبة.
- تهذيب الأخلاق في التربية، لابن مسكويه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تهذيب الصحاح، محمود بن أحمد الزنجاني، ت: عبدالسلام محمد هارون/أحمد عبدالغفور عطار، دار المعارف، مصر.
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠١م، بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، بيروت.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي، دار المعارف، القاهرة.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت
- جامع العلوم والحكم، أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن بن شهاب بن رجب الحنبلي، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م
- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف، جمال الدين محمد جارالله بن ظهيرة القرشي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٤٠ هـ - ١٩٢١ م، مصر
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الجامع للآداب النبوية الأدب المفرد، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بتخریجات وتعليقات: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، الجبيل، المملكة العربية السعودية.
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، ت: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد، دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م، السعودية.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، أو الدواء والدواء، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، المغرب
- حكم الإنكار في مسائل الخلاف، د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، ط ١، ١٤١٧-١٩٩٦، باكستان
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط ٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، القاهرة.

- خصائص القرآن، د. فهد الرومي، مكتبة العبيكان، ط ٩، ١٤١٧هـ، المملكة العربية السعودية.
- خصائص تعظيم البلد الحرام، موقع مشروع تعظيم البلد الحرام، على الرابط:
<http://makkah.org.sa/site/index.php/٢٠١٢-٠١-٣١-٠٨-٥٦-٣٦/hda١.html>
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الإمام جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط ١، ١٤٢١هـ، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- دراسات أصولية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم الحفناوي، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، القاهرة
- دراسات تاريخية مع تعليقة في منهج البحث وتحقيق المخطوطات، د. أكرم ضياء العمري، الجامعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، المدينة المنورة.
- دراسات في الثقافة الإسلامية، محمد عبد السلام وآخرون، مكتبة الفلاح، ط ٨، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، الكويت. ص (٢٨).
- دراسات في الثقافة الإسلامية، د. أمير عبدالعزيز، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م
- دراسات في منهج الدعوة إلى الله، د. محمد سعد علي شعيب. (بدون بيانات).
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط ٥، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- دعوة النبي ﷺ للأعراب، حمود بن جابر الحارثي، دار المسلم، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، الرياض.

- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، ت: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ط ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الريان للتراث.
- دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوربية، شوقي أبو خليل، دار الفكر، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دمشق.
- ديوان أبي العتاهية، قدم له وشرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.
- ديوان النابغة الذبياني، عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية ط ٣، ١٤١٦ بيروت لبنان.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، الأستاذ علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨، بيروت، لبنان.
- ديوان هاشم الرفاعي، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء.
- ذيل طبقات الحنابلة، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، ت: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م، الرياض.
- رسالة في القواعد الفقهية، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، المؤسسة السعيدية، الرياض.
- الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- روضة الناظر وجنة المناظر، موفق الدين أبي محمد عبدالله ابن قدامة المقدسي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي، ط ٣، ١٤٠٤هـ، بيروت.

- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م بيروت.
- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، ت: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، ط ٢، ٢٠٠٣ م.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي، ت: د. مصطفى عبدالواحد، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، القاهرة.
- سنن ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، الرياض.
- سنن أبي داود، الإمام الحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، الرياض.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، الرياض.
- سنن النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، الرياض.
- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٩، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- السيرة النبوية ابن هشام، أبو محمد عبدالملك بن هشام، ت: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شليبي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، ط ٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الرياض
- السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسن الندي دار ابن كثير، ١٤٢٥هـ، دمشق.
- السيرة النبوية، محمد بن إسحاق المظلي، ت: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، بيروت، لبنان.
- شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: صلاح الدين محمود، مكتبة نور الهدى
- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة أسام، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الرياض.
- شرح ديوان المتنبي، عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٤٢٧هـ - بيروت، لبنان.
- شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، دار الوطن، ط ١، ١٤١٥هـ، الرياض.
- شرح صحيح البخاري لابن بطلال، أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط ٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الرياض، السعودية.
- شرح قواعد الأصول ومعاهد الفصول، د. سعد بن ناصر الشثري، دار كنوز إشبيلية، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، الرياض.
- شروح سنن ابن ماجه، ت: رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية، ط ١، الأردن
- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، محمد بن أحمد أبو الطيب المكّي الحسني الفاسي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان
- شمس العرب تسطع على الغرب، المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة، دار الجليل، ط ٨، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، بيروت.

- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٩٩٠، بيروت، لبنان
- صحيح ابن خزيمة، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.
- صحيح ابن خزيمة، أبوبكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، د. محمد مصطفى الأعظمي، دار الثقة، مكة المكرمة.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح المسند المختصر من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)، أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١٤٢٢، ١هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، الريان، مصر.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صلة مكة المكرمة بالعالم الإسلامي من خلال الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، د. محمد بن ناصر الخزيم، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية ١٤٢٦هـ، مكتبة الملك عبدالله بن عبدالعزيز بجامعة أم القرى، رقم: eb١٠٣٥
- العبادة تعريفها. أركانها. شروطها. مبطلاتها، سليمان بن محمد العثيم، دار القاسم
- العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: د. محمد زينهم محمد عزب، دار القلم للتراث، مصر

- العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ت: د. عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، بيروت، لبنان.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود العيني، دار الفكر.
- الفتاوى الكبرى: أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني، محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨ - ١٩٨٧
- الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني، دار القلم، ط ١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، بيروت، لبنان.
- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب، أحمد عبدالرزاق الدويش، دار المؤيد، ط ١، ١٤٢٤هـ،
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر، دار الريان للتراث، ط ٢، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، القاهرة
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبدالرحمن بن أحمد بن رجب، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤١٧، المملكة العربية السعودية.
- الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- فقه الأدعية والأذكار (القسم الثاني)، عبدالرزاق بن محسن البدر، دار ابن عفان، ط ١، ١٤٢٢هـ، مصر.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد المدعو بعبد الرؤف المناوي، دار المعرفة، ط ٢، ١٣٩١هـ-١٩٧٢م، بيروت، لبنان.
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥
- القرى لقاصد أم القرى، أحمد بن عبدالله محب الدين الطبري. (بدون بيانات).

- قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، أبو محمد عز الدين عبدالعزيز بن عبدالسلام السلمي، مؤسسة الريان، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، بيروت، لبنان.
- قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار إشبيلية، ط١٤٢٠، ١٩٩٩م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مكتبة السنة، ط١، القاهرة.
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيد النونية)، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٦هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، للإمام ابن قيم الجوزية، ت: عبدالله بن محمد العمير، دار ابن خزيمة، ط١٤١٦، ١٩٩٦م، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- كتاب الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، الإمام محي الدين أبي زكريا النووي، ت: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، بيروت، لبنان.
- كتاب الأصنام لابن السائب الكلبي، ت: أحمد زكي، دار الكتب المصرية، ط٣، ١٩٩٥م. ص ٩.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ت: محمد عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، بيروت، لبنان.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، بيروت.
- كشف زيوف، عبدالرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، ط٢، ١٩٩١، ١٤١٢، دمشق.
- الكعبة مركز العالم، سعد المرصفي، مكتبة المنار الإسلامية، ط١، ١٩١٨م، الكويت.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد الشحي، المعروف بالخازن، ت: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، بيروت.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م.
- لقاءات الباب المفتوح لابن عثيمين، عبدالله الطيار، مكتبة دار البصيرة، مصر.
- مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة، د. ناصر بن عبدالكريم العقل، دار العاصمة، ط ٢، ١٤١٩ - ١٩٩٨ م.
- مبادئ علم الاجتماع، د. طلعت إبراهيم لطفلي، مؤسسة الأنوار ط ٢، ١٩٨٤ م، الرياض، المملكة العربية السعودية
- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، ت: مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، الرياض.
- المجتمع الإسلامي المعاصر، محمد المبارك، ط ١٣٩٢، ٢ هـ، بيروت، لبنان
- المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، دار القلم، ط ٤، ١٤٠٦ هـ، الكويت.
- المجتمع، روبرت موريسون ماكيفر، وشارلز هنط بدج، ترجمة د. علي أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية ط ١٩٦١، ٢ م، القاهرة، مصر
- مجلة المنار، محمد رشيد رضا. مطبعة المنار، ١٣٣٩ هـ - ١٩٢٠ م، القاهرة.
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم.
- مجموع الفوائد واقتناص الأوابد، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الدمام المملكة العربية السعودية.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، جمع: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا، ط الأخيرة - ١٤١٣ هـ. الرياض.
- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، دار القاسم، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

- المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، عنيزة، المملكة العربية السعودية.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، ط ٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، لبنان.
- المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المحيط في اللغة: الصاحب إسماعيل بن عباد، عالم الكتب، ط ١، ١٤١٤هـ، بيروت، لبنان.
- مدارج السالكين بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- المدح والذم في القرآن الكريم، معن الحياي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٧هـ، بيروت، لبنان.
- المدخل إلى الثقافة الإسلامية، أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية جامعة الملك سعود، مدار الوطن، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الرياض.
- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، بيروت، لبنان.
- مذكرة أصول الفقه، العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي رحمه الله تعالى، ط ١، ١٤٢٦هـ، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، دار عالم الفوائد
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، ت: أسعد داغر، دار الهجرة، ١٤٠٩هـ

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، ت: محمد أحمد بك/علي محمد البجاوي/محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ط ٣، القاهرة.
- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، بيروت.
- المسجد الحرام تاريخه وأحكامه، د.وصي الله بن محمد عباس، ط ٢، ١٤٢٨ هـ
- مسند أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، دمشق.
- مسند الإمام أحمد، لأبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، بيت الأفكار الدولية.
- مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، ت: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد، وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم، ط ١، ١٩٨٨ م، المدينة المنورة.
- مسيحيون في مكة، أغسطس رالي، دار الوراق، لندن، ط ٢، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- مشكل الآثار، أبوجعفر الطحاوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، بيروت، لبنان.
- مشكلة الثقافة، مالك بن نبي، ط ٤، ١٩٨٤ م دمشق، دار الفكر
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد محمد علي الفيومي، مكتبة لبنان، ١٩٨٧ م
- المصنف، الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: أيمن نصر الدين الأزهرري، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، بيروت، لبنان.
- المطلع على ألفاظ المقنع، أبو عبدالله محمد بن أبي الفتح البعلي، تحقيق محمود الأرنبوط، وياسين الخطيب، مكتبة السوادى للتوزيع، ط ١، ١٤٢٣ هـ، جدة.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، دار صادر، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، بيروت.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبدالقادر ومحمد علي النجار، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
- معجم لغة الفقهاء، أ.د. محمد رواس قلعه جي ود. حامد صادق قنيبي، دار النفائس، ط ٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، بيروت.
- معجم لغة الفقهاء : أ.د. محمد رواس قلعه جي، دار النفائس، ط ١، ١٤١٦هـ، بيروت، لبنان.
- معجم مصطلحات المكتبات والمعلومات، عبدالغفور قاري، مطبوعات الملك فهد الوطنية، ط بدون، ١٤٢٠هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، ت: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية، ط ١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، كراتشي، باكستان.
- معلم الثقافة الإسلامية، أمين أبو لاوي، ط ١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- المغازي، محمد بن عمر بن واقد السهمي أبو عبد الله، الواقدي، ت: مارسدن جونس، دار الأعلمي، ط ٣، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، بيروت.
- المغني، موفق الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن قدامة، دار الفكر، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، بيروت، لبنان.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، ت: علي بن حسن الحلبي، دار ابن عفان، ط ١، ١٤١٦-١٩٩٦، الخبر، المملكة العربية السعودية.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، ط ١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، دمشق.

- مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، ت: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس، ط ٢، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، الأردن
- مقاصد المكلفين، لعمر الأشقر، دار النفائس، ط ٢، ١٤١١هـ، الأردن
- مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن خلدون، دار الكتب العلمية، ط ٨، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، بيروت، لبنان.
- من نفحات الحرم، علي الطنطاوي. دار الفكر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دمشق.
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف، الإمام ابن القيم الجوزية، ت: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار العاصمة، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي الأندلسي، دار السعادة، ط ١، ١٣٣٢هـ
- المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، صححه: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، بيروت
- المهذب في علم أصول الفقه المقارن، أ.د عبدالكريم بن علي بن محمد النملة، ط ١، ١٤٢٠هـ، الرياض، المملكة العربية السعودية، مكتبة الرشد
- المواهب الربانية من الآيات القرآنية، عبدالرحمن السعدي، رمادي للنشر، ط ٢، ١٤١٧هـ المملكة العربية السعودية.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، الكويت.
- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المختصين، دار الوسيلة، ط ٢، ١٤١٩-١٤٢٠، جدة، المملكة العربية السعودية.
- نسب قريش، أبو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري، عن به: إيلفي بروفنسال، دار المعارف، ط ٣

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت
- النكت والعيون تفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- النهاية في غريب الأثر، الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، ط١، ١٣٨٣هـ، دار إحياء الكتب العربية.
- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بيروت، لبنان.
- الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، ومحيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، ط٢، ١٤١٨هـ، دمشق
- وسائل التكنولوجيا الحديثة في خدمة الدعوة، عادل عبدالله هندي، مجلة البيان، العدد: ٢٧٨، شوال ١٤٣١هـ.

فهرس الموضوعات

٩.....	المقدمة: خطة الدراسة
١٩	تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث
٣٢	مرادفات لفظ: (التعظيم)
٤١	الألفاظ المقابلة للفظ: (التعظيم)
٥٦	الفصل الأول تعظيم البلد الحرام
٥٧	المبحث الأول تعظيم الله للبلد الحرام
٥٨	المطلب الأول: قسم الله بالبلد الحرام
٦٢	المطلب الثاني: أمن الله عز وجل للبلد الحرام وأهله
٨٨	المطلب الثالث: ذكر الله عز وجل للبلد الحرام بأسماء عدة في القرآن الكريم
١٠٠	المطلب الرابع: تحريم الله عز وجل للبلد الحرام وإضافته إليه وحبه له
١١١	المطلب الخامس: مضاعفة أجر الصلاة والأعمال الصالحة في البلد الحرام
١١٨	المطلب السادس: الآيات البيّنات التي اختص الله عز وجل بها البيت الحرام
١٣٧	المطلب السابع: جعل الله عز وجل الكعبة البيت الحرام قياماً للناس
١٤٥	المطلب الثامن: البلد الحرام مولد خير الخلق ومبعثه ﷺ وإنزال القرآن الكريم
١٥٣	المطلب التاسع: المسجد الحرام قبلة المسلمين
١٥٨	المبحث الثاني تعظيم أنبياء الله عز وجل للبلد الحرام
١٥٩	المطلب الأول: تعظيم الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - السابقين للبلد الحرام
١٨٤	المطلب الثاني: تعظيم نبينا محمد ﷺ للبلد الحرام

المبحث الثالث تعظيم الناس للبلد الحرام على مر الزمان	٢٠٣
المطلب الأول: تعظيم أهل الجاهلية للبلد الحرام.....	٢٠٤
المطلب الثاني: تعظيم السلف الصالح للبلد الحرام	٢٢١
الفصل الثاني وسائل تطبيق ثقافة التعظيم للبلد الحرام	٢٢٨
المبحث الأول مفهوم وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٢٩
المطلب الأول: تعريف الوسائل في اللغة والإصطلاح.....	٢٣٠
المطلب الثاني: خصائص وسائل ثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٣٥
المطلب الثالث: الضوابط الشرعية لثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٣٨
المبحث الثاني وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٤٢
المطلب الأول: أقسام وسائل تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٤٣
المطلب الثاني: الوسائل الشرعية التعبدية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٤٨
المطلب الثالث: الوسائل المادية في تطبيق ثقافة تعظيم البلد الحرام	٢٧٢
الفصل الثالث أثر ثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي	٢٨٠
المبحث الأول: الآثار الإيمانية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي	٢٨١
المبحث الثاني: الآثار الأخلاقية لثقافة تعظيم البلد الحرام على المجتمع الإسلامي	٢٨٩
الخاتمة	٢٩٦
الفهارس	٢٩٨